نهج الولاية ١٤

الحبيب في حاضره

خواطر الإمام الخامنئي بلسانه وبيانه

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: في محضر الحبيب - خواطر الإمام الخامنئي بلسانه وبيانه

تأليف: الإمام الخامنئي

تصحيح وتدقيق: الدكتور الشيخ حسين اليوسف

الطبعة: الأولى، ٢٠٢٤م

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

البريد الإلكتروني: mediaalwafa@gmail.com

ISBN: 978-614-464-273-3

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الموقع الرسمي

daralwaffa

الفهرس

مقدمة الناشر ١١

الجزء الأول: كالضوء من الشمس

نحن ثمانية إخوة وأخوات.. ..... ١٣
شحّ خبز القمح ١٨
الميرزا حسين تديّن كرماني ١٩
شَعَر صديقي بالخجل ٢٠
استشهاد نَوّاب وأنصاره ٢٠
زيارتي الأولى لهمدان ٢١
منطق نائب في البرلمان الوطنيّ ٢٣
فرحتُ من أعماق قلبي ٢٤
كان هدفنا أداء الواجب منذ البداية ٢٤
منبر المرحوم السيد النائيني ٢٥
هؤلاء سيرحلون ٢٥
مما تكرّر مرارًا ٢٦
من أجل بيت شعر ٢٧
محاكمة بسبب خمسة خراطيش ٢٨
الإمام وحادثة ١٥خرداد ٢٨
مَن المسؤول عن هذه الدماء؟! ٣٠
صوت مصطفى إسماعيل يفوق الوصف ٣٠
«ريكه بوت» أخر ٣١
عمَل الشهيد بهشتي وباهنر القيّم ٣٣
سائقٌ من الخواصّ ورجل دين من العوام ٣٣
كنت حريصاً على وقتي ٣٤
مسؤولية إعداد الشاي على عاتقي ٣٥
رأيتُ الإمام بعد سنوات ٣٦
مؤامرات الأعداء في الجيش ٣٨
لا يحقّ لأحد الاعتداء على هؤلاء ٤٠
لن أُلغي البرنامج ٤٠

في محضر الحبيب

أهمية العمل في الميدان الاجتماعيّ ٤١
أمريكا وحرية التعبير ٤١
شباب الاستخبارات المخلصون ٤٢
أمريكا وقصة بيع الطّائرات الحربيّة ٤٣
إنهم يكذبون! ٤٣
ما هذا الكلام؟! ٤٤
لا تتمسّكوا بالظّواهر ٤٦
لا أعرفه وحسب ٤٧
تقريرٌ عن الحضور في الجبهة ٤٧
أُريدك في عملٍ خاص ٥٥
سيادة رئاسة الجمهورية ٥٦
أسسوا نمطكم بأنفسكم ٥٦
اعتصر قلبي بشدة ٥٨
ندمتُ من ذكر ذلك ٥٩
الأسلاك الشّائكة ليست قنبلة نووية ٥٩
إنّه واجب عينيّ عليكم ٦٠
بكيتُ من شدّة الفرح ٦٠
عبقٌ من وجود الإمام ٦١
لقد علقتُ في الدّنيا الترابية ٦١
هؤلاء يجب أن يُغادروا ٦٢
يا سيد! طيّب الله ٦٣
لا يبدو عليهم أنهم ثوريون ٦٣
الانتقام والنقمة الإلهية ٦٤
اذهبا واتّفقا فيما بينكما ٦٥
هناك يدٌ غيبية في هذا العمل ٦٥
اتّحدوا ٦٦
نحن لا نريد قطع العلاقات لكن.. ..... ٦٧
تداعيات الخطاب ٦٨
لماذا تضطربان؟ ٦٨
لم يكن يُجيد لغته! ٦٨
في البداية ظننتُ أنه صاروخ! ٦٩

الفهرس

حتى أنا أخاف منها! ٦٩
أولئك عبيد الدولار! ٧٠
وجد السّفر فضيحةً، فألغاه ٧١
كنت أواظب على مشاهدة هذا البرنامج ٧١
لم يوافقوا على الاقتراح ٧٢
دمعت عينا العجوز ٧٢
فنّ مطابق للواقع ٧٣
ما هذه الحالة؟ ٧٣
يفتقرون إلى قائد مثل قائدكم ٧٤
إنّ الشعوب معنا ٧٥
كان الإمام يستعين بالسيد أحمد ٧٥
لوحدها تماماً ٧٦
سجدتُ هناك ٧٧
أطلق الإمام سهماً ٧٨
جواب هذا السؤال ٧٩
التّفأّل بالقرآن ٧٩
يبقى الحِمل على الأرض ٨٠
قد يستغرق تحريرهم ثلاثين عاماً ٨٠
لمن هذه الأشعار؟ ٨٢
وضعوا علامة على الجبل! ٨٢
جافاني النوم ٨٣
كنتُ أشاهد التلفاز ٨٤
هؤلاء سيرحلون ٨٥
الكلام الّذي ألهب القلوب ٨٦
جاؤوا وهنؤوني ٨٦
البداية الأولى في مشهد ٨٧
حظر درس التفسير ٨٨
أخلى منزله لنا ٩٠
الشعار قولٌ وعمل ٩١
أحياناً كان يقشعرّ بدني ٩٢
عظمة الشّهيد مطهري ٩٣

في محضر الحبيب

كان الإمام حاضراً في كل مكان ٩٤
أنا سأذهب حتماً ٩٦
«كعدة» رجال الدين ١٠٠
يوم عودة الإمام ١٠١
كأنّ شيئاً لم يكن ١٠٣
انتابتني الحيرة ١٠٤
الأيام التي انتهت بالانتصار ١٠٥
سجدتُ شكراً لله ١٠٦
أردنا أن نُناقش الإمام ١٠٧
أنا تلميذ مطهري ١٠٧
النحل ١٠٨
هل تخافون من أمريكا؟ ١٠٨
هدية الإمام للشّعب الإيراني ١٠٩
الإمام ٥٣ في المائة، وبني صدر ٨٠ في المائة! ١٠٩
أنت القائد ١١٠
كان يدّعي أنه لا يسكن في القصر! ١١٣
كنتُ أشعرُ بالألم يعتصر فؤادي ١١٤
قوّة الأمّة المعنويّة ١١٥
عمّ السّرور الأرجاء ١١٥
تجسّد كلّ الماضي أمامي ١١٦
شعرتُ بالخسارة ١١٦
لم أشأ أن أترشّح ١١٨
لا تُتعبوا أنفسكم عبثاً، لا يمكن القيام بهذا العمل! ١١٩
ظننتُه ابن مصطفى اسماعيل ١٢٠
لم أُدركه للأسف الشديد ١٢١
وجهه يسطع كالقمر ١٢١
إطلاق قذائف المدفعية بواسطة الميرزا جواد الطهراني ١٢٢
برلمان واجتماعان في السّنة ١٢٣
رغبة ذاتية ١٢٤
فيك عيب واحد فقط ١٢٤
الإضافات الضّارة في العزاء ١٢٥

الفهرس

كانوا يخجلون من الاسم الإسلامي ١٢٦
رئيس الجمهورية الراهب ولاعب كرة القدم! ١٢٦
كنتُ المخالف الوحيد ١٢٨
كيف صدر منك هذا العمل؟ ١٢٩
دموع الإمام ١٣٠
انقلبت حالتي ١٣٠
كان يكتم ألمه ١٣١
إنني أخجل يا إمامي العزيز ١٣٢
رافقني ولم يتركني ١٣٣
لم تتقدّم القوات المعادية من شدّة الخوف ١٣٤
حضور قلبي وحقيقي ١٣٥
رصاصةٌ في قلب الاستكبار ١٣٦
كونوا حرّاس الأصول ١٣٧
يجدر بنا أن لا نتفوّه بمثل هذا الكلام ١٣٨
التّهديد العسكري موجود دائماً ١٤٠
مشروع الاختراق الفوري ١٤١
ما هذا الكلام؟ ١٤١
شِعرٌ يُقصد منه الدّعاء ١٤٢
هذه «الدعوة إلى الحرية» ومعصرة الفاكهة ١٤٢

الجزء الثاني: قائدٌ في خنادق الدفاع المقدس

الإيمان بمواجهة التحديات ١٤٤
الصمود في وجه العاصفة ١٤٧
الأيدي الخفية وراء الحرب ١٤٨
ثقة القادة بحكمة الإمام ١٤٨
المؤامرات الدولية ضد إيران ١٥٠
بني صدر وتأجيج الخلافات الداخلية قبل الحرب ١٥٠
بداية الحرب والدور القيادي في مواجهة العدوان ١٥٣
العزيمة في مواجهة التحديات العالمية ١٥٤
التحدي العسكري والمعجزة الإيرانية ١٥٦
استراتيجية صيد الدبابات في الحرب ١٥٧

بداية العمليات العسكرية وتوزيع المعدات ١٦٠
الروحانية والمشاركة في الحرب ١٦٠
تعلم استخدام الأسلحة وتنظيم الصفوف ١٦١
دعم القوات والمعدات في الأهواز ١٦٢
الإيمان بقدرة الله على إصلاح الأمور ١٦٣
الدخول في العمليات الحربية والمشاركة الفعلية ١٦٤
العالم والأستاذ التّعبوي: توازن بين العلم والإيمان ١٦٨
عملية استطلاع في دب حردان ١٦٨
نورانية التعبويين وذكرى مع الرائد رستمي ١٧٠
لحظات الخطر: الشظايا ونعم البقاء على قيد الحياة ١٧١
لقاء مع الإمام بعد العودة من الجبهة ١٧١
رسالة إلى بني صدر قبل سقوط خرمشهر ١٧٢
رحلة إلى الأهواز واستقبال القوات ١٧٥
زيارة لأحد المواقع المحررة والتعامل مع شهداء الجبهة ١٧٩
لقاء مع أهالي مريوان وتجارب على الحدود العراقية ١٧٩
الذكرى الثمينة من مريوان إلى مرتفعات تته ١٨٠
الهجوم على الهويزة: شجاعة وتضحية في الصفوف الأمامية ١٨١
فتح خرمشهر: الانتصار والفرحة العارمة ١٨٥
الدعم الأمريكي للعراق: الحقائق التي اكتشفت لاحقًا ١٨٧
بطولة التعبويين وعمى الأقمار الصناعية الأمريكية ١٨٧
ألف وثلاثمائة متر من العز ١٨٩
إنجاز المجاهدين رغم الأوضاع المعقدة ١٩٠
موافقة الإمام على القرار ٥٩٨ وتحديات الحرب الاقتصادية ١٩٠
شهداؤنا تجسيد للفضائل الإنسانية ١٩١
مهدي باكري رمز للشجاعة في ساحات الحرب ١٩١
من الجندي البسيط إلى المخطط الاستراتيجي ١٩٢
الشهيد محمود كاوه قائد في الحرب والتقوى ١٩٢
ضابط الحرس وعظمة عوائل الشهداء ١٩٣
الثقافة الجهادية ١٩٤
الشهادة البلسم الذي يخفف المصاب ١٩٥
شاب يتفوق على جده العارف ١٩٦
الشوق الإلهي والطريق العرفاني في ساحة الجهاد ١٩٦

مقدمة الناشر

هناك الكثير من الذّكريات الّتي رواها الأفراد وتناقلتها الألسن حول سماحة «الإمام الخامنئي»؛ سواء المسجّلة صوتياً أو المكتوبة خطّياً، بالإضافة إلى تطرّق الإمام الخامنئي إلى بعض الذّكريات في المحاضرات والاجتماعات المختلفة، فقُمنا بتدوين هذه الذّكريات، وكان نتاج جُهودنا ومساعينا هذا الكتاب الموجود بين أيديكم.

إنّ هذا الكتاب، هو عبارة عن الذّكريات المستخرجة من خطابات الإمام الخامنئي في المناسبات المختلفة، منذ عام ١٩٨٢م حتى عام ٢٠١٦م. ولابدّ من الإشارة إلى أنّ سبب اختيارها هو كونها ذكريات سماحته وحسب. ونظراً لأنّ هدف سماحته من ذكرها كان الاستشهاد بها لتعزيز فهم المخاطب وإدراكه أكثر في موضوعٍ معيّن، ولم يكن الهدف النّقل بحدّ ذاته - طبعًا لا يخلو الأمر من استثناءات مثل جلسة الحوار الودّي مع مجموعة من الفتية والشّباب في عام ١٩٩٧م -؛ لذا في بعض الفقرات، ورد ذكر الموضوع الأصلي الّذي كانت القصة جزءاً منه.

والجدير بالذكر بأن هذا الكتاب يتكون من جزئين، الجزء الأول هي الخواطر المنقولة من قبل الإمام الخامنئي، والجزء الثاني الخواطر المتعلقة بفترة الدفاع

المقدس حيث كان الإمام الخامنئي من الأشخاص الّذين كان لديهم حضور قويّ في تلك المرحلة؛ سواء في سوح القتال أو في الجبهات الخلفية. وفي الأيام الأولى من اندلاع الحرب، حضر لمدة ثمانية أو تسعة أشهر في جبهات الجنوب والغرب، وذلك بإذنٍ من سماحة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، ولعب دوراً هاماً في قيادة أمور الحرب آنذاك.

ولابدّ من الإشارة إلى أننا عند ترجمة الكتاب، قُمنا في بعض المواضع باختزال بعض الجمل أو تلخيصها أو صياغتها بأسلوب أكثر سلاسة مع الحفاظ على المعنى وعدم المساس به، لكثرة التّكرار الموجود في النصّ الفارسي، وتفاديًا للترجمة الحرفيّة المخلّة بالمعنى ولتقديم نصّ أفصح وأقرب لفهم القارئ.

نأمل أن تكون الجهود المبذولة في إنجاح هذا الكتاب مقبولة عند الله سبحانه وتعالى، وأن تلقى اهتمام الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجميع محبّي وأتباع الولاية.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

الجزء الأول: كالضوء من الشمس

نحن ثمانية إخوة وأخوات..

لقد كنّا ثمانية إخوة وأخوات من والدتين؛ [فلقد كان والدي متزوجاً قبل أمّي]، وكان لديه ثلاث بنات، وبعدها تُوفّيت زوجته، فتزوّج من أمي، وأنجبا خمسة أولاد؛ أربعة صبيان وبنت واحدة، وأنا الثاني بين هؤلاء الخمسة. كما تُوفّي لوالديّ طفلان أيضاً، فإذا حسبناهما أكون أنا الرّابع، لكن مع وفاتهما أصبحتُ الابن الثّاني في العائلة. طبعاً؛ أخواتنا من الزوجة الأولى أكبر منّا بكثير.

كان أبواي مميّزين؛ فأمي امرأةٌ واعية جداً، ومتعلّمة، وقارئة، ولديها قريحة شعريّة وأدبيّة، وكانت ضليعة بأشعار حافظ؛ لا علمياً بل بمعنى أنها كانت تحفظ بعض أشعار حافظ وترددها، وكانت على معرفةٍ عميقة بالقرآن وتتميّز بصوت جميل.

عندما كنّا أطفالاً، كنّا نجلس معاً، وكانت أمي تقرأ القرآن بصوتٍ عذبٍ جميل، فنجتمع نحن حولها وتقرأ علينا آياتٍ من القرآن حول حياة الأنبياء في مناسباتٍ مختلفة. أنا شخصياً سمعتُ عن حياة النبي موسى عليه السلام، والنبي إبراهيم عليه السلام وبعض الأنبياء الآخرين من أمي في هذه المناسبات، فعندما كانت تقرأ القرآن وتصل إلى الآيات الّتي ذُكر فيها اسم الأنبياء كانت تشرحها لنا.

في محضر الحبيب

إنّ بعض الأشعار الّتي لا زلتُ أحفظها بعد مرور كل هذه السنوات - أي بعد ما يُقارب ستين عاماً[1] - هي من الأبيات التي كانت تُردّدها. ومنها هذان البيتان:

سحر چون خسرو خاور علم در كوهساران زد

به دست مرحمت يارم در اميدواران زد

دوش ديدم كه ملائک در ميخانه زدند

گل آدم بسرشتند وبه پيمانه زدند[2]

خلاصة الكلام: أنّ أمي كانت حنونةً، وواعيةً، وكغيرها من الأمهات، تُحبّ أطفالها وتُغدق عليهم برعايتها.

أمّا أبي، فقد كان عالم دين وملّا[3] كبيراً، وعلى العكس من أمي، الّتي كان كلامها ساحراً وجذاباً وودوداً، كان أبي رجلاً هادئاً وقليل الكلام، وكان ذلك بسبب دراسته الحوزوية والعزلة في حجرة الدراسة. كان أبي يتكلّم التركية، فأصولنا تعود إلى منطقة (خامنه) التابعة لمدينة تبريز. وكانت أمي تتكلّم الفارسيّة؛ ولهذا تعلّمنا اللغة الفارسيّة والتركيّة منذ الصّغر. ولقد كانت بيئة منزلنا بيئةً سليمة، علماً أننا لم ننشأ في دعةٍ وراحة، وقد ترك هذا الأمر أثره على مجال عملنا.

لقد كنت معمّماً منذ أن كنت في سنّ العاشرة؛ بل قبل ذلك، فكنتُ أرتدي عمامة وقباء. منذ أن ارتدتُ المدرسة ذهبتُ مرتدياً القباء، وكنت أذهب حاسر

---

١. ذكر سماحة السيد الخامنئي هذه الخاطرة في عام ١٩٩٧م.

٢. هذه الأبيات من ديوان حافظ، غزل رقم ١٥٣ و١٨٤. معنى البيت الأول: في وقت السحر وعندما تُشرق الشمس على الجبال، طرق صاحبي بيده الحنونة على باب كوخ المؤملين. ومعنى البيت الثاني: رأيتُ أن الملائكة طرقوا باب الخمارة وكانوا يعجنون طينة الإنسان مع الخمر. إشارةً إلى أن عشق الله مجبول في طينة الإنسان - المترجم.

٣. رجل دين أو واعظ.

في محضر الحبيب

الرّأس في فصل الصيف، وفي فصل الشتاء أعتمر العمامة. كانت أمي ابنة رجل دين وإخوتها رجال دين أيضاً؛ لذلك كانت تُجيد لفّ العمامة؛ فكانت تلفّها على رأسي بنفسها. طبعاً؛ كان هذا الاختلاف في اللباس يُسبّب لي صعوبات أمام زملائي؛ حيث كنتُ أرتدي قباءً طويلا، وكان ملفتاً للنظر بعض الشيء، ويُظهرني بمظهرٍ مختلفٍ عن أقراني، لكنني كنت أعوّض ذلك باللّعب، والصّداقة، والمشاكسة وماشابه.. ولم أُصعّب الأمر على نفسي. كما لم يكن سبب ارتدائي لهذا الزّي منذ البداية هو هذه النيّة [أي أن أصبح رجل دين]؛ بل لأنّ أبي كان مخالفًا لكلّ ما يقوم به رضا خان - ومن ضمنها قانون توحيد المظهر الخارجي واللباس - ولا يرغب بأن نرتدي الملابس الّتي يفرضها رضا شاه علينا. فآنذاك كانت هذه الملابس الحالية التي يرتديها الناس الآن، ملابس أجنبيّة أوروبيّة، وكان لدى الشّعب الإيراني ثيابًا محليّة خاصة، لكن رضا شاه أجبر الناس على ارتداء هذه الملابس واعتمار تلك القبّعة، ولم يكن أبي يحب هذا الأمر؛ لذلك ألبسنا مثل ملابسه؛ أي ملابس رجال الدين. طبعًا؛ كان والداي يرغبان في أن أُصبح رجل دين، كما كنتُ أرغبُ بذلك أيضًا، وبدأتُ بتلقّي الدّروس الحوزويّة بدءًا من الصّف الخامس الابتدائي في المدرسة، بالتّزامن مع صفوف المدرسة.

كان لدي ضعفٌ في النّظر [منذ الصغر]، ولم يكن أحد يعلم بذلك، وجُلّ ما كنتُ أعرفه أنني أعجز عن رؤية الأشياء جيداً. مرّت عدة سنوات وعرفتُ بنفسي أنني أُعاني من ضعفٍ في النّظر، وعندما علم أبي وأمي اشتريا لي نظّارة، فوضعتُ نظارةً عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، لكن في مرحلتي الدراسية الأولى، كنت أعاني من هذا الأمر؛ فلم يكن بمقدوري رؤية المعلّم ولا السبّورة جيدًا، مما سبّب لي الكثير من المشاكل الدّراسية.

في نهاية المرحلة الابتدائية تلك - أي الصّف الخامس والسادس - كان برنامج محاضرة السيد «فلسفي» يُبثّ من المذياع حديثاً، وكنّا نستمع إليه، وبدوري وعلى الرّغم من صغري، كنتُ أقلّد أسلوبه في الخطابة وأقرأ مقاطع

من كتاب الدين بصوتٍ عال وببطء. كان أستاذي وأمي وأبي يُعجبون بقراءتي ويشجّعونني كثيراً. نعم! كانت هذه الدروس الّتي أحببتُها في ذلك الوقت.

بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، لم أرتد الثانوية؛ أي كنت أدرسها لوحدي ليلاً بشكلٍ تطوعيّ، فقد ارتدتُ مدرسة علوم دينية، وكانت دروسي العاديّة هي الدّروس الحوزوية. كنتُ آنذاك قد تجاوزتُ الثانية عشرة من عمري، وكنت أفكّر في مستقبلي منذ ذلك الحين؛ أي بأن أصبح رجل دين. طبعاً؛ لم يكن طلب العلم والحوزة يحولان دون لعبي آنذاك أبداً؛ صحيح أنني كنت أعتمرُ العمامة، لكن عندما كنتُ أذهب للّعب أتركها في البيت، وأخرج إلى الزقاق وأركض بذلك القباء وألعب كغيري من الأطفال. وعندما كنتُ أرافق والدي إلى المسجد، أعتمرُ العمامة وألبسُ العباءة. كما كنتُ أذهب على تلك الحال وبذلك الوجه الطفولي إلى المدرسة.

يوجد في العتبة الرّضوية المقدسة في مشهد مكتبةٌ جيدة جـداً، وفي المرحلة الأولى من دراستي الحوزوية - في سنّ الخامسة عشرة والسادسة عشرة من عمري - كنتُ أزورها أحيانًا، وأنكبُّ على المطالعة؛ بل وأغرق فيها بحيث لا ألتفتُ لصوت الأذان يصدح من المكبّر، على الرغم من أن صوته كان قويًا مسموعًا من داخل المكتبة عند الظّهر، وكنتُ ألتفت إلى حلول الظهر بعد مرور مدة من الزمن؛ فكنت آنس بالكتاب. طبعاً؛ الآن وقد ناهزتُ السّتين من عمري أطالع أكثر من كثيرٍ من الناشئة أيضًا.

لم أكن قد بلغتُ بعدُ عندما قمتُ بأعمال يوم عرفة [لأول مرة]، علمًا أنها تستغرقُ وقتاً طويلاً قد يصل إلى عدّة ساعات. وكما تعلمون، تبدأ الأعمال بعد صلاتَي الظهر والعصر، وإذا أراد الإنسان أن ينجزها كلّها ربما تستغرق حتى الغروب في الأيام غير الطويلة كثيرًا.

لقد كانت أمي من أهل الدّعاء والخشوع، وكانت تهتمّ بالأعمال المستحبة.

في محضر الحبيب

لا زلت أذكر حتى الآن أنه في تلك الأيام، كنتأذهب معها إلى باحة منزلنا وكان الوقت صيفًا أو خريفًا، والأيام طويلة نسبيًا، وكان الطقس حارًا، فنجلسُ في مكانٌ مظلّل، نفرشُ سجادةً ونؤّدي الأعمال هناك لساعات، عملًا باستحباب تأدية أعمال يوم عرفة تحت السماء؛ فنقرأ الأدعية والأذكار ونُؤدي الصلاة. وكنّا نتناوب على القراءة، فتارةً أمي تقرأ، وأخرى أنا أو بعض إخوتي وأخواتي. هكذا كانت مرحلة مراهقتي وشبابي، فترة الأنس بالمعنويات والدعاء والمناجاة.

ربما كنتُ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمري عندما جاء المرحوم «نواب صفوي» إلى مشهد. شُددتُ إليه كثيراً وكان جذابًا جدًا بالنسبة لي ولأقراني لشدّة ما كان هذا الإنسان مخلصاً، وصادقاً، وشجاعاً، وصريحاً. يمكنني القول إنني من هنا أحببتُ المسائل المتعلّقة بالجهاد أو ما نسمّيه بالنّضال السياسي.

أذكر أنّ أحد أصدقائنا كان قادماً من باكستان، وأخبرنا أنه بينما كان في الحديقة الفلانية، رأى الشخص الفلاني يسلّم فلاناً منشورًا. تعجّبتُ حينها؛ إذ كيف يمكن لأحدٍ أن يعطي آخر منشورًا! وقد تعجّب هو من تعجّبي، وقال: لم لا يمكن ذلك؟! إنها حديقة، ويمكن أن يُخرج الشخص المنشور ويُعطيه للشّخص المقابل. فقلت: «كيف يمكن هذا؟!»

وتعود هذه الحادثة إلى مرحلة نضالنا؛ أي بعد مرحلة مراهقتي، فالتّضييق السياسي كان شديدًا جداً، والضّغوطات في إيران كانت كبيرة إلى درجة أننا لم نكن نتصوّر أنه يومًا ما سنتمكّن من أن نتكلّم عن المواضيع السّياسية بشكلٍ صريح وعلنيّ في وضح النهار أمام أعين الآخرين، أو أن نتبادل المناشير [السياسية]، فكانوا يُلقون القبض على النّاس لأصغر التّهم ويُداهمون بيوتهم.

لقد داهموا منزلنا - منزل والدي ومنزلي - عدّة مرات، وفتّشوه وصادروا أوراقي وكتاباتي مرارًا؛ وقد صودرت الكثير من كتاباتي، ومدوّناتي العلمية وغيرها.

وعندما صادروها لم يعيدوها، أو أعادوها ناقصة.

كما أُلقي القبض عليّ ستّ مرات أيضًا؛ وتارة أودع في السجن وأخرى أُنفى، وقد استغرقت هذه الأحداث ما يقارب ثلاث سنوات. لقد كانت تلك المرحلة صعبة جداً على الإيرانيين.

في مرحلة النّضال، كنتُ أقدّم درس تفسيرٍ للشباب والجامعيين في مشهد، وعندما وصلنا إلى الآيات التي تتناول موضوع «بني إسرائيل»، كان لابدّ من التطرّق إلى تفسيرها وشرح ما يخصّ هذا الموضوع، فتكلمتُ آنذاك قليلاً عن بني إسرائيل واليهود. بعد مدة قصيرة، ألقوا القبض عليّ لا بتلك التهمة، بل بتهمة أخرى؛ وأخذوني إلى السجن. أثناء الاستجواب، كانت من الإدانات التي وُجهت إليّ أنني تكلمتُ حول إسرائيل واليهود؛ أي إذا قام أحدهم بتفسير آية تتحدّث عن بني إسرائيل وتناول هذا الموضوع، كان يتعرّض للمُساءلة لاحقاً أنّه لماذا ذكر هذه الآية من القرآن؟! ولماذا تفوّه بمثل هذا الكلام؟ ولماذا أساء في كلامه لبني إسرائيل؟ فالأوضاع السياسية كانت سيئة وصعبة لهذه الدرجة! وكانت السياسات [المتّبعة في الحكومة] ضدّ الشّعب وعلى هوى أصحاب السلطات[1].

شحّ خبز القمح

قبل عدّة سنوات، قلتُ في مقابلةٍ تلفزيونيّة إنه بعد الحرب (في عام ١٩٤٢م) وعلى الرغم من أن الحرب لم تندلع في إيران آنذاك، وكانت حربًا عالمية لا علاقة لإيران بها، لكن من انعكاساتها على إيران الشحّ في خبز القمح، وانقطاعه من السوق بحيث لم يعُد بالإمكان الحصول عليه لمدةٍ طويلة. لقد كنتُ صغير السن آنذاك، لكنني أتذكر بشكلٍ إجمالي، كنّا نأكل خبز الشعير في منزلنا، وكانت تلك من أصعب الأيام على الناس؛ حتى لم يكن هناك سُكر أيضاً ليُتناول مع الشاي[2].

---

١. الحوار الودّي لقائد الثورة مع مجموعة من الفتية والشباب بتاريخ ٣/٢/ ١٩٩٨م.

٢. من خطابه في لقاءٍ مع الأساتذة ومسؤولي الأمور الثقافية في إيران ومجموعة من العمال

الميرزا حسين تديّن كرماني

كان المرحوم «الميرزا حسين تديّن كرماني» معلّم المدرسة الابتدائية التي كنتُ أرتادها في مشهد، وكانت هذه المدرسة الدّينية الوحيدة هناك، واسمها «دار التعليم ديانتي». لقد درستُ في هذه المدرسة لمدة ستّ سنوات على يد السيد تدين، ولقد كان رجلاً قديرًا بالفعل، ولم يكن شعوري هذا تجاهه في صغري فقط؛ بل عندما جاء لزيارتي في مشهد أثناء مرحلة رئاستي للجمهورية، وجدتُه وقورًا، ومخضرمًا، ومحترمًا، وذا شخصية [مميّزة]. كان معلماً وناظراً أيضاً، يتمشّى في ملعب المدرسة بوقاره وهيبته تلك وهو يحمل عصاً بيده يؤدّب بها الأولاد أحياناً، وقد نلتُ حصّتي منها في إحدى المرات.

لقد كان تديّن رجلاً محبوباً، وقد أحببتُه منذ صغري، ولربّما كانت هذه المشاعر نفسها التي يكنّها جميع الأطفال تجاهه. عندما أنهيتُ دراستي في تلك المدرسة، التحق أحد إخوتي بها، وبقيتُ ألقي على السيد تديّن التحية وأسأله عن أحواله. في أوّل الشهر، وعندما ذهبت لأدفع المستحقّات المالية عن أخي، وجدتُه كما في السّابق بنفس الأخلاق وشخصيّته المحترمة والرجولية والإدارية فعلاً، والّتي تتجاوز إدارة مدرسة ابتدائية. لقد كان ذا هيبة في المدرسة، كان لدينا مكانٌ في المدرسة يدعى مكان العقاب؛ حيث يُعاقب الأطفال هناك، وقد عوقبتُ هناك مرّة أيضاً. كان ذلك المكان مكاناً للعقاب وجمع النّفايات نوعاً ما؛ أي كان على الأطفال عندما يأكلون البطيخ والشمام أن يرموا قشوره هناك. وعندما كان تديّن يمشي في المدرسة كان يُخاطب الأطفال بلهجته الكرمانية تلك: «كل من يأكل الفاكهة فليرم قشرها في مكان العقاب»، ولا تزال جملته هذه تتردد في أذني بعد مرور هذه السّنوات[1].

بمناسبة يوم المعلّم واليوم العالمي للعمال بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢م.

١. خطابه في لقاء مع المثقفين والأساتذة في كرمان بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢م.

شَعَر صديقي بالخجل..

أحد الإجراءات التي نفّذها رضا شاه في هذه البلاد هو تشويه سمعة علماء الدين، وقد كان ذلك من تخطيط البريطانيين والأيدي الخفيّة خلفه بلا شكّ، فمثل هذه الأفكار لا تخطر على باله هو أو أعوانه. طبعًا؛ لم يكتفِ رضاشاه بنزع العمائم [وإصدار قانون بمنع ارتدائها]؛ بل عمل أيضًا على تشويه سمعة رجال الدين، وأوصل الأمر لدرجة أنّ الأطفال كانوا يسخرون منهم عندما يرونهم في الأزقة والشوارع، وأصبح هذا الأمر عرفاً سائداً بين الناس.

بدأت هذه الأوضاع في عامي ٥٠ و٥١؛ أي عندما كنتُ في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمري، واستمرّت حتى بعد مضيّ عشرة أعوامٍ من رحيل رضا شاه وتقريبًا إلى ما قبل الثورة بقليل؛ حيث كنت طالبًا حوزويًا حينها.

لقد كان لدينا تنظيماتٌ وجلساتٌ مهمّة في مشهد، وكان العديد من الطلّاب الجامعيين والأساتذة يأتون ويُشاركون في درس التّفسير الذي أُلقيه. [في أحد الأيام] كنت أنوي الذهاب إلى طهران مع أحد أصدقائي، وكان الأخير شابًا مثقّفاً قد أنهى دراسته، وبينما كنّا نتمشّى في محطّة القطار بانتظار موعد رحلتنا، جاء عدّة شباب بأوضاعٍ وهيئة غير مناسبة ممّن يُقلّدون النّمط الأوروبي في الملبس ويرتدون سراويل جينز والتي كانت قد درجت حديثاً في إيران، وأخذوا يسخرون منّي حتّى شعر رفيقي بالخجل. لقد كانت هذه السّخرية سائدة في ذلك الحين، ولم تكن تختصّ بفئةٍ معيّنة أو بالأطفال فقط[1].

استشهاد نَوّاب وأنصاره

لا أنسى اليوم الّـذي وصل فيه إلى مشهد خبر استشهاد أولئك الشّباب

---

١. خطابه في لقائه مسؤولي المحكمة العامة والمحكمة الخاصة برجال الدين بتاريخ ١٩٩٠/١١/٤م.

المخلصين المؤمنين الفدائيين[1]. شاعت بين الطلاب الشباب في الحوزة التي كنتُ فيها، أجواء حماسيةً عجيبة؛ فقبل عام أو عامين، كان المرحوم نوّاب الصفوي قد زار هذه الحوزة، وألقى خطاباً فيها، وصلّى مع الشباب جماعة، وأشاع جوّاً حماسيًا بينهم. لذا؛ كان لاستشهاده أثر واضح على معنويات الشباب، ولقد أشار أحد الأساتذة الكبار إليه وذكره خلال الدرس. كان المجتمع غافلاً عن أهمية الثورة آنذاك، وكانوا ينظرون إلى هؤلاء على أنهم عبارة عن عدّة أشخاص يُجيدون إطلاق الرصاص على الناس فقط؛ بل إنّ كبار ذلك النظام المتجبّر والمنحوس، والّذين كانوا هم أنفسهم أوغاداً وأشراراً وسيئي الخُلق ومظهراً للرذائل، كانوا يُطلقون لقب الأشرار على هؤلاء الشّباب المؤمنين الصّالحين، والفدائيين المخلصين، والزّاهدين بالدنيا وزخارفها. وكان بعض الناس يعرفونهم بهذه الصّفة، ويُصدّقون ذلك، [طبعًا] والبعض الآخر لم يكن يصدّق، والبعض غافلٌ أساسًا [عنهم وعن موضوعهم].

لقد غفلوا عن مسألة فدائيي الإسلام، كما لم تكن الأرضية مناسبة آنذاك لتنفيذ الشّعارات التي قاموا لأجلها - أي إقامة الحكومة الإسلامية -، فهذا الأمر يستلزم حراكاً جماعياً طويل الأمد، فضاعت كلمات هؤلاء بين صريخ الأعداء السّكرة وعربدتهم[2].

زيارتي الأولى لهمدان

اليوم وبينما كنتُ أستعدّ للمجيء إلى هنا، تذكرتُ أمراً، ولا ضير في أن أذكره لكم؛ وهو أن زيارتي الأولى إلى همدان كانت في السّتينات من أجل المشاركة في اجتماعٍ يخص الشباب؛ حيث لم أكن قد أتيتُ إلى همدان قبل ذلك الحين. إن

١. إشارة إلى شهادة السيد مجتبى نواب الصفوي قائد فدائيي الإسلام وأنصاره؛ السيد محمد إمامي، ومظفر ذو القدر، وخليل طهماسبي؛ حيث تم إطلاق الرصاص عليهم ليلة ١٩٥٦/١/١٨م، وذلك بعد محاكمتهم شكليًا.

٢. من خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٩٧/١/١٧م.

في محضر الحبيب

السيد «آقا محمدي» هذا الموجود هنا الآن، كان شاباً في العشرين من العمر آنذاك، جاء يومها إلى طهران والتقى بي، وقد كنت في طهران صدفةً، وقال لي: «نحن مجموعة شبابٍ من همدان، تعال واخطب فينا». لا أعرف من الّذي دلّه عليّ، لكن سألته: «إلى أين عليّ أن آتي عندما أصل إلى همدان؟»، فأعطاني عنواناً وطلب منّي الذهاب إلى هناك.

ذهبتُ في اليوم المحدّد، ولم يُعطوني حتى أجرة النقل. ذهبتُ واشتريتُ تذكرة حافلة، وانطلقتُ عصراً، ووصلتُ إلى همدان بعد خمس أو ستّ ساعات حيث كان الليل قد حلّ. حملتُ العنوان وبدأتُ أسأل عنه، فدلّوني على شارعٍ قريبٍ من دوّار، ثمّ دخلتُ بعدها إلى زقاقٍ يقع فيه منزل «السيد كاظم أكرمي»، وهو السيد أكرمي نفسه الذي كان وزيراً ونائباً وهو الآن أستاذ جامعة في طهران. كان حينها شاباً أيضاً، لكنه أكبر سناً من السيد «آقا محمدي»، وكان أستاذاً عادياً في همدان. كان السيد أكرمي بانتظاري، فتبيّن أنّني سأحلّ ضيفًا في منزله في تلك الليلة.

في اليوم التالي، اصطحبوني إلى مسجدٍ صغير يجلس فيه حوالي عشرين أو ثلاثين شاباً، وجميعهم تلامذة. عندما كان هذا الشاب العزيز التلميذ يتكلّم الآن، تذكرتُ ذلك الاجتماع وتجسّد المشهد أمام عينَيّ. لقد كانوا في مثل سنّه، كانوا قد صفّوا الكراسي، وطرحتُ بدوري موضوعًا جذّابًا يشدّهم، واستغرق كلامي أكثر من ساعةٍ بقليل.

عندما نهضتُ لأغادر، لم يسمح لي هؤلاء الشباب بتركهم، وكانوا يُصرّون علَيّ للاجتماع بهم ثانيةً؛ ولأنّ صلاة الجماعة كانت تُقام هناك، ومن المقرّر أن يأتي إمام الجماعة، انهمكوا بجمع الكراسي والطاولات على عجل، وأخذوني إلى غرفةٍ صغيرة تقع أعلى ذلك الطابق، وبدأتُ بالكلام مع هؤلاء الشباب، ولم أحسب الوقت بعدها.

لقد كانت هذه زيارتي الأولى لهمدان، وبعض أولئك الشباب الّذين تعرّفتُ عليهم في ذلك اليوم، هم الآن أشخاص معروفون ناشطون في بلدنا العزيز في نظام الجمهورية الإسلامية[1].

منطق نائب في البرلمان الوطنيّ

في عام ٦٥ أو ٦٦ في مشهد، ذهبتُ للقاء أحد الأصدقاء، واتّفق وجود أحد نوّاب البرلمان الوطني في اجتماعنا ذاك. كان ذلك في زمن شبابنا وحماسنا، وكانت المواضيع التي نتكلّم عنها هي التبعية وسيطرة الأجانب ومثل هذه الأمور، وذلك دون التفاتٍ إلى أنّ ذلك الرجل هو نائب في البرلمان. [ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ] نائب البرلمان حينها كان يُعيَّنُ ضمن قائمة تُحدّدها الدولة لكي يكون نائباً عن المنطقة الفلانية من دون إجراء انتخابات واقتراع. يومها أجاب على كلامي بفرعنة وتكبّر وغضب، ومن ضمن الأمور التّي قالها: «ما هذه التّرهات التي تتفوهون بها؟! وعلى ماذا تعترضون؟! إنّ الأوروبيين والغربيين اليوم يعملون في خدمتنا مثل العبيد؛ فنحن من نملك النفط والمال، وهم عمّال عندنا ويعملون لدينا مثل الخدم». هذا هو منطق نائب البرلمان في تلك الأيام! فعندما نتكلّم عن زمن الانحطاط، هذا ما نقصده. كانت الأفكار على هذه الشّاكلة؛ أنه لماذا علينا أن نُنتج بأنفسنا؟ لماذا علينا أن نبني؟ لماذا علينا أن نتعلّم؟ سنجلس في بيوتنا مثل الأسياد، وهم يُحضرون لنا ما نحتاجه ويضعونه بين أيدينا، نحن نملك ثمن النفط، سندفعه ونعيش حياتًا مترفة. هذا هو المنطق السياسي الذي كان سائداً على أعلى المستويات في تلك الأيام[2].

---

١. من خطابه في لقاء الشباب، والأساتذة، والمعلمين وطلاب جامعات محافظة همدان بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠٠٤م.

٢. من خطابه في لقاء مجموعةٍ من المهندسين والباحثين المهنيين والصناعيين في إيران بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٣م.

فرحتُ من أعماق قلبي

قبل ثلاثين أو أربعين عاماً، دخلتُ إلى عالم الترجمة، واستعنتُ ببعض كتابات السيد «آرام». لقد كان عمله يُشجّعني على الدّخول إلى عالم الترجمة والأنس به. آنذاك يبدو أنه كان قد وجد نصاً في بيروت وترجمه، وعندما قرأتُ ذلك النّصّ وجدتُه بالفعل مسبوكًا، ومتيناً، وخاليًا من الحشو والكلام الزائد؛ حيث يأنسُ الإنسان عند قراءته. والآن أيضاً عندما أنظرُ إلى كتاباته أجدها هكذا. طبعاً؛ باقي الإخوة هكذا أيضاً.

في ذلك الوقت واجهتُ مشكلةً؛ حيث كنتُ أُترجم كتابًا ولم أفهم إحدى الكلمات، وفكرتُ بشخصٍ يمكنني أن أسأله، وبينما كنتُ في طهران صدفةً؛ تذكّرت السيد آرام. سألتُ الزملاء عن مكانه، فقالوا لي إنه في مؤسسة «فرانكلين». ذهبتُ إلى هناك وقابلته، وقد لا يتذكّر ذلك. وكان جادّاً جداً وعبوساً، ولم يُعرني اهتماماً كثيراً كما أنني لم أتضايق من ذلك، فكنتُ قد ذهبتُ للقائه من أجل عملي، وأردتُ أن أحلّ مشكلتي، وقد ساعدني في حلّها، فشكرتُه وخرجت.

في العام الماضي رأيتُ السيد آرام في مقابلة تلفزيونية. وعندما رأيتُه نشيطاً وحيوياً، فرحتُ من أعماق قلبي بأنه - والحمدلله - لا يزال بصحّته وعافيته[1].

كان هدفنا أداء الواجب منذ البداية

لقد بدأنا مواجهتنا من أجل الإسلام ومن أجل الله، ولم يكن هدفنا طلب السّلطة والسيطرة على الحكم. كنتُ قد سألتُ إمامنا العزيز (أعلى الله كلمته) مرارًا أن متى خطر على بالك إقامة حكومة إسلامية؟ وهل فكّرت بهذا الموضوع مسبقاً؟[2] فأجاب: «لا أذكر متى بالضّبط خطرت مسألة الحكومة على بالي،

---

١. من خطابه خلال اللقاء بأعضاء معهد اللغة الفارسية وآدابها بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٦م.

٢. طُرح هذا السؤال كان لأن سماحة الإمام بدأ عام ١٩٦٨م بتدريس «ولاية الفقيه» في النجف،

لكنني منذ البداية كان همّي البحث عن الواجب والتكليف والعمل به، وما حصل بعدها كان بإرادة الله تعالى»[1].

منبر المرحوم السيد النائيني

لقد كنتُ حاضراً في قم في درس ذلك الرجل الكبير، آية الله النائيني، عندما جلس للتدريس على المنبر لأوّل مرة؛ حيث كان في السابق يجلس على الأرض ويُلقي الدرس، لكن بعد مدّة، ومع ازدياد عدد الطلّاب أرادوا أن يروا وجهه ويسمعوا صوته جيداً، فأصرّوا عليه كي يعتلي المنبر [ويُلقي الدرس من هناك]. وأظنّ أنه وافق على ذلك بعد وفاة المرحوم آية الله العظمى البروجردي (رضوان الله عليه)، فهو لم يرتقِ المنبر طيلة حياة ذلك العظيم.

لقد أمضى هذا الرجل العظيم جلّ حياته بالنصيحة. وفي ذلك اليوم أيضًا، بعد أن صعد المنبر أوّل ما بدأ به ذكر «بسم الله»، ثم بكى وقال: «هذا هو المنبر الّذي جلس عليه الشيخ الأنصاري، وعليّ ارتقاؤه والجلوس عليه الآن». ومن هنا بدأ ينصح الطلّاب بأن اعرفوا ماذا تفعلون، واعرفوا حجم هذه المسؤولية وثقلها. طبعاً؛ لا أتذكّر التفاصيل التي قالها يومها، لكنه عندما قال هذه الكلمات كان على مستوى أستاذ كبير وفقيه قدير مستعدّ للمرجعية. إنّ الشعور بالمسؤولية أمرٌ مهمٌ إلى هذه الدرجة[2].

هؤلاء سيرحلون

إنّ اليوم الثاني والعشرين من شهر «مارس» عام ٦٣ شاخص أمام عينيّ الآن؛

ووصل ٤٨ شريطًا مسجلًا منها إلى إيران.

١. من خطابه في مراسم بيعة الأساتذة، والفضلاء، وطلاب حوزة مشهد العلمية، وبحضور ممثّل ولي الفقيه في خراسان ومتولي العتبة الرضوية المقدسة بتاريخ ١٩٨٩/٧/١١م.

٢. من خطابه في لقاء مجموعة من الأفاضل والطلاب ورجال الدين في مشهد بتاريخ ١٩٩٠/٣/٢٤م.

فبعد ما حدث في المدرسة الفيضية والأحداث التي تلتها، أتيتُ أنا والأصدقاء إلى هنا[1]؛ فالجميع كان قلقاً ممّا سيحصل في هذا المنزل؟!

دخلنا من باب الفناء الصّغير ذاك، ورأيناه واقفاً في زاوية الدّار مشغولاً بإقامة صلاتَي المغرب والعشاء، ومعه مجموعةً يأتمّون به. لقد كان شامخًا كالجبل والطمأنينة تملأ وجوده وتقضي على كل اضطراب، وكأنّ شيئًا لم يحصل. وبعد أن أنهى الصلاة، صعد السلالم ودخل إلى الغرفة التي تقع على جهة اليسار، وجلس هناك، واندفع الطّلاب نحوه ليسمعوا خطابه. ومن ضمن ما قاله في ذلك اليوم وكان وقعه قوياً تمامًا كجوّ الاختناق الحاكم وسيطرة النظام الظالم والمعتدي: «هؤلاء سيرحلون وأنتم ستبقون، ولقد رأينا ما هو أصعب من هذا، تحمّلوا واصمدوا»[2].

مما تكرّر مرارًا

في ذلك النظام[3]، كنتُ أرى أنه حتّى الضباط رفيعو المستوى كانوا يتعرّضون للإهانة. أحد القادة المعروفين ومن أولئك الأشخاص الخبثاء المتوحشين - علماً أنه مات الآن ولا أرغب في ذكر اسمه - كان في مشهد عام ٦٣، ولقد كنت في السجن آنذاك؛ حيث كانوا قد أخذوني إلى هناك حتى يُسلّموني، ورآني ذلك الشخص وجاء نحوي. آنذاك كان برتبة عميد ويُحيط به بعض العقداء، وكان يُوجّه إليهم الإهانات بحيث أثار تصرّفه تعجّبي. لم يُفكّر قط بأنّ هناك سجيناً مخالفاً للنّظام أمامه. ولقد كنت في أول شبابي وأتمتّع بصفات الشباب، فلم يكن من المناسب أن يتصرّف أمامي على هذا النحو؛ إلا أن هذا الضابط لم يكن لديه أيّ مانع، ولا الّذين يتعرّضون للإهانة؛ فلم يبدُ أنهم يُمانعون من ذلك. لقد

---

١. منزل سماحة الإمام الخميني في قم.

٢. من خطابه أثناء زيارته منزل الإمام الخميني في قم بتاريخ ٢٠/ ١٩٩٢/٢م.

٣. يقصد نظام الشاه والحم البهلوي - المترجم.

رأيتُ مراراً ما يُشبه هذه القصة، وهذا أحد الموارد فقط[1].

من أجل بيت شعر

في عام ٦٣ سُجنتُ في سجن «قزل قلعة»، كما أحضروا عدّة شبابٍ طهرانيين في الوقت نفسه. سمعتُهم يتكلّمون من وراء باب الزّنزانة، وعرفتُ أنه أُلقي القبض عليهم حديثاً. فرحتُ بعض الشيء، وقلتُ [في قرارة نفسي] بعد عدّة أيام سينتهي التّحقيق، وستتحسّن الأوضاع في الزنزانة الانفرادية، وسأتمكّن من التّواصل مع هؤلاء وسأحصل على رفيقٍ في نهاية المطاف.

عندما حلّ الليل، سمعتُهم ينادونهم واحدًا تلو الآخر ويأخذونهم. بعد ساعة، انشغلتُ بصلاة العشاءين، وبعد فراغي من الصلاة، رأيتُ أحدهم يفتح شباك زنزانتي ويقول: «أيها السيد! لقد عُدتُ» وكان أحدَ أولئك الطهرانيين. قلتُ له: «افتح الباب وادخل»، فدخل وسألتُه: «لماذا عُدتَ بهذه السّرعة؟». تبيّن أنهم ألقوا القبض عليهم عند منبر المرحوم الشهيد باهنر؛ حيث كان الشهيد قد اعتلى منبر المسجد الجامع في طهران في شهر رمضان عام ٦٣، فداهمهم السّافاك، وقبضوا على مجموعةٍ من المتواجدين هناك عشوائياً، وكان هؤلاء الخمسة أو الستة من بينهم. كما ألقوا القبض على الشهيد باهنر وسجنوه في «قزل قلعة» أيضاً. وعندما استجوبوهم، وجدوهم أناساً عاديين ليس لديهم أنشطة خاصة، وعزموا على تركهم، لكن عندما فتّشوا جيوبهم، وجدوا مفكّرةً صغيرةً في جيب هذا الشخص، وقد كُتب على إحدى صفحاتها بيت شعرٍ عامّي خاطئ وبخطٍ سيّئ:

انقلوا هذه العبارة عن كل كبير وصغير

ألا لعنة الله على الشّاه رضا الكبير[2]

---

١. من خطابه في لقاء القادة العسكريين بتاريخ: ١٢/١/١٩٩١م.

٢. بيت الشعر الفارسيّ: جمله بگوييد از برنا وپير لعنت الله رضا شاه كبير - المترجم.

لم يكن هذا الشّخص قد هتف بشعار [علَناً ضدّ الشاه]، أو طبع بيت الشّعر هذا، كما لم يذكره في مكانٍ ما؛ بل فقط كتبه في مفكّرة صغيرة، ومع هذا سجنوه ستة أشهر لارتكابه هذا الجُرم[١].

محاكمة بسبب خمسة خراطيش

في عام ٧٠ في السجن، رأيتُ شخصاً حُكم عليه لمدّة ستة أشهر بسبب خمسة خراطيش لم يكن قد سلّمها. فآنذاك كنتُ في سجن الجيش؛ حيث كانوا يعتقلون المحكومين السياسيين والأمنيين فيه غالباً؛ على الأقل في بداية العمل كان الأمر على هذا النحو. وعندما أحضروه، سألتُه عمّا جرى، فأخبرني بأنه كان قد ذهب إلى الجبل لإطلاق الرصّاص بهدف التّدريب والمناورة، وأثناء العودة وجد الخراطيش ناقصة، فحوكم في المحكمة [وجرت إدانته]، لكنّه كان في أواخر مدّة خدمته [العسكرية الإجبارية]، وكانت خدمته حسّاسة، فلم يعتقلوه في حينها، لكن عندما أنهى الخدمة وذهب لتصفية حسابه، أعطوه ورقة وأرسلوه إلى السجن. هو أيضاً لم يكن يُصدّق أنه سيبقى طيلة هذه المدّة في السجن. إن الظّلم من خصوصيات ذلك النظام بالطّبع، ولم يكن بمقدوره اجتناب ذلك[٢].

الإمام وحادثة ١٥خرداد[٣]

لطالما فكّرتُ في هذا الأمر، وهو أنّ حادثة المدرسة الفيضيّة في الثاني من فروردين [٢٢ آذار][٤]، كانت حدثًا صغيرًا مقارنةً بـ [انتفاضة] ١٥ خرداد؛ بل

---

١. من خطابه في لقاء الطلاب وأساتذة جامعات محافظة كرمان بتاريخ: ٩/ ٥/ ٢٠٠٥م.

٢. من خطابه في لقاء قادة قوات الشرطة بتاريخ: ١٢/ ١/ ١٩٩١م.

٣. انتفاضة ١٥ خرداد؛ أي ٥ يوليو ١٩٦٣م؛ حيث ألقى الإمام الخميني رحمه الله خطابًا في المدرسة الفيضية أسفر عن اعتقال الإمام الخميني، وبعد يومين خرج الناس في مظاهرات ضخمة احتجاجًا على اعتقال الإمام الخميني - المترجم.

٤. في بداية عيد النوروز المصادف ٢١ آذار عام ١٩٦٣ ألقى الإمام الخميني خطابًا وأعلن أنه لن يكون هناك عيد للشعب الإيراني في هذا العام لما يحدث من تجاوز على الأحكام الإسلامية.

لا مجالٌ للمقارنة بينهما. بدأت الحادثة [في المدرسة الفيضية] قبل ساعة أو ساعتين من غروب الشمس، واستمرّت حتى الساعة الواحدة ليلاً؛ أي أنّهم ولمدّة ثلاث أو أربع ساعات اعتدوا على طلّاب العلم في مدرسة الفيضية ضربوهم، وهدّدوهم وأهانوهم، وبشكلٍ أدقّ؛ حاصروهم في شوارع قم الأساسيّة. وعلى حدّ علمي أنه قُتل شخصٌ أو شخصان في تلك الحادثة، وأُصيب عددٌ أكبر بالجراح. وعلى الرّغم من أن تلك الحادثة لم يكن فيها أبعاد كثيرة، لكن الإمام استطاع أن يستغلّها في تحريك الشّعب الإيراني. وانتفاضة ١٥ خرداد حصلت بشكل عفويّ، وليس الإمام من أوجدها حيث كان يومها سجينًا؛ بل كانت نتيجةَ خطابه في الثاني من فروردين، وأنا أخبرتُ الإمام بهذا الأمر في ذلك العام نفسه.

فبعد مرور سنة من انتفاضة عام ٦٤؛ وكان قد أُطلق سراحي، واستطعتُ بطريقة ما الذّهاب لرؤية الإمام، وكان يسكن منزلاً في منطقة «قيطرية». في تلك اللحظات الّتي استطعتُ أن أكون في محضره، وأن أُقبّل يده، أخبرتُه بهذا الأمر وأنا متأثر لرؤيته؛ فقلتُ: «إنّ عدم تواجدك خارج السجن ضيّع فرصة الاستفادة من انتفاضة ١٥ خرداد بعظمتها تلك». فأمثالنا نحن الذين كنا خارج السّجن لم نتمكّن من استغلال الانتفاضة عُشر أعشار استغلال الإمام للثاني من فروردين. لكن بعد خروج الإمام من السّجن ونفيه، جعل ١٥ خرداد مصدرًا للبركات؛ من خلال الإشارة إليه في كلماته وخطاباته لإيقاظ الناس، وإحياء الرّوح الجهادية فيهم، واستقطاب الشباب إلى الخطوط الأمامية بشكلٍ لم يتمكن أيّ أحدٍ من القيام به خلال السّنة أو الأشهر الثمانية أو التسعة التي كان الإمام خلالها في السجن بعد وقوع حادثة بتلك العظمة[1].

وإثر ذلك في ٢٢ من آذار من العام نفسه هاجمت عناصر الشاه المدرسة الفيضية، واعتدت على طلاب العلم هناك بهدف إرعاب الناس وإرهابهم - المترجم.

١. من خطابه خلال اللقاء بالمسؤولين والمؤلّفين والفنانين في «مكتب فن وأدب المقاومة» التابع لمؤسسة التبليغ الإسلامي بتاريخ ١٩٩١/٧/١٦م.

مَن المسؤول عن هذه الدماء؟!

قيل يومًا للإمام: «إذا استمرّيتُم في هذا الطريق، فمن الممكن أن يتمّ تأليب جميع العلماء الكبار والمراجع وإثارتهم ضدّكم»؛ أي سيحصل خلافٌ في العالم الإسلامي. قد ترتجف قلوب الكثيرين في مثل هذه المواضع، لكن قلب الإمام لم يرتجف، وأكمل الطريق حتى وصل إلى نقطة انتصار الثورة الإسلامية. قيل للإمام مراراً: «أنت تُشجّع الشّعب الإيراني لمواجهة النّظام البهلوي والوقوف بوجهه، لكن مَن المسؤول عن هذه الدّماء؟»؛ أي وضعوا الدّماء ودماء الشباب مقابل الإمام رضي الله عنه. في العام ٦٣ أو ٦٤، قال لي أحد العلماء الكبار: «عندما قام بانتفاضة ١٥ خرداد، قُتل كثيرون من خيرة شبابنا، فمَن المسؤول عن هذا الأمر؟» كان هناك مثل هذه الأفكار الضّاغطة التي قد تمنع الكثيرين من الاستمرار في انتهاج هذا الخطّ، لكن الإمام حافظ على ثباته، وكانت عظمة روحه وبصيرته ملحوظة في مثل هذه الحالات[1].

صوت مصطفى إسماعيل يفوق الوصف

لقد أنعم الله تعالى على شعبنا الذي خطى هذه الخطوة وقام بهذا الجهاد بآلاف النعم، وإحدى هذه النعم هو سيادة الأجواء القرآنية ولله الحمد.

أذكرُ أنني في السابق كنتُ أستطيع التقاط بعض موجات الرّاديو بصعوبة، كموجات الإذاعات المصرية. [يومها] سافر أحد أصدقائي رحمه الله إلى مصر، وبقي هناك لعدّة أشهر، و[عند عودته] أحضر معه تسجيلات لـ «أبو الفتاح»، و«الشيخ مصطفى إسماعيل»، و«محمد رفعت» وأمثالهم. كنتُ في البداية معجبًا بشريط كاسيت بصوت أبي الفتاح على وجه الخصوص، وكنتُ أستمع إليه دائماً إلى أن تعرّفتُ على صوت الشيخ مصطفى إسماعيل، وعندها نسيتُ الباقين.

لقد كان صوت الشيخ مصطفى إسماعيل رائعاً يفوق الوصف. وإنّ الأجواء

---

١. من خطابه في الاجتماع العظيم لزوار مرقد الإمام الخميني بتاريخ ١٩٩٦/٦/٣م.

العامّة في إيران اليوم تميل إلى الشيخ مصطفى إسماعيل؛ أي لابدّ لقرائنا التدرّب على نمط قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل بشكل أساسي، وعلى الباقين بشكلٍ أقل. أعتقد أنّ أُولى بدايات هذا الأمر كان من مشهد ومن مؤسستنا بالتّحديد. ففي طهران، لم يكونوا يعرفون أحداً غير «عبد الباسط»، وهذا ما لاحظتُه في إحدى زياراتي إلى طهران، وكذلك الأمر في المناطق الأخرى.

لكن كان لدينا أشرطة كاسيت للشيخ مصطفى إسماعيل في مشهد، وعندما عزم أحد أصدقائي على السّفر، طلبتُ منه أن يُحضر معه أشرطة الشيخ مصطفى إسماعيل قدر المستطاع. وهكذا فعل؛ إذ أحضر معه أشرطة ممتازة للشيخ مصطفى إسماعيل، وقد أعطيتُها بدوري للسيد «مرتضى فاطمي» الّذي كان يعمل على نسخ الأشرطة. ونتيجةً لذلك أرسلنا كميّة كبيرة من الأشرطة إلى طهران، واشتهر الشّيخ مصطفى إسماعيل. لقد كان أمراً غريباً بالفعل.

لا أعرف إذا كنتم على معرفةٍ بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، إنه يفوق الوصف. لقد قرأ سورة هود والبقرة وآيات داوود وجالوت، والتي كانت ممتازة وجيدة جداً فعلاً[1].

«ريكه بوت»[2] أخر

لا أنسى عندما كنتُ في إيرانشهر؛ في إحدى المرات، وبينما كنتُ ذاهبًا بزيٍّ بلوشستاني[3] بالسيارة تهريبًا من إيرانشهر إلى زاهدان لأُحضر أحد أقاربنا القادم إلى زاهدان. وكنت أتنقّل بالتهريب؛ لأنه لم يكن يحقّ لي المرور من هناك، وكان أحد المنفيين من أهالي «نقده» يرافقني في رحلتي تلك.

---

١. من خطابه في مراسم وداع قرّاء القرآن: الأستاذ شحّات محمد أنور والأستاذ محمد البسيوني بتاريخ ٢٠/ ٢/١٩٩١م.

٢. اسم منطقة قريبة من إيرانشهر - المترجم.

٣. نسبة إلى منطقة بلوشستان.

في محضر الحبيب

أثناء الطريق، كنتُ أنظرُ إلى هذه السّهول المتروكة بحالها من دون أيّ استثمار. ففي تلك المنطقة كما تعلمون سهول منبسطة، مسطّحة وخصبة، قلّما تجدون مثلها، وقد نمت فيها الأعشاب بسبب الرطوبة فيها. ومع أنه لم يكن لديّ أيّ أملٍ حقيقيّ في ذلك الوقت، لكنني قلتُ لرفيقي ممازحاً، كما جرت العادة في المنفى: «سنعيِّنك محافظاً لبلوشستان في التّنظيمات المستقبلية بشرط أن [تعتني بهذه الأراضي لـ] تُصبح مثل ريكه بوت».

(ريكه بوت) بستان قريب من إيرانشهر استلمه الإيطاليون قبل حوالي ثلاثين أو أربعين عاماً - وشجّروه وزرعوه؛ حتّى يُخيّل لمن يدخله أنه في مازندران[1]، ولقد كان كذلك بالفعل؛ [فعلى سبيل المثال] يبلغ طول أشجار الأوكاليبتوس هناك عشرين متراً، في حال لا يتجاوز طول مثل هذه الأشجار في أماكن أخرى المترين أو الثلاثة أو الأربعة. إنّ تلك المنطقة عجيبة من ناحية [خصوبتها و] قابليتها، كذلك حبّة الطماطم كانت تنمو بحجم الشّمام؛ لكنّهم كانوا يرمونها بالطّبع؛ لأنهم لا يستطيعون استثمارها. فبعضها تجرفه المياه [ويتلف]، والبعض الآخر يصل إلينا رغماً عنهم؛ أي إلى الإخوة والمعارف والشيعة الّذين يقطنون هناك، لكنّهم كانوا يرمون أغلبه، أو كانوا يعطوننا البصل الموجود هناك، والذي كان حجمه بحجم الشمام أيضاً، وأنا لا أبالغ في الوصف.

الخلاصة أنني قلتُ لزميلي: إذا عُيّنت محافظًاً على هذه المنطقة، فعليك أن تجعلها كريكه بوت. لكن للأسف؛ لا هو ـ إذ لم يكن بإمكانه القيام بمثل هذه الأمور أساسًا - ولا المحافظون الآخرون الّذين تم تعيينهم بعد التّنظيمات الجديدة، استطاعوا أن يصنعوا «ريكه بوت» آخر في تلك المنطقة[2].

---

١. مدينة تقع في شمال إيران معروفة بنضرتها وخضارها - المترجم.

٢. من خطابه خلال لقاء هيئة القضاة بتاريخ ٢٨/ ١٩٩١/٩م.

عمَل الشهيد بهشتي وباهنر القيّم

في عام ٥٧، كنتُ منفيّاً في إيرانشهر، وقبل النّفي كنتُ قد بدأت مع الشهيد با هنر ومجموعةٍ مؤلفّة من عشرة أو خمسة عشر شخصاً بعملٍ ما، وقد أخذتُ ما بقي من الأعمال إلى إيرانشهر كي أستفيد من الفراغ الموجود في تلك المدّة. في أحد الأيّام جاء الشهيد باهنر لزيارتي، وأحضر معه مجموعة من كتب العلوم الدينية التي كانت قد صدرت حديثاً هديةً لي. وكان الشّهيد باهنر والشهيد بهشتي رحمهما الله والسيد «جلال الدين الفارسي» وأمثالهم، هم من يؤلّفون هذه الكتب آنذاك؛ فالمرحوم الشّهيد بهشتي كان يقوم بالفهرسه والعنونة، ويعمل المرحوم باهنر والسيد الفارسي على التّأليف والكتابة، وكان أغلب العمل يقع على عاتق المرحوم الدكتور باهنر. عندما أحضر تلك الكتب، قال لي: «ألق نظرةً على هذه الكتب. هذا هو مستوى العلوم الدينية الذي نُقدّمه لتلاميذ الثانويات. إذا أردت أنت أن تكتب أيضًا، ينبغي أن يكون أعلى مستوى من هذه». لقد كانت هذه الكتابات المدوّنة بأسلوبٍ شبابيّ، عُصارة ذهن الشهيد بهشتي من المواضيع الإسلامية، وقد أكمل المرحوم باهنر العمل. هذا ليس مستوىً عادياً، إنه مستوى عال جداً[1].

سائقٌ من الخواصّ ورجل دين من العوام

في المرحلة الّتي سبقت انتصار الثّورة، كنتُ منفيّاً في إيرانشهر، وكان يسكن في إحدى المدن المجاورة، عدّة أشخاص من معارفي؛ أحدهم سائق شاحنة، والآخر لديه عملٌ حرّ، ولم يكونا متعلّمين ومثقّفين بالمعنى الخاصّ للكلمة؛ حيث كان يُطلق عليهما آنذاك لقب العوام في الظاهر، لكنهما كانا من الخواصّ [في الحقيقة]. كانا يأتيان لزيارتي في إيرانشهر دائماً، ويُحدّثانني عن نقاشاتهما مع رجل دين مدينتهم. لقد كان رجل الدين هذا شخصاً جيداً، لكنه كان من

١. من خطابه في لقاء العاملين في «الفريق الخاص» و«فريق المعارف الإسلامية» في إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ٣/ ٣/١٩٩٣م.

العوام؛ أيّ أن سائق الشاحنة من الخواصّ ورجل دين محترم يؤمّ صلاة الجماعة من العوام. لقد كان رجل الدّين ذاك يقول على سبيل المثال: «لماذا تُصلّون على محمد وآله مرّة عند ذكر اسم الرسول، وترددونها ثلاث مرّات عند ذكر اسم الإمام[1]؟!»، لم يكن يفهم سبب ذلك! فأجابه السائق: «عندما تنتهي المواجهة، ويسود الإسلام، وتنتصر الثورة، لن نُصلّي على محمد وآل محمد حتى مرة واحدة عند ذكر اسم الإمام، فهذه الصلوات الثلاث التّي نردّدها الآن هي جزءٌ من النّضال والمواجهة». لقد كان السّائق يفهم ويُدرك السبب بينما لم يكن رجل الدّين كذلك[2].

كنت حريصاً على وقتي

إن الأشخاص الّذين لديهم وقت فراغ أثناء ركوبهم الحافلة، أو سيارة الأجرة أو [حتى] عندما يقود آخر سيارتهم، أو أثناء انتظارهم في بعض الأماكن؛ مثل عيادة الطبيب أو أي حالٍ آخر، عليهم أن يقرأوا ويطالعوا خلال هذا الوقت، [عليهم أن] يحملوا كتاباً في محفظاتهم أو جيوبهم لمطالعته عندما يستقلّون الحافلة، ثم يضعون علامة بداخله عندما يصلون إلى المقصد، ليتسنّى لهم فتحه في الفُرص اللّاحقة التي تسنح لهم وإكمال القراءة حيثما توقفوا.

أنا بنفسي قرأتُ عدّة فصول كبيرة من أحد الكتب في الحافلة؛ طبعاً تعود هذه القضيّة إلى ما قبل [انتصار] الثورة؛ حيث كنتُ قد أتيتُ من مشهد إلى طهران وبقيتُ عدّة أيام لإنجاز عملٍ ما. لقد كانت أوضاع الحافلات وأجواؤها آنذاك مزعجةً جداً لا يمكننا تحمّلها، وكنت أرغب في أن أبقى مُطرق الرّأس، وأفضَل ما يمكن فعله في هذه الحال هو مطالعة كتاب.

عندما كنت أمضي ساعةً من الوقت على هذه الحال، لم أكن أشعر بأنّ

---

١. يقصد الإمام الخميني ﷺ - المترجم.

٢. من خطابه في اجتماع قادة فرقة ٢٧ محمد رسول الله (ص) بتاريخ ١٩٩٦/٦/٩م.

وقتي يُهدر. في ذلك الزمان كانت الرحلة في الحافلة تستغرق ساعة تقريباً، وقد تستغرق وقتاً أقل أو أكثر أيضاً. على أيّ حال؛ لم أكن أشعر بضياع الوقت في هذه الساعات؛ لأنني أُطالع الكتاب[1].

مسؤولية إعداد الشاي على عاتقي

قُبيل عودة الإمام إلى إيران، كنّا مشاركين في إضراب في جامعة طهران مع مجموعة من الأصدقاء المقرّبين ممن نعملُ معًا. وقد اشتهر كثيرٌ منهم طيلة مدّة الثورة، واستشهد البعض منهم أيضاً؛ مثل الشهيد بهشتي، والشهيد مطهري، والشهيد باهنر، وأخينا العزيز السيد هاشمي [رفسنجاني]، والمرحوم رباني الشيرازي، والمرحوم رباني أملشي. آنذاك، كنّا نجلس معاً ونتشاور في مختلف المواضيع، وقلنا بأنّ الإمام سيدخل إلى طهران في غضون يومين أو ثلاثة، ونحن لم نستعد بعد كما يجب، فاقترحنا أن نُنظّم الأمور كي لا نتعطّل عند قدوم الإمام بينما تكثر المراجعات وتُحال جميع الأمور إلى هنا، ولم يكن الكلام عن الحكومة عندها.

لقد كنّا أعضاء مجلس الثورة آنذاك، وكان هذا مخفيًا حتّى عن بعض الرّفاق مثل المرحوم رباني الشيرازي أو المرحوم رباني أملشي. كان الكلام يدور حول بيت الإمام وزيادة المسؤوليات عند مجيئه ولم يكن عن [تشكيل] الحكومة. حدّدنا ساعةً في عصر أحد الأيام وذهبنا وجلسنا في إحدى الغرف، وبدأ الحديث عن تقسيم المسؤوليات، وهناك قلت: «لتكُن مسؤوليتي هي إعداد الشّاي وتقديمه». دُهش الجميع من كلامي: ماذا تقصد؟! الشّاي؟! قلت: «نعم! أنا أجيد إعداد الشاي جيداً».

عندما اقترحتُ ذلك، شاعت أجواء أخرى في الاجتماع، فقد يقول المرء أنا

---

١. من مقابلةٍ أُجريت مع سماحته بعد انتهاء زيارة المعرض الدّولي التاسع للكتاب في طهران، ١١/ ٥/ ١٩٩٦م.

أريد أن أستلم مهمّة المراجعات. لم يكن هناك منافسة ومشاكل [فيما بيننا]؛ إذ إننا نُريد إدارة هذه المجموعة معاً بحيث نقوم بإنجاز اي مسؤولية ومهمة تقع على عاتقنا بنحو جيد.

هكذا كانت روحيّتي. طبعاً؛ عندما قلتُ ذلك هناك، كنت أعلم أنّهم لن يوكلوا إليّ بتقديم الشاي، ولن يسمحوا بمثل هذا الأمر، لكن لو اتّجهت الأمور في هذا الاتّجاه فعلاً وقيل لي بأنّ إعداد الشاي يقع على عاتقك، لكنت سأضع عباءتي جانباً وأشمّر عن سواعدي وأُعدّ الشاي. ولم يكن اقتراحي من باب أن أقول أيّ شيء وفقط؛ بل كنتُ جادّاً ومستعدًّا له فعلاً. لقد دخلتُ بهذه الرّوحية وقلت لرفاقي مراراً بأنّني لست ذلك الشخص الّذي عندما يدخل إلى غرفة يختار كرسيًا لنفسه فيجلس عليها إذا كانت خالية وإلا ينزعج ويخرج. لا! لا أمتلك أيّ كرسيٍّ خاصٍ في أيّة غرفة؛ بل أدخل وأجلس في المكان الّذي أجده خالياً[1].

رأيتُ الإمام بعد سنوات

إحدى ذكرياتي الجميلة جداً، هي ليلة الثالث عشر من بهمن[2]؛ أي الليلة الأولى بعد قدوم الإمام إلى طهران. حتمًا تعلمون أو قد سمعتم سابقًا أنه ذهب فور قدومه إلى «بهشت زهراء»[3] وألقى خطاباً هناك، ثم صعد المروحية ورحل. ولعدّة ساعات لم يكن أحدٌ يعلم بمكانه؛ فالمروحية كانت قد نقلت الإمام إلى مكانٍ خالٍ؛ لأنّها لو حطّت في مكانٍ مزدحم بالنّاس، لتجمهروا حوله ولما سمحوا له بالاستراحة، فهم يُريدون الاجتماع به.

حطّت المروحيّة في مكانٍ في غرب طهران، ثمّ جاءت سيارةٌ ونقلت الإمام؛ أي أن الشيخ «ناطق نوري» كان يملك سيارة وقد أقلّ الإمام بنفسه، وكان

---

١. من خطابه في مراسم وداع عمال مؤسسة رئاسة الجمهورية بتاريخ ٩/ ١٩٨٩/٨م.

٢. الموافق لـ ١٩٧٩/٢/١م - المترجم.

٣. مقبرة جنة الزهراء.

المرحوم السيد أحمد[1] معه أيضاً. قال الإمام: «خذوني إلى شارع (ولي عصر) حيث منزل أحد أقاربي»، ولم يكن يعرف العنوان جيّداً؛ فذهبوا إلى هناك، وسألوا واستفسروا حتى وجدوا العنوان في نهاية المطاف، وذهب الإمام إلى منزل أقاربه دون إخبارهم أو إعلامهم مسبقًا بقدومه.

لم يكن الإمام قد صلّى بعد، وكان الوقت عصراً، فكان قد وصل صباحًا عند الساعة التاسعة تقريبًا، وذهب مباشرةً إلى «بهشت زهراء» وبقي هناك حتى العصر؛ لهذا لم يكن قد صلّى، أو تناول طعام الغداء، أو حتّى وجد فرصةً للاستراحة قليلًا. فذهب إلى منزل أقربائه كي يُصلّي ويرتاح، كما أنّه لم يتّصل بأحد عندها؛ فناهيك عن مدى شعور الأشخاص الموجودين في مقرّ العمليات بالقلق حيث كنتُ معهم آنذاك.

لعدّة ساعات، لم يكن لدى أحدٍ أيّ خبرٍ عن الإمام، حتى وصلنا خبر في النهاية أنّه في المنزل الفلانيّ، وسيأتي بنفسه ولا داعي لأن يذهب أحد لإحضاره.

كنتُ آنذاك في ابتدائية «الـرّفاه» الموجودة في شارع إيران، والتي كانت مقرّ عمليات استقبال الإمام؛ حيث كان هناك غرفتان أو ثلاثة، أعملُ فيها أنا ومجموعةٌ أخرى على نشر جريدةٍ يومية. وفي تلك الأيام التي كنّا ننتظر فيها قدوم الإمام نشرنا ثلاثة أو أربعة أعداد.

في آخر الليل، عند حدود السّاعة التاسعة والنصف أو العاشرة، كان الجميع يشعر بالتعب والإرهاق، بعد أن أمضوا يوماً شاقاً، وكانوا قد تفرّقوا، وكنتُ لا أزال في غرفتي مُنكبّاً على العمل. فجأة سمعتُ صوتاً مصدره الباحة. فكان هناك باحةٌ صغيرة أمام مبنى مدرسة الرفاه، فيها باب يطلّ على الزّقاق، لكنّها ليست مكان تردّدٍ في العادة. آنذاك، سمعت صوت كلام يصدُر من تلك الجهة، وكأنّ أحدهم قادم أو ذاهب من هناك، فنهضتُ لأرى ما الأمر! عندها فوجئتُ برؤية

---

١. يقصد السيد أحمد الخميني - المترجم.

الإمام قادماً من الزّقاق بمفرده باتّجاه المبنى. لقد كانت رؤيته بعد سنوات ممتعة ومثيرة جداً بالنسبة لي، فقد مضى خمسة عشر عاماً على نفيه، ولم أره أبداً خلال تلك الأعوام. وعلى الفور عمّت همهمة في المبنى، وأتى الجميع من مختلف الأقسام، وكان يبلغ عددهم عشرين أو ثلاثين شخصاً، اجتمعوا حوله وقبّلوا يديه، وقال البعض لا تُزعجوا الإمام فهو مُتعَب.

كانوا قد خصّصوا له غرفةً في الطّابق الأعلى، وأظنّ بأنّ مدرسة الرفاه قد أبقت تلك الغرفة على حالها حتى الآن، وهم يحتفلون فيها في يوم الثاني عشر من بهمن. اتّجه الإمام نحو السلالم ليصعد إلى تلك الغرفة، وعندما وصل إلى شرفة الدّرج، التفت إلينا نحن الواقفين أسفل السلالم ننظر إليه بشوق، جلس في مكانه، فهو أيضًا لم يكن قلبه يقوى على مفارقتنا والذهاب للاستراحة، جلس هناك ما يقارب خمس دقائق وتكلّم معنا، ولا أذكرُ ما قاله بالظبط، لكن المضمون كان أنه سأل الله أن يمنّ علينا بالعافية، كما وبثّ فينا أملاً بالمستقبل، وبعدها ذهب إلى غرفته ليرتاح. طبعًا؛ في اليوم التالي؛ أي الثالث عشر من بهمن، انتقل الإمام من مدرسة الرّفاه إلى الفرع الثاني من مدرسة علوي والذي يقع أول شارع إيران، لا الفرع الأول من مدرسة علوي القريب من مدرسة رفاه، وأصبح الذّهاب والإياب وجميع الأعمال هناك. وقد بقيت هذه الذكرى في بالي[1].

مؤامرات الأعداء في الجيش

قد يكون هذا الكلام جديداً وغريباً عليكم، وهو كذلك بالفعل؛ لكنّه من العجائب الّتي حدثت. لقد كان لدى مستشارية الجيش الأمريكيّ أجهزةٌ في إحدى قوى الجيش الثلاث بعد عدة أشهر من انتصار الثورة، وربما بعد عام منها. كان معقلهم المركزيّ في المقرّ المشترك قد دُمّر وكانوا قد فرّوا منه، لكنّهم أبقوا عناصرهم الاستخباراتيين هناك لحفظ دِشمهم. ولو استحضرنا اليوم أسماء

١. من حوار قائد الثورة الإسلامية مع مجموعة من الشباب والفتية بتاريخ ٣/ ١٩٩٨/٢م.

أعضاء مجلس الدّفاع آنذاك والذي كان مجلس دفاعٍ شكليّ، ستتعجّبون أيها الإخوة بأنّه كيف كان هؤلاء الأشخاص في هذا المركز الحسّاس في بداية الثورة. لقد شاركتُ أنا أيضاً في الحقيقة في ذلك الاجتماع في مجلس الشورى، ولكن لم يكن حضوري رسمياً؛ حيث لم يرغب أولئك الأفراد برؤيتنا، لكننا شاركنا فيه على الطريقة الثورية وبالأساليب الخاصة في الثورة.

رأيتهم قد أعـدّوا لائحة لأجل التصويت في مجلس الـدفاع الأعـلى على المستشار الأمريكي في إيران، واقترحوا عدّة أسماء للتّصويت بشكلٍ رسمي؛ أي في الحقيقة للتوقيع على وجود المستشارية. حينها عرفتُ بأنّ المستشارين لا يزالون في إيران؛ فقلنا: «ماذا يفعل هؤلاء هنا؟ في البداية أثبِتوا لنا أصل وجودهم حتى يحين بعدها دور التصويت على أسماءهـم». كان المرحوم «شمران» العزيز حاضراً أيضاً، وساعدنا للتصويت على ضرورة مغادرتهم من إيران بسرعة. لقد كانوا وقحين وجريئين إلى هذه الدرجة، واحتفظوا بعناصر مستشارية أمريكا داخل جيش الجمهورية الإسلامية. وكانت هذه أحد الابتلاءات التي اجتازها الجيش بفضل الله، مما يدلّ على مقدار أملهم بالجيش وطمعهم فيه.

بعد مدّة من هذه الحادثة، خططوا لتنفيذ انقلاب في مقرّ الشهيد نوجه ونسّقوا لهذه العمليات. فكانت منظّمات التّجسس الخاصة بالجيش تنوي فتحه. كان هدفهم الأوّل النّجاح في هذه المهمّة، ثم القضاء على الثورة عبر الطابور الخامس المتوغّل فيه. وفي حال فشلهم في هذه العمليات يقومون على الأقل بإحداث شرخ بين الناس والجيش؛ أو بين الثورة والجيش.

كانت مؤامرةً خطيرة، لكن نجح الجيش في إبطالها أيضاً، وقد لا يعرف الشّعب الإيراني بأنّ من أفشل الانقلاب الخطير في مقرّ الشهيد نوجه هم شباب الجيش أنفسهم؛ حيث قاموا بإخبارنا بالأمر. فقد جاء شابٌّ طيّار في منتصف الليل، وطرق باب منزلنا وكان مصرّاً بشدة على الاستماع إلى كلامه، وكان مضمون كلامه أنّ هذا الانقلاب سيتم تنفيذه خلال الساعات الأربعة والعشرين

القادمة. ولقد كان للعناصر الّذين يُتابعون هذه القضية، وللعسكريين وأفراد الجيش المتديّنين في ذلك المقرّ، الدّور الأكبر في إفشاله.

في هذا المشهد، الجيش هو من دافع عن نفسه؛ حيث لم يسمح لمخالب العدو بأن تطاله. ذلك الشابّ الطيّار أُصيب بجراح [في الحرب] فيما بعد، وآمل أن يشمله الله بفضله أينما كان. ولقد كان هذا امتحاناً آخر اجتازه الجيش وأفشل المؤامرة[1].

لا يحقّ لأحد الاعتداء على هؤلاء

بعد انتصار الثّورة الإسلامية، تعاملت الثّورة والمسؤولون والإمام العظيم بنفسه مع الأمريكان بأعلى مستويات التّسامح والتّساهل، فقد بقيت سفارتهم على حالها وفيها القائم بالأعمال بعد أن غادر السفير السفارة.في أولى أيام الثورة؛ أي في ٢٢ و٢٣ بهمن بالتّحديد، ألقى عدّة شبابٍ ثوريين القبض على عدّة أشخاصٍ من أتباع السّفارة، وأحضروهم إلى المدرسة الّتي كان الإمام رضي الله عنه فيها؛ أي مدرسة رفاه ومدرسة علوي. عندها أرسل الإمام إلى المباشرين بهذا العمل بأن لا يحقّ لأحد الاعتداء على هؤلاء، فأخرجوهم واحداً تلو الآخر، ثم رحل بعضهم من البلاد، لكن سفارتهم في طهران بقيت تزاول نشاطاتها[2].

لن أُلغي البرنامج

في عام ٧٩، وفي أحد أيام الأسبوع وعلى الأغلب كل يوم أحد أو اثنين، كنت أُصلّي[3] صلاة الظّهر في هذا المسجد [جامعة طهران]، وكان الطّلاب يحضرون، فأُلقي فيهم محاضرة وأُجيب على أسئلتهم. في ذلك العام، أصبحت جامعة

---

١. من خطابه في لقاء أعضاء جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٩/ ١٩٩٥/٤م.

٢. من خطابه قُبيل ذكرى السيطرة على وكر التجسس الأمريكي واليوم العالمي لمواجهة الاستكبار بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢م.

٣. يقصد أنّه كان يؤمّ الصلاة - المترجم.

طهران معقل الفِرَق المسلّحة التي تحمل مختلف العناوين والمسمّيات؛ حيث كانوا يُهاجمون النّاس خارج الجامعة والطّلاب المسلمين بأسلحة ج٣ وكلاشينكوف.

في أحد الأيام، احتدم اشتباك حقيقيّ في الجامعة، وكما جرت العادة، جئتُ إلى هنا أوّل الظّهر، وعندما دخلتُ إلى الجامعة قال لي بعض الطلاّب: «لا تبقى هنا اليوم فالأوضاع خطرة»، فأجبت: «لن أُلغي برنامجي»؛ لذلك دخلت، وكانت الجامعة مقفرة، خالية تقريباً، ما عدا بعض الأفراد المتفرّقين؛ فالوضع كان خطيراً بالفعل. وبينما كنتُ أسير في الطّريق [المعتاد]، كان الطّلاب يتّجهون إلى المسجد، فاجتمع يومها عشرة أشخاص تقريبًا، فالجميع كانوا قد هربوا. وحسب ما أظنّ أنّنا أقمنا الصّلاة وخرجنا؛ حيث شعرنا بالخوف قليلاً. بعد ذلك، أُقفلت أبواب الجامعة لمدّة سنة تقريباً[1].

أهمية العمل في الميدان الاجتماعيّ

أذكرُ أنّه في بداية الثّورة وقبل تشكيل مجلس الشّورى الإسلاميّ، كنتُ أُجري في الجامعة حواراً مع الشباب مرةً أسبوعياً، وأُجيب على أسئلتهم. ويومها قلتُ الحمد لله سينتهي عمل شورى الثّورة في غضون شهرٍ أو شهرين، وسيُعقد مجلس الشّورى الإسلامي، وسأتفرّغُ بعدها لأعمالي، وسنُقيم درس قرآن، ودرس نهج البلاغة، وصوفاً أخرى إن شاء الله. آنذاك هذا كان شغفنا؛ والآن هو كذلك أيضاً؛ لكننا نغفل عن أنّ العمل الّذي يُمكننا القيام به في الميدان الاجتماعي، لا يقلُّ بتاتًا عن إقامة درس قرآن يُشارك فيه خمسمائة طالب جامعي[2].

أمريكا وحرية التعبير

كان أحد المسؤولين الحاليين قد كتب كتاباً باللغة الإنكليزية حول السّيطرة

١. من خطابه في اجتماع للأسئلة والأجوبة في جامعة طهران بتاريخ ١٢/ ٥/ ١٩٩٨م.

٢. من خطابه خلال لقاء هيئة القضاة بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٨م

على وكر التّجسس[1]، وقد أخبرني بنفسه بأنه: «لم يُوافق أيّ ناشر راجعته في أمريكا على طباعة هذا الكتاب، فكبار النّاشرين تابعين للنّظام الرّأسمالي. لذلك اضطُررت للذّهاب إلى كندا، حتّى وجدتُ ناشراً وافق على طباعته بصعوبة، لكن لاحقًا اتّصل الناشر بي وأخبرني بأنّه تلقّى عدّة اتّصالات تهديد منذ أن استلم مسؤولية طباعة الكتاب». إنّ شعارات حرية التّعبير وحرية الاختيار التي يُطلقونها لا وجود لها على أرض الواقع هناك[2].

شباب الاستخبارات المخلصون

منذ الأيام الأولى، دخلت القوّات المؤمنة والمخلصة والودودة إلى داخل الـوزراة [الاستخبارات]. لقد أوكل إليها يوماً مجلس الثورة مهمة الذهاب إلى الـوزارة وتفقّدها. ولا أنسى عندما فتحتُ أبواب الغُرف كنتُ أرى الشّباب المتعلّمين الواعين جالسين في السّرداب، يُصنّفون الوثائق ويحفظونها من أجل هذا البلد. لاحقًا؛ بدأت أحداث المعارضين والمنافقين وحزب توده، فهل كانت الثّورة ستنجو من دون هؤلاء العناصر ومن دون هذه المجموعة؟! كانوا سيقضون على الجميع. للأسف قبل الحرب وخلالها وطيلة هذه المدة، كانت هذه العناصر الدّخيلة والفرق والجماعات الإرهابية تتسلل من حدودنا الغربية إلى طهران، محمّلة بالقنابل المختلفة والملابس المتنوعة، فمَن كان سيقف بوجههم؟ ومَن الّذي تصدّى للإرهاب والتيارات الإرهابية؟ إنّهم الإخوة في وزارة الاستخبارات، هؤلاء المدراء اللائقون والشباب المخلصون[3].

---

١. وهي السيدة «معصومة ابتكار» من الطلاب الجامعيين الموالين لخطّ الإمام والتي كتبت ما رأته حول تسخير وكر التجسس الأمريكي بعنوان: «take over طهران هذه»، وتمت طباعته عام ٢٠٠٠ ميلادي بواسطة دار النشر «تالون بوكز» في كندا. انتشرت ترجمة هذا الكتاب بالفارسية عام ٢٠٠٠ في إيران، وتمت طباعته في دار نشر «اطلاعات».

٢. من خطابه في لقاء الطلاب وأساتذة جامعات محافظة كرمان بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٩م.

٣. من خطبة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٩٩/١/٨م.

أمريكا وقصة بيع الطّائرات الحربيّة

كان الأمريكان يبيعوننا الطّائرات الحربية وباقي معدّاتهم، لكن لا يسمحون لنا بإصلاحها. طبعاً؛ قصّة بيعها أيضاً هي قصّة عجيبة؛ ففي تلك الأيام كان هناك صندوقٌ مشترك بين أمريكا وإيران يحمل اسماً مختصراً، اكتشفتُه في بداية الثورة عندما كنتُ أعمل في وزارة الدفاع. كانت الدولة الإيرانية تودع المال فيه، لكن الأمريكان هم من يُحددون ثمن البضاعة ونوعها وسحب الأموال. عندها تابعتُ الموضوع، لكن وللأسف الأمريكان لم يُجيبونا حتى يومنا هذا. وبعد انتصار الثورة، كان هناك مليارات الدّولارات المودعة فيه، لكن الأمريكان لم يُقدّموا أي تبرير لها ولم يُعيدوها إلى إيران.

[وبالنسبة للطائرات]، فبعد مدّة من إرسالها كانت تحتاج إلى صيانة وإصلاح، ولم يكن هناك أيّ مصنع أو معمل وأمثال ذلك؛ بل كانوا يفكون القطع التي لم تعد صالحة من داخل الطائرة، ولا يسمحون لنا بفتحها لإصلاحها هنا، فبعضها مؤلف من عشرات القطع، ويتم شحنها إلى أمريكا جواً لاستبدالها بقطعٍ جديدة وإرسالها ثانيةً إلى إيران.

هكذا تعاملوا مع هذا الشعب، لكن شعبنا اليوم يصنع مثل تلك الطائرة بنفسه؛ [أمثال] طائرة «تندر» التي صنعتها كوادرنا. لا يمكن مقارنة أوضاع اليوم بتلك المرحلة بتاتًا![1]

إنهم يكذبون!

في بداية الحرب العراقية المفروضة كان بعض المثقفين المحليين يقولون لنا: «لقد هاجمت العراق أراضينا، واعتدوا على حدودنا». وكنّا نقول لبني صدر: «يا رئيس الجمهورية! ما هي الأخبار؟ يقولون بأنّ العراق قد هاجمتنا»، فيُجيب: «إنهم يكذبون! هؤلاء الحرس يتفوّهون بمثل هذا الكلام حتى يحصلوا على

١. من خطابه في اجتماع للأسئلة والأجوبة لطلاب جامعة أمير كبير الصناعية بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٢م.

بعض الإمكانات»، فكان يتّهمهم، وقبل أن يحتلّ العراقيون دهلران، ذهب إليها وأجرى مقابلةً تلفزيونيّة هناك، قال خلالها: «أنا الآن في دهلران! يقولون بأنّ العراقيين قد جاؤوا إلى هنا! أين العراقيين؟!»

وبعد ساعتين من خروجه من دهلران، سيطر العراقيون عليها؛ إذ لا يمكن إنكار الحقائق بتجاهلها[1].

ما هذا الكلام؟!

في اليوم الثالث أو الـرابع من الحرب، بينما كنّا مجتمعين في غرفة عمليات قيادة الأركان المشتركة؛ مسؤولي البلد، ورئيس الجمهورية بني صدر، ورئيس الوزراء المرحوم رجائي، وعدّة أشخاص من نواب المجلس وغيرهم، مع العسكريين نتناقش [حول الأوضـاع] ونستشير بعضنا، اقترب منّي أحد العسكريين وقال: «الزّملاء في الغرفة الثّانية يريدونك في عملٍ خاص». فذهبتُ إليهم، وكان هناك مجموعة ضمنها المرحوم «فكوري»، والمرحوم «فلاحي»، وشخصان أو ثلاثة لا أذكرهم الآن. سألتُهم: «ماذا تُريدون؟»، فأحضروا ورقةً، ولا زلتُ أحتفظُ بها بين كتاباتي، وقالوا: «انظُر يا سيد! هذه هي طائراتنا»، وكانوا قد كتبوا أسماء أنواع الطائرات العسكريّة المقاتلة أو الخاصة بالنّقل مثلاً إف. ٥، إف. ٤، وسي. ١٣٠، وكتبوا عدد الطائرات الجاهزة ونوعها، ومدى صلاحيتها؛ فهذه الطائرات ستحتاج إلى تغيير بعض القطع بسرعة، بحيث تحتاج بعض القطع إلى تغيير بعد أن تُحلّق مرّة أو مرتين. وأردفوا أننا لا نملك هذه القطع، مما يعني أننا سنفقد هذا النّوع من الطائرات بعد خمسة أو عشرة أيام، والنوع الآخر بعد اثني عشر يومًا مثلًا كأنّها لم تكن موجودة من الأساس. حددوا صلاحية عمل كل طائرة منها، وكان أطولها عمراً طائرة السي. ١٣٠؛ حيث من الممكن أن تطير ما يقارب الثلاثين يوماً أو واحداً وثلاثين يوماً، وبعد هذه المدّة، لن يكون لدى

١. من خطابه في لقاء الأساتذة والجامعيين في جامعات محافظة سمنان بتاريخ ٨/ ١١/ ١٩٩٦.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية أي وسيلة للطيران؛ سواء عسكرية حربية أو عسكريّة خاصّة بالدّعم والنّقل! قالوا: «يا سيّد! هذا وضع [جهوزيّة] حربنا نحن، ورجاءً أخبر الإمام بذلك».

ولا أُخفي عنكم، شعرتُ بالخوف قليلاً، وقلتُ [في قرارة نفسي] يا للعجب! ماذا سنفعل إذا لم يكن لدينا طائرات؟! بينما العدوّ يستعمل الطائرات الرّوسية، ولديهم أنواع من طائرات الميغ. صحيح أن طيّاريه ليسو بمستوى طيّارينا؛ لكن حجم العمل كان كبيراً ومكثّفاً. أخذتُ الورقة إلى الإمام وكان يومها في جماران، قلت له: «هؤلاء السّادة هم قادتنا، وكلّ ما نملكه من أسلحة وعتاد موجود بحوزتهم، وهم يقولون بأنّ طائراتنا العسكريّة ستعمل لأسبوعين أو ستة عشر يوماً، وآخر طائرة لنا والتي هي سي. ١٣٠ الخاصّة بالنّقل لن تعمل لأكثر من ثلاثين يوماً أو واحد وثلاثين يوماً، وبعدها لن يكون لدينا أي طائرة». نظر الإمام، وكان مضمون كلامه التالي: «ما هذا الكلام؟! قُولوا لهم ليذهبوا للحرب، والله هو من يُدبّر الأمر ويُصلحه، ولن يحصل أي شيء [سيء]». لم يكن كلام الإمام مقنعاً بالنسبة لي من النّاحية المنطقية، فهو لم يكن خبير طائرات؛ لكنني كنتُ أعتقد بأحقّيته، وبنور قلبه وتسديد الله له، كنتُ أعرف أنّ الله تعالى قد اختاره من أجل عملٍ عظيم ولن يتركه لوحده. لذلك شعرتُ بالطمأنينة وقوة القلب، وذهبتُ مجدداً لأولئك القادة، وقلتُ لهم: «قال الإمام أصلحوا ما تستطيعون إصلاحه وأقدموا».

طائرات الإف.٥ والإف. ٤والإف. ١٤نفسها، والتّي كان من المقرر أن تتعطّل بشكلٍ كامل بعد خمسة أو ستّة أيام، لا زالت تعمل في القوّات الجوّية إلى اليوم، على الرّغم من مرور تسع وعشرين عاماً عن عام ١٩٨٠م[1]. طبعاً؛ تعرّضت بعضها لحوادث في الحرب، وأُسقط بعضها، وتعرّضت أخرى لإطلاق رصاص، وانتهت صلاحية بعضها، لكن ترافق ذلك مع حصول تطوّرات [على مختلف الصُّعد]؛

١. ٢٩ عامًا استنادًا لتاريخ خطابه - المترجم.

إذ استطاع مهندسونا أن يصنعوا القِطع في المراكز المرتبطة، وأن يملأوا الفراغ ويُدخلوا بعض القطع على الرغم من العقوبات الاقتصادية ورغماً عن أنوف المعاقبين وبهذا إبقاء الطائرات تعمل. إضافة إلى هذا، استطاعوا أن يتعلّموا منها ويصنعوا بأنفسهم نوعين من الطائرات الحربية[1].

لا تتمسّكوا بالظّواهر

لقد أراني أحد مدراء المراكز الثقافية، صوراً لشهيد رفيع المقام، وهو شخص معروف ناشط في المجالات الثقافية، كنتُ أُحبّه كثيراً ولطالما أوصيتُ المراكز الثقافية بالاستفادة منه. كانت الصّور تعودُ إلى ما قبل الثّورة، ويظهر هذا الشّهيد فيها بمظهر شباب تلك الأيام. قال لي ذلك المدير يومها: «تفضّل! هذا هو الشّخص الّذي تمدحه أنت هكذا!»، نظرتُ إلى الصّور وقلت له: «لقد زادت محبّتي له؛ لأنّه كان في مثل تلك الأجواء وأصبح على هذه الحال، وعليكم من الاستفادة منه».

في السّنوات الأولى الّتي تأسست فيها اللجنة الثّقافية للثّورة، كانوا يتشدّدون على شكل الشّباب الجامعيّ وظاهرهم. ومن سخرية القدر أنّ هؤلاء المتشدّدين أنفسهم قد تورّطوا ولم يعُد بالإمكان صدّهم بتاتًا. لقد كنتُ معهم في أحد الأيام، وأريتُهم صورةً لشابّ على الموضة الدارجة آنذاك؛ سرّح شعره بشكلٍ خاص وارتدى ربطة عنق، وقلتُ لهم: «هذا أحد شهدائنا؛ فشهداؤنا لم يكونوا من أهل الدّعاء والتّقوى والزّيارة منذ بداية حياتهم، لكن تغيّرت حالهم وانقلبوا، فلماذا تتمسّكون بظواهر صغيرة قد تتغيّر بالفعل؟»

وحقيقة الأمر هي أنّ اختلاف شبابنا اليوم عن شبابنا بالأمس ناجم عن اختلاف الأجواء التي تربّوا فيها؛ فشباب اليوم تربّوا في أجواء دينيّة؛ حيث تسود الظواهر الإسلامية ولا توجد عوامل فساد وشهوة. والآن يرُيد البعض إفسادهم

١. من خطابه خلال لقائه أعضاء مكتب القائد وحرس حماية ولي الأمر بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٩م.

عنوةً، ليقولوا فيما بعد بأنّ الشّباب ليسوا قادرين على الاستمرار في خطّ الثورة![1]

لا أعرفه وحسب

في إحدى الليالي، كنتُ في خدمة الإمام، وسألتُه: زما رأيك بفلان؟، وكان أحد الوجوه الإسلامية المعروفة المعاصرة. تريّث الإمام قليلاً، ثم قال: «لا أعرفه»، ثم أردف جملةً في ذمّ ذلك الشخص. في اليوم التالي أو عقبه، ذهبتُ صباحًا للقاء الإمام في عملٍ ما، وما إن دخلتُ وجلست، حتّى بادر الإمام بالكلام على الفور وقال: «بالنسبة للشّخص الّذي سألتني عنه أنا لا أعرفه وحسب»؛ أي أنه تراجع عن جملة الذّم تلك. إنّ هذا أمرٌ غاية في الأهمّية، فعلى الرغم من أن تلك لم تكن تلك الجملة سباباً أو كلاماً جارحاً أو تهمةً، لكنّه تراجع عنها في اليوم التّالي. ولحسن الحظ أنني نسيت أنا أيضاً ماذا كانت تلك الجملة، ولربّما هذا انعكاس لتصرّفه المعنوي، أو بسبب ضعف ذاكرتي، لا أعرف ما السبب[2].

تقريرٌ عن الحضور في الجبهة

في أواسط شهر تشرين الأول ذهبتُ إلى منطقة العمليات (شهر تشرين الثاني عام ٨٠ وحتى أواخر شهر أيار أو أوائل شهر حزيران عام ٨١)، وكان ذلك بعد حوالي خمسة عشر يوماً من بدء العمليات، وخلال هذه الأشهر الثمانية أو التسعة كنتُ مستقرًّا في «الأهواز» لا في «آبادان»، وبعدها أُصبتُ ولم أتمكّن من الذّهاب ثانية. كانت نيّتي في البداية الذّهاب إلى دزفول، لكن تبيّن لي لاحقاً أنّ الحاجة في الأهواز أمسّ من بعض النواحي الأخرى، فاستأذنتُ الإمام للسفر إلى هناك، ولهذه الحادثة قصّة أيضًا.

بقيتُ في خوزستان إلى نهاية ذلك العام، وفي العام التالي، ذهبتُ أول شهرين تقريباً إلى الغرب وأجريتُ دراسةً شاملة عن كامل المنطقة، بهدف جمع

---

١. من خطابه خلال لقاء مدراء الإذاعة والتلفزيون بتاريخ ٢٠٠٣/٠٢/٠٤م.

٢. من خطبة صلاة الجمعة في طهران في حرم الإمام الخميني بتاريخ ٢٠١٠/٦/٤م.

المعلومات والأمور اللّازمة، حتّى نعود ثانية لاحقاً ونستأنف العمل، لكن صادف ذلك بداية أحداث طهران مما حال دون عودتي [إلى المنطقة].

في تلك المدّة، كنتُ متواجداً في الأهواز أغلب الوقت، وإن كنتُ قد قصدتُ في الأيام الأولى الذّهاب إلى «خرمشهر» و«آبادان»، لكن لم يتسنّ لي ذلك، لكثرة الأعمال في الأهواز والتي تُحتّم علينا البقاء هناك ولا تُتيح لنا فرصة التّحرك من ذلك المكان؛ فضلًا عن أن الفِرق التي كانت تُحارب من خرمشهر كانت بحاجة للدّعم من الأهواز، فلم يكن لديها مصدر دعم آخر.

بشكلٍ عام، كان هناك نوعان من الأعمال التي نقوم بها، والأوّل هو ما يتعلّق بالأهواز نفسها كـ [تنفيذ] العمليات، وتنظيم فرق حرب العصابات والمجموعات الصغيرة للقتال في ساحة الحرب. في مقرّنا، كان المرحوم شمران هو قائد التّنظيمات، وأنا استلمتُ بدوري بعض المسؤوليات، فكنتُ أعمل قدر استطاعتي. وكنّا قد أتينا معاً على متن طائرةٍ واحدةٍ إلى الأهواز.

لقد كان مع المرحوم شمران الكثير من المرافقين، ربّما حوالي الخمسين أو الستين شخصاً، لكن لم يكن معي مرافقون، فكنتُ قد سرّحتُهم [قبل ذهابي] وقلتُ لهم: «أنا ذاهبٌ إلى منطقةٍ خطرة، فكيف تريدون أن تحموني؟! لا معنى للحماية هناك!». طبعاً؛ أصرّ بعضهم على القدوم قائلين: «نحن نريد أن نقاتل أيضاً كتعبويين»، فلم أُمانع مجيئهم، لكن لم يكونوا هناك بصفة مرافقين؛ بل كانوا يقومون بأعمالهم الخاصة.

[فور وصولنا] أحضروا إلى مقرّ كتيبة ٩٢ [المدرّعة] بعض البدلات العسكرية للمرافقين حتى نبدأ العمل منذ الليلة الأولى؛ حيث كان الرّفاق في المحافظة والفرقة قد أخبرونا: «الآن الساحة ساحة صيد الدبابات وحرب العصابات»، فقال شمران: «سنبدأ الآن». الخلاصة أنهم أحضروا البدلات لهم. قلتُ للمرحوم شمران: «ما رأيك بأن أرتدي واحدة منها؟»، فوافق على ذلك، وأخذتُ بدلة منها،

لكنّها كانت فضفاضة وواسعة، فقد كنتُ آنذاك أنحف من الآن، ولم تكن مناسِبة لي. بعد عدة أيام أحضروا لي بدلة عسكريةً خاصّة بأصحاب الرتب وعليها شارة فرقة المدرعات، فاعترض الآخرون ممن كانوا برفقتي، وكنّا قد اعتدنا على بعضنا الآخر بعد مرور عدّة أشهر، وكان اعتراضهم بأنه لماذا رتبتك ليست مدفعية؟ أو لماذا ليست مشاة؟ وما هي خصوصية المدرعات؟ لذلك نزعت هذه الشارة كي لا أبدو بمظهرٍ فارق عنهم.

على أيّ حال؛ ارتديتُ البدلة وحملتُ السّلاح، ولا أذكر إذا كان سلاحي أنا أم سلاح شخص آخر. فهذا السّلاح الّذي رأيتموه في الفيلم على كتفي، هو الرّشاش الخاص بي، وما زال بحوزتي، كان أحدهم قد أهداني إيّاه، وهو مختلف عن غيره من الكلاشينكوفات؛ حيث فيه مخزن لخمسين طلقة. ذهبتُ إلى العمليات في تلك الليلة الأولى، وربّما استمرّت لمدة ساعتين أو ثلاثة، علماً أنّني لم أكن أجيد القتال، كنت أجيد إطلاق الرصاص فقط، ولم أكن أعرف شيئاً عن العمليّات الحربيّة أصلاً.

خلاصة الأمر أنّ أحد الأعمال التي كنتُ أقوم بها في الأهواز كان تجهيز الفرق الّتي تذهب إلى قنص الدبابات، حسبما كان يُقال في تلك الأيام. كانت دبابات العدو قد وصلت إلى «دب حردان»، وكانت تبعد عن الأهواز أقل من عشرين كيلومتراً، وكانت قذائفها تصل إلى الأهواز، فهي تُطلق قذيفة عيار ١٢٠ أو أقل.

لقد تلقيتُ تدريبات الحرب والتعليم الخاصّ بهذا الموضوع على يد المرحوم شمران، فكان قد عيّن بعض الأماكن للتدريبات، وكان ماهراً في حرب العصابات؛ حيث تدرّب عليها في فلسطين ومصر قُبيل انتصار الثورة، بخلافي أنا الّذي لم يكن لديّ أي خبرة في هذا المجال، كما كان يتمتّع بقوة جسدية وليونة أكثر مني. لذلك عندما دار الحديث عن تعيين قائد للعمليات، صوّتنا كلّنا له من دون تردّد.

في محضر الحبيب

النّوع الآخر من الأعمال هو خارج الأهواز، كدعم خرمشهر وآبادان، وبعدها عمليات كسر حصار آبادان، والذي بدأ من منطقة «محمدية» القريبة من «دارخوين». ولقد كان السيد «رحيم صفوي»؛ أي اللواء صفوي - ليحفظه الله للثورة - من أوائل من بدأوا بعمليات كسر الحصار قبل أشهر والتي استتبعتها عمليات «ثامن الأئمة».

فكان النّوع الثّاني هو مساعدة هؤلاء وإيصال القذائف لهم، والتي علينا أن نأخذها من الجيش عنوة. طبعاً؛ المشكلة لم تكن من الجنود، فقد فكانوا يسلّموننا إياها طوعًا ورغبة، لكن كان قائد الجيش آنذاك يمانع من إخراج هذه الأمور [من سلاح وما شابه] بشدّة، لذا كنّا نحصل على بعض الأسلحة لإخوتنا في الحرس بصعوبة، ولم يجرؤوا على الامتناع عن تسليمها لأركاننا؛ لأنني أنا بنفسي كنت هناك والسيد شمران، وأنا كنتُ ممثّل الإمام.

بعد أسبوعين أو ثلاثة من ذهابنا إلى المنطقة، تُليت رسالة الإمام [الخميني] على المذياع، وكانت تنصّ على أنّ فلاناً والدكتور شمران يُمثلانني في جميع أمور الحرب و.. لذلك؛ كان بإمكاننا الحصول على كلّ ما نحتاجه؛ بخلاف شباب الحرس الذين كانت صلاحياتهم محدودة، خاصّة أولئك الذين يودّون الذّهاب إلى منطقة العمليات، فكانت إحدى مهامّنا هي دعمهم.

كنتُ أرغب في الذّهاب إلى آبادان، لكن لم يتسنّ لي ذلك، حتى أنني قلتُ يوماً: «يجب أن أذهب بأيّ شكل كان»، وكان هذا أثناء حصار آبادان، فالعدو كان قد عبر نهر كارون وذهب باتّجاه الغرب وتوسع في عملياته، فقُطع طريق الأهواز وآبادان، وبقيت جادة خرمشهر والأهواز مقطوعةً طيلة مدّة سيطرتهم على خرمشهر، لكن جادّة آبادان كانت لا تزال مفتوحة ويمكن التّردد منها. وعندما جاء العدو إلى هذه الجهة وسيطر على منطقة «سر پل» وأخذ يتوسع شيئاً فشيئاً، أُغلقت تلك الجادة أيضاً، وبقيت جادة ماهشهر وآبادان؛ لأنّ ماهشهر كانت تتصل بجزيرة آبادان، لا بآبادان نفسها، والأخيرة كانت تحت

القصف أيضاً؛ أي أنّ الجادة الثالثة كانت في معرض القصف، وفي الحقيقة لم يبقَ سوى طريقين أو ثلاثة وهي غير آمنة أيضاً؛ أحدها هو الطريق البحري والّذي كان خطراً، والآخر هو الجوي، ومشكلته تكمن في أنّ المسؤولين في ماهشهر لا يعطون المروحيّات بسهولة. كما كان هناك طريق ترابيّ خلف جادة ماهشهر، غير الجادة الأصلية، يمرّ من خلف السواتر الترابية، وكان الشباب قد أعدّوه بألف آه ويا ويلاه، لكن يصعب اجتيازه بسبب وجود بعض المواضع فيه في مرمى نيران العدو المباشرة، وقد فقدنا العديد من الأشخاص هناك. طبعاً؛ سرعان ما تمّ إغلاق هذا الطريق أيضًا، وبقي الطريق البحرّي والجوّي فقط. وقد ذهبتُ بدوري عبر طريق الجو من ماهشهر إلى جزيرة آبادان. آنذاك، تولّى قيادة هذه العمليات كلّ من الشهيد «جهان آرا» من الحرس، والشهيد «أقارب برست» من الجيش وهو أحد شهداء أصفهان، وهو من ضبّاط المدرعات المميزين الّذين بقوا هناك، والرائد «هاشمي».

لقد كانت معي صورة تذكارية جميلة عن هذه الرحلة، لكن إذا تمّ نشر هذه [المقابلة]، فحبّذا مَن أحضرها لي في المرّة الأولى لو يطبعها ويُحضرها لي ثانية. طبعًا؛ إذا كان يملك أرشيفها؛ لأنها صورة تذكارية ممتازة كانت قد التُقطت لي بداية دخولي إلى آبادان، في مركزٍ تابع لتعبئة «فارس»، أثناء إلقائي خطاباً بين [الشباب من] أهالي شيراز وطهران. قبلها لم يكن أحدٌ يعلم بقدومي إلى آبادان، وكان برفقتي أربعة أو خمسة أشخاص قلنا: «لنذهب ونتحدّث إلى الشباب».

وعندما دخلنا المدينة من جهة الجزيرة، ذهبنا إلى خرمشهر، وكان الشباب في الجانب غير المحتلّ منها. وأثناء خطابي التقطوا لي تلك الصورة، وكانت فريدة لم أر مثلها. أحد قادة الطاجيك الّذين جاؤوا إلى هنا قبل مدة رآها وأعجبته فأخذها. وكان الرّائد هاشمي قد أرسلها لي هدية، لا أعرف إذا ما كان قد استشهد أو لا يزال على قيد الحياة.

في جزيرة آبادان، زرتُ وحدة الدرَك، ثم زرتُ مقرّ الحرس والّذي تُطلقون

عليه اليوم اسم (الفندق)، ولا أعلم إذا كان هناك فندق بالفعل أو لا، فالمكان الذي أخذوني إليه كان عبارة عن مبنى وكنت أظن أنه مخزن مثلاً. خلاصة الأمر أنني لم أبقَ سوى يوم أو يومين في آبادان، وبعدها عدتُ إلى الأهواز، وقد وجدت الأوضاع ملفتة هناك؛ ففضلًا عن غربة مجاهدينا، كانوا يفتقرون إلى الإمكانات، وكان الإنسان يشعر بغربة الجمهورية الإسلامية؛ فعدد القوات قليل، وضغط العدوّ شديد وتهديداته كبيرة. كان لدينا هناك ستّ دبابات فقط، وكان السيد «أقارب برست» هو من جمعها من هنا وهناك، وأصلحها وأسّس كتيبة دبّابات، وهي كتيبة ناقصة في الحقيقة. كان شباب الحرس يُحاربون بالرشاشات والقنابل والقذائف وحسب.

في ظلّ هذه الظروف، كانت المعنويات في أعلى مستوياتها. لقد كان أمراً مذهلاً بالفعل! وكانت رؤية هذه المشاهد أمراً مثيراً جداً بالنسبة لي. كانت زيارتي هذه بهدف الحصول على تقريرٍ دقيقٍ عن المكان لمتابعة الأعمال، فكنتُ أودّ معاينة المنطقة عن قرب لمعرفة ما عليّ فعله من جهة، وحتى أشجّع المجاهدين الّذين كانوا هناك من جهة أخرى. [وهكذا فعلت]؛ ذهبتُ وشكرتهم فرداً فرداً، وسألتُ الله أن يمنّ عليهم بالعافية، كما خطبتُ في كلّ مكان [ذهبت إليهُ] وألقيت بعض الكلمات، والتقطتُ صوراً تذكارية مع شباب التعبئة هناك وعدت. هذا ملخّص حضوري في آبادان، الذي لم يتجاوز اليومين أو الثلاثة طيلة مدّة الحرب. و[كما ذكرت سابقًا] كان مكان استقرارنا الأساسي هو الأهواز.

لقد رأيتم في أحد المقاطع في الفيلم أننا كنّا نعبر من البيوت المهجورة؛ لأنّ المنطقة كانت في مرمى نيران العدو بشكلٍ كامل، فوصل المجاهدون البيوت الخالية - التي فرّ أهاليها أو هاجروا من آبادان وخرمشهر - ببعضها الآخر، بعد إزالة الجدران فيما بينها؛ حتى يتمكّنوا من الوصول إلى أقرب خطّ من العدو حيث كانت المسافة تبلغ مائة متر أو أقل أو أكثر، كانوا. الآن لا أذكر هل حصل

هذا الأمر في آبادان أو خرمشهر؟ الاحتمال الأقوى أنه حصل في خرمشهر في منطقة «كوت شيخ».

عندما يدخل الإنسان إلى هذه البيوت، يواجه مناظر مُحزنة، وكنّا نعبرُ عشرات البيوت لنصل إلى نقطة التّماس المباشر مع العدو. وقد رأيتُ كيف كان شبابنا يطلقون النار بمفردهم بعد أن وصلوا إلى خلف الدشم المشرفة على مكان تردّد الأعداء بالضبط. طبعاً؛ كان العدو يرمي النار بشراسة بمجرّد تعرّضه لإطلاق رصاص، لكنّ شبابنا لم يكونوا يُبالون بذلك.

كان هذا جزءاً من البيوت الّتي ذهبتُ إليها ورأيتها، كانت بيوتاً خالية قد تُرك الأثاث فيها ولم يوضّب بشكلٍ جيد، ممّا يدل على تشرّد الناس وفقرهم بحيث تركوا وسائلهم هكذا خلفهم، ولقد كان مشهداً مؤثّراً جداً! كان الشباب الّذين يتقدّمون إلى الأمام بكامل قوّتهم يقولون لي: «المكان خطر هنا»، وكنت أقول: «لا؛ عليّ أن أتفقد جميع الأماكن التي قد يكون فيها أحد ما».

المكان الأخير الّذي ذهبنا إليه كان تحت الجسر، فالجسر كان مهدّماً، وطريق جسر آبادان خرمشهر كان مقطوعاً لا يمكن التردد عليه. لهذا؛ فتح شبابنا طريقاً تحت الجسر يصل إلى المكان المحطّم، وقد وصلتُ إلى نهايته. وحسبما أظنّ أننا أقمنا الصلاة جماعة هناك. لقد رأيتُ الحماس والمقاومة في كلّ مكان، وهذه خلاصة تواجدي في آبادان وتلك المنطقة الّتي لم تكن محتلة من خرمشهر أو كوت شيخ.

طبعاً؛ كان هناك عدة شهور بين صدور أمر الإمام [بكسر حصار آبادان] و[تنفيذ] عمليات «ثامن الأئمة»، ولم يتم هذا الأمر فوراً، لكن الإمام شخّص المسألة بشكلٍ صحيح. عندما تُحلل تُدرك أنه كان هناك هدفان هامّان للعدو: الأول؛ قطع اتصال إيران بالعراق عند الجنوب؛ أي آبادان وخرمشهر وجزيرة آبادان بشكلٍ عام. والآخر؛ هو دزفول. وتكمن أهمية الأخيرة في أنهم لو عبروا

جسر «كرخه» وهددوا دزفول وقطعوا طريقها، لتمكّنوا من إطباق الحصار على خوزستان ولقُطعت الطريق علينا. لذا؛ كان لدزفول أهمية استراتيجية عند العدو، وقد وضع خمسة أو ستة فرق أمام دزفول، بحيث ملأ كامل منطقة «دشت عباس»، وقد رأيت ذلك المكان عن قرب. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ العدو لم يرغب في الاحتفاظ بدزفول، ولم يكن هذا بالهدف الممكن تحقيقه بالنّسبة له، فالمهم بالنسبة إليه هو جزيرة آبادان، يريدها بهدف السيطرة على طرفي نهر «أروند». فهدفه النهائي الأخير هو جزيرة آبادان وبتبعها آبادان وخرمشهر؛ لذلك كانت هاتان المنطقتان حساستين. استطاعوا السيطرة على خرمشهر في تلك الأيام الأولى بالرغم من وجود تلك المقاومة وذلك الحماس العجيب؛ أي أنّ الأمر كان من الصعوبة بمكان لا يُمكن الدفاع فيه، فحصلوا عليها. لكنّهم فشلوا في الحصول على آبادان. وبما أنّهم لا يستطيعون الدّخول من تلك الجهة، أرادوا الالتفاف والدخول من الجزيرة. كانت خطة دقيقة يقوم بها العدو، ويتقدّم خطوة خطوة، وكان موفقاً فيها. وكما قلت فإنّ جزيرة آبادان كانت قد حوصرت في الحقيقة.

لكنّ الإمام أشار إلى أمرٍ حساس، وأكّد عليه وقال: «يجب كسر هذا الحصار»؛ وبذلك تم إفشال إحدى خطّتَي هجوم العدوّ الأساسيتين وأحد الهدفين، وهو السيطرة على بعض المناطق في إيران. وطبعاً؛ عندما يُصدر الإمام أمراً، يمتثل الشّباب له ويُنفذّونه.

لذا؛ فإنّ هذا الأمر كان أمراً حكيماً ومحسوباً بدقّة. بعد صدور أمر الإمام حسبما أذكر، انطلق بعض شباب الحرس واختاروا منطقةً قريبةً من نقطة عبور العدو من نهر «كارون» على حدود «مارد» تقريباً، وأظنّ أنّ اسمها كان «محمدية»، وحفروا الأرض هناك ودخلوا في دشم قريبةٍ من العدو؛ على الرّغم من افتقارهم إلى أقل المعدّات. كان قائد ذلك الفريق هو السيد «رحيم صفوي»، الذي كان يأتي إلى الأهواز باستمرار ويطلب منّا المعدّات، وكنتُ بدوري أطلب

منه تقديم تقرير عن عمله، وأُلاحظ مسار تقدّمهم خطوةً بخطوة، منذ أن كان الفاصل بينهم وبين العدو مسافة عدّة كيلومترات وحتى صاروا على مقربة منه.

في إحدى المرّات قال [السيد صفوي]: «في الليل نضرب العدو من داخل دشمنا»؛ أي أنّ الأعداء لم يكونوا على علمٍ بوجودهم هناك بعد، وكان ذلك مقدمة لعمليات ثامن الأئمة. [وكما ذكرت]؛ فصل عدة أشهر قد تصل إلى تسعة بين [صدور] أمر الإمام وكسر الحصار، فالعمليات الأخيرة تمت بعد أحداث ٧ «تير»[١]، وكانت هذه أحداث سنة ستين وكان الإمام قد قال هذا قبل ذلك في أوائل الحصار[٢].

أُريدك في عملٍ خاص

كان شباب مجموعة الشهيد شمران يجتمعون في مقرّ أركان حرب العصابات، ويذهبون كل ليلة لتنفيذ العمليات ويصطحبونني معهم أحياناً، وكان المقرّ قريباً من كتيبة ٩٢ [المدرعة]. في إحدى الليالي، طلب ضابط رؤيتي، وأظنُّ أنه كان عميداً أو رائداً، وقال: «أُريدك في أمرٍ خاص». ظننتُ أنه يُريد طلب إجازة مثلاً. وشعرتُ بالغيظ قليلاً؛ ففي خضمّ هذه الأحداث ليس الوقت وقت الحصول على إجازة؛ لكنني رأيتُه قد أتى حزيناً والعبرة تخنقه، وقال: «هل يمكن أن يأخذني الشّباب معهم إلى العمليات عندما يذهبون ليلاً؟». فقد جاء هذا العميد ليرجو منّا الذهاب مع الشباب برفقة الشهيد شمران لقنص الدبابات. إن مثل هذه المشاهد والتجليات التي كان الإنسان يراها هناك، تدلّ على معنوياتهم العالية. وأمّا شباب التعبئة، وشباب الحرس، والمتطوعون للذّهاب إلى الجبهة وأمثال الشهيد شمران، فهم أمر آخر. وهذا بعدٌ من أبعاد قدرة هذا

١. حادثة انفجار ٢٧ تموز - المترجم.

٢. من مقابلة أجراها منتجو برنامج «رواية الفتح» بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢م.

الشعب العظيم[1].

سيادة رئاسة الجمهورية

في زمن رئاسة بني صدر، وعندما يئستُ من أن يأخذ الإمام برأيي عن بني صدر، ذهبتُ للقائه، وكنّا نذهب فرادى، أو مجموعات، نكتبُ رسالةً له أو نتحدّث معه مباشرةً. يومها ذهبتُ إلى الإمام، وقلتُ بصراحة بأنني توصّلتُ إلى هذه النتيجة، وحيث إننا لم يعد بإمكاننا أن نتصرّف مع السّيد بني صدر، فعليّ أن أتصرّف بأسلوب ما قبل الثورة؛ حيث كنّا نقول كلاماً يؤدي إلى تأليب النّاس ضد ذلك النظام. فقلتُ له أنا الآن مضطرٌ لقول بعض الكلمات التي تؤدّي لأن يتّخذ سامعها موقفاً ضد بني صدر. نظر الإمام إليّ وابتسم ولم يقل شيئاً.

آنذاك، في بعض الأحيان كنتُ أذهب للقاء الإمام وقد امتلأ قلبي غيظًا، لكن عند عودتي كنت أقول للرفاق بأنّ الإمام مسح بيده على وجهي ورأسي، ووضع لقمة حلوى في فمي بلطفه ونظراته تلك، ثم أخلى سبيلي. لكن عندما كنّا نعود مجدّداً، كان يقول في خطابه ثانية: «سيادة رئاسة الجمهورية! السيد بني صدر!»؛ أي يبقى على حاله. فقد كان يرى مصلحة في ذلك؛ لأنه كان حكيماً بالمعنى الحقيقي، فقد كان يرى ما خلف الستائر والحجب، مما لم يكن أمثالنا قادراً على رؤيته[2].

أسسوا نمطكم بأنفسكم

في مرحلة رئاستي للجمهورية وفي مجلس الثورة الثّقافية، اقترحتُ قضيّة الزّي الوطني وتصميم أزياء وطنية، أزياؤنا الوطنيّة في النّهاية، ليست هذا البنطال والمعطف. طبعاً؛ لستُ مخالفاً لهذا النّوع من الملابس، وقد أرتدي منها في

---

١. من خطابه في لقاء مجموعة من المجاهدين القدامى والذين يروون ذكرياتهم في مكتب الأدب والفن المقاوم بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٢٢م.

٢. من خطابه خلال لقاء مع مجموعة من الفنانين بتاريخ ١٩٩١/١١/٢٥م.

المرتفعات أو في أماكن أخرى، ولا مشكلة لديّ مع ذلك، لكن في النهاية هذا ليس لباسنا الوطنيّ. العرب لديهم أزياؤهم الوطنيّة الخاصّة بهم، وكذلك الهنود، والإندونيزيون، والأفارقة، وهم يحضرون في الاجتماعات الدّولية العالمية بزيّهم الوطني ويفتخرون به. في أحد الأماكن رأيتُ رئيس جمهورية زيّه الوطني عبارة عن تنورة! كان رجلاً كبيراً يرتدي تنورة تصل إلى ركبتيه، وكانت أقدامه عارية! ولم يشعر بالحقارة أو الدونيّة أبداً، فكان يُشارك في ذلك الاجتماع بفخرٍ ويقوم ويقعد، فهو لباسه الوطني، ولا ضير في ذلك. العرب أيضًا يرتدون أزياءهم الوطنية، وهي عبارة عن دشداشة طويلة مع الكوفية والعقال، وقد لا تكون منطقيّة من وجهة نظري ونظركم، لكنها أزياؤهم وهم يحبّونها.

وأنا وأنتم إيرانيون، فما هو زيّنا [الوطنيّ]؟ وقد لا تعرفون شكله، ولا أقول يجب أن تعود الأزياء الوطنية إلى ما كانت عليه قبل خمسمائة عام، أبداً؛ بل أقول صممّوا أزياءً إيرانية. وهذا ما قلتُه في مجلس الثّورة الثقافية [آنذاك]، ولا أريده الآن منكم. يومها سلّمنا المهمّة إلى قسم حكومي وطلبنا منهم متابعة الأمر، وقد أنجزوا مقدّمات العمل، لكنهم لم يكملوه، وانتهت بعدها دورة رئاستي للجمهورية.

ما أريد أن أقوله لكم هو أنكم إذا أردتم أن تُصفّفوا شعركم، أو ترتدوا ملابس، أو تُغيروا نمط مشيكم، فافعلوا هذا لكن ليُكن من أنفسكم، لا تقليداً للآخرين.. قبل حوالي ثلاثة أو أربعة عقود، سادت في البلدان الغربية وفي أمريكا بصورة أكبر، حالة إحباط لدى بعض الشباب، فقاموا ببعض الإجراءات والتغييرات والتي ما تزال مستمرة إلى الآن. ففي زماننا، كان هؤلاء الأفراد هم «البيتلز» الّذين يُصففون شعرهم ويظهرون بشكلٍ غريب وعجيب، ويحبون نوعاً خاصاً من الموسيقى التي تشبه موسيقى البوب الدارجة حالياً.

لقد ذهبتُ إلى الجزائر بعد انتصار الثورة، وبينما كنا في السيارة، رأيتُ شاباً قد حلق نصف شعره وترك النصف الآخر، ومهما نظرت لم أجد شيئاً جميلاً في هذه

التَّصفيفة، فمن الواضح أنه يريد تقليد أحدٍ بها. في الجزائر لا يُعاني الناس من ضغوط الحياة الصناعية أو ضغوط العمل وغيرها بحيث يشعر شابٌ بالمشاعر نفسها الّتي يشعر فيها الشّباب في أمريكا وبريطانيا أو أماكن أخرى، لكنه رأى شيئاً وحاول تقليده. أنا أُخالف هذه الأمور، ولا أُحب أن يتصرّف شبابنا على هذا النحو، ولا أن تبقى عيون فتياننا وفتياتنا معلّقةً على هؤلاء[1].

اعتصر قلبي بشدة

لقد شاهدتُ بكاء الإمام عدّة مرات، ولم يكن ذلك في مجالس العزاء وعند ذكر مصاب [الإمام الحسين عليه السلام] فقط، فكلّما كنت أحدّثه عن تضحيات النّاس، كان يتأثّر. مثلاً عندما كسروا حصّالات الأولاد في مصلّى صلاة الجمعة، ليهدوها لشباب الجبهة وتجمّع جبلٌ من الأمـوال، كان الإمام حينها في المستشفى، فشاهد هذا المشهد على التلفاز، وتأثّر كثيراً وقال لي: «هل رأيت ماذا فعل هؤلاء الأطفال؟». في تلك اللّحظة رأيتُ عيني الإمام مغرورقة بالدموع، وانهمرت على وجنتيه.

في إحدى المرات، رأيتُ الإمام يبكى عندما نقلت له كلام والدة أحد الشهداء. فبعد أن أنهيتُ الخطبة في إحدى المدن، توجّهتُ نحو السيارة لأركبها، وما إن هممت بالركوب، حتى رأيت امرأة تُكلّمني من خلف حاجز الحرس، فقلت لهم افتحوا الطريق لأرى ماذا تريد، فاقتربتْ منّي وقالت: «أخبر الإمام بأنّ ابني كان أسيراً بيد الأعداء، وقد عرفتُ مؤخّراً أنه استشهد. قل للإمام فداءً لك! لتحيى أنت، وأنا مستعدّة لأن أُقدّم بقية أبنائي في نهجك». جئتُ إلى طهران، وذهبتُ لمقابلة الإمام، لكن نسيت أن أوصل الرسالة، وتذكّرتها بعد أن خرجت؛ لذلك عُدت ثانيةً ونقلتُ له كلامها، وعندها رأيتُ ملامح الإمام تتغير بسرعة والدموع

---

١. من خطابه خلال لقاء الشباب والأساتذة والجامعيين في جامعة محافظة همدان بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٧م.

تنحدر من عينيه بحيث اعتصر قلبي بشدّة [لرؤية تأثر الإمام][1].

ندمتُ من ذكر ذلك

قالت لي والدة أحد الأسرى، لا أعرف إذا كان ذلك في تبريز أو مكانٍ آخر: «لقد كان ابني أسيراً، واليوم وصلني خبر استشهاده. اذهب وقل للإمام فداء لك، أنا لستُ حزينة». كانت حالة هذه المرأة عجيبة جداً، وكنتُ قد رأيتُها تحاول أن تخترق الجموع، لكنّهم يمنعوها من المرور؛ فقلت لهم: «دعوها تقترب لأرى ماذا تقول»، فدنت وقالت هذه الكلمات، وقد تأثرتُ بكلامها كثيراً.

عندما ذهبتُ لرؤية الإمام، نسيتُ نقل كلامها له في البداية، وتذكرت بعد خروجي من عنده. فقلت لأحد الرجال الموجودين هناك أخبروا الإمام أنني نسيت أمراً ما، فجاء الإمام بنفسه إلى باب الفناء الخلفي، وذهبتُ بدوري إلى هناك. عندما أخبرتُه بما قالته المرأة تغيّرت ملامحه، وتأثّر وبكى بحيث ندمتُ على نقلي إيّاه.

إن هذا لَأمرٌ عجيبٌ فعلاً، فنحن قدّمنا كل هؤلاء الشّهداء، وهو أمرٌ بالغ الأهمية، كما تمّت التضحية باثنين وسبعين بطلاً من أبطال الثورة، وبقي الإمام شامخاً كالجبل؛ إلا أنه يبكي عند سماعه خبر استشهاد أسير. أنا لا أفهم سرّ هذا الإنسان وأعجز عن وصف هذه الشخصية[2].

الأسلاك الشّائكة ليست قنبلة نووية

في بداية الحرب، كنّا بحاجةٍ لأسلاكٍ شائكة، وقد استطعنا شراءها من إحدى الدّول الأجنبية، وكان علينا إدخالها إلى إيران مروراً بالاتحاد السوفييتي آنذاك، لكنّهم لم يسمحوا لها بالمرور؛ لأنهم كانوا يدعمون العراق. وعلى الرغم من أن

١. من خطابه خلال مراسم بيعة قادة وأعضاء لجان الثورة الإسلامية بتاريخ ٨/ ١٩٨٩/٦م.

٢. من خطابه خلال لقاء أعضاء مقرّ إقامة الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٢م.

الحمولة هي أسلاك شائكة وليست قذائف، ولا دبابات، لكنّهم منعوا عبورها، إلى هذه الدّرجة كانوا يسيئون معاملتنا. وعندما أردنا أن نشتري القذائف لم يبيعونا إياها أيضاً، وكذلك الأمر بالنسبة للأسلاك الشائكة وبعض الإمكانات الأخرى، والتي كان المهرّبون يبيعوننا إياها بضعف ثمنها أو ثلاثة أضعافه، وكنّا في النهاية مجبورين على شرائها بمقدار حاجتنا. واليوم، نتيجة هذه العقوبات هي أنّنا أصبحنا من الدول العشر الأولى في العالم في مجال [تصنيع] مضادات الدروع[1].

إنّه واجب عينيّ عليكم

لقد تم انتخابي رئيساً للجمهورية في دورتين، وكنتُ مخالفاً في البداية في الدّورتين. ففي الدورة الأولى، كنتُ قد خرجت حديثاً من المستشفى، وقال لي الأصدقاء أنّه لن يكون لدينا رئيس إذا لم توافق أنت، فلا يوجد غيرك، فوافقتُ اضطراراً. وأما في الدورة الثانية، فقد ذهبت للقاء الإمام وقلتُ له: «يا سيد! إنني مخالف [هذه المرة]، ولن أدخل السّاحة هذه المرّة.»، فقال: «إنّها واجب عليك»؛ أي أنّها ليست واجباً كفائياً بل واجب عينيّ[2].

بكيتُ من شدّة الفرح

قبل عدّة سنوات - ربّما عام ٨٢ أو ٨٣ - زرتُ أحد مقرّات الحرس، ورأيتُ أن الشّباب مصطفّين بشكلٍ مرتّبٍ ومنظّم، ثم ألقى قائد الميدان أمراً متعلّقاً بالمارش العسكري، عندها بكيتُ من شدّة الفرح. وتذكرتُ عامي ٧٩ و٨٠ في الحرس، [لم يكن النّظم سارٍ بعد هناك]، وكان علينا أن نُقنع هذا وذاك من أجل الحضور في الوقت المحدّد، وتنفيذ المهامّ المعيّنة بدقّة، وعدم التّدخل في

---

١. من خطابه خلال لقاء مجموعةٍ من المهندسين والباحثين المهنيين والصناعيين في إيران بتاريخ ٢٣/ ٢/٢٠٠٥م.

٢. من خطابه خلال اللقاء العام بتاريخ ١٤/ ١٢/١٩٩٤م.

عمل الآخرين، وانصياع العناصر لأوامر القائد. كان البعض يقول بأنّ مثل هذه الأوامر خاصّة بزمن الطاغوت [الشاه]، ولا أدري من كان قد بثّ مثل هذه الأفكار بين الحرس![1]

عبقٌ من وجود الإمام

في أيام رئاستي للجمهوريّة، كان لديّ سفرٌ رسميّ إلى أحد البلدان الأفريقيّة. عندما نزلتُ عن سلّم الطائرة، وجدتُ أنّ رئيس جمهورية ذلك البلد مرعوبٌ منّي، وكان الخوف بادٍ على وجهه، وعندما جلسنا في السّيارة الفارهة من أجل أن يوصلونا إلى المضافة، رأيتُ أنه جالسٌ إلى جهة لا يجرؤ على النّظر إلى وجهي. أجبرتُه على الكلام شيئاً فشيئاً، من خلال ملاطفته، والابتسام والضحك معه. عندما عدتُ إلى إيران قلتُ للإمام: «لقد رأيتُ أنهم هناك يرون عبقاً من وجودكم فينا».

لم أكن أنا سبب تواضع رئيس الجمهورية ذاك، فلم أكن شخصية خاصّة؛ بل كان ذلك لأجل الإمام، فهو مظهر الثورة. ولم يكن بإمكان ذلك الرئيس تمالك نفسه، على الرغم من أنه رئيساً كبيراً ومعروفا، وليس شخصاً عادياً، لكنه كان يرى الإمام في الوفود الإيرانية ويشمّ عبقه[2].

لقد علقتُ في الدّنيا الترابية

في العام ٨٢، عيّنا الشّهيد بابائي قائداً على مقرّ القاعدة الجوية العسكرية الثامنة في أصفهان، وكان برتبة رائد، فرقّيناه إلى رتبة عقيد؛ حيث كانت أعلى رتبة آنذاك. وكان المرحوم بابائي يحلق رأسه، دون لحيته، وكان من المقرّر أن يُدير هو هذا المقرّ، وهي مهمّة شاقّة يخشى الجميع خوضها، حتى أنا كنتُ أخشاها

١. من خطابه خلال لقاء قادة وعناصر حرس لجان الثورة الإسلامية بتاريخ ٢٠/ ١٩٩٠/٩م.

٢. من خطابه خلال لقاء القادة ومجموعة من حرس لجان الثورة الإسلامية بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٣١م.

على الرغم من إصراري عليه، فكنتُ أخشى من أن يفشل فيها، لكنه نجح.

عندما كان بني صدر هو القائد، كان الوضع أكثر تعقيداً. كان هناك البعض من أهل السّوء، يثيرون الشغب ويؤذون الآخرين، وكانوا يتكلّمون ولا يعملون، لكن الشهيد بابائي استطاع أن يستقطب هؤلاء، وقد أخبرني بنموذجٍ عن هذه الأمور بنفسه في إحدى زياراته لي. كان هناك طيّارٌ شارك في قصف مراكز بغداد، ثم استشهد، كان من هؤلاء الطّيارين الّذين لديهم مشكلة مع النظام منذ البداية. تقرّب الشهيد بابائي منه وتودد له؛ حتى أنّه أخذه معه إلى مراسم دعاء كميل في إحدى الليالي بنفسه، مع أنه كان أعلى رتبة منه أيضاً. كان الشهيد بابائي قد صار عقيداً حديثاً لكن ذلك الشخص كان عقيداً منذ سنين، وكان أكبر عمراً وأكثر خبرة، وهي أمور ذات اعتبار وهامّة بين العسكريين. وعلى الرّغم من ذلك سلّم روحه وقلبه لبابائي، وكان الشهيد بابائي يقول: «رأيت كتفيه يهتزّان في دعاء كميل من شدّة البكاء ودموعه تنهمر على خدّيه، ثم التفت إليّ وقال: عباس! ادع لي كي استشهد». أخبرني بابائي بهذه القصة بعد شهادة ذلك الطيّار، وبكى.

إنه الآن في أعلى عليين الله، لكن أنا الّذي سبقتُه إلى ميدان الحرب بثلاثين عاماً، لا زلت عالقاً في هذه الدّنيا الترابية وباقياً فيها. أنا لم أذهب وليس من المعلوم أن أنالها. هكذا يكون التّأثير المعنوي[1].

هؤلاء يجب أن يُغادروا

بعد أن بنت الشّركات الأجنبية جزءًا من سدّ دز، سلّموا استثمار محطة توليد الكهرباء لمدّة قصيرة إلى شركة وطنية. ثمّ أرادوا أن يضاعفوا إنتاج المحطة؛ فسلّموا العمل لشركة أمريكية، وعندما جاءت هذه الشركة، وجدت أنّ المستثمر هو شركة إيرانية، فلم توُافق على العمل معهم وطلبت مغادرتهم. [وامتثلت] الحكومة الإيرانية وطردت المستثمر الإيراني، وأوكلت عمل محطّة

١. من خطابه خلال لقاء مسؤولي الأمور العقائدية والسياسية في الشرطة بتاريخ ٢٠٠٥/١/١٢م.

إنتاج الكهرباء إلى شركة إيطالية، عندها وافق الأمريكان على إكمال الخمسين بالمائة المتبقية من محطة الكهرباء. لذلك لم يكن يُسمح للإيرانيين بشيء حتّى في مجال الاستثمار[1].

يا سيد! طيّب الله

عندما أشاهد بعضاً من البرامج [الإذاعة والتلفزيون] أو أسمعها، أوصي مسؤولي المكتب بالاتّصال مباشرة بالإذاعة والتلفزيون ليخبروهم بأنّه كان جيّداً وأنّنا استفادةً منه. فعندما كنتُ أرتقي المنبر، وبعد انتهاء الخطبة كنتُ أحبّ لو قال لي أحدهم: «يا سيد؛ طيّب الله أنفاسكم!». في بعض الأحيان يتكلّم الخطيب لمدّة ساعة كاملة، لكن يأبى أحدٌ أن يقول له: «طيّب الله» وحسب. لذلك ولأنني كنت أعرف مدى تأثير هذه الكلمة، أردتُ أن أقولها لهؤلاء[2].

لا يبدو عليهم أنهم ثوريون

لقد سافرتُ إلى البلدان الأفريقية التي حصلت فيها الثّورات، والّتي يبلغ عددها خمسة أو ستّة بلدان، والتقيتُ بقادتهم ورأيتُ بيوتهم، وقصورهم، وحياتهم، وعقليّاتهم، وتكلّمتُ معهم لساعات واختبرتهم جيداً. رأيت ما كنتُ أتوقعه، كما لا يمكن توقّع شيء أكثر منه، رأيتُ فريقًا بتفكير يساريّ نفّذ انقلاباً عسكرياً، وحرب عصابات أو حرباً منظّمة، ثمّ استلم السّلطة وجلس مكان أصحاب السلطة السّابقين.

قصر حاكم البرتغال السابق في موزمبيق، هو نفسه القصر الّذي عاش فيه «ساموراماركل» قائد ثورة موزمبيق، والّذي قُتل فيما بعد. ولقد استقبلني أنا أيضاً فيه، ورأيتُ أنّ الوضع لا يختلف عن السابق. كان هناك سجّادة كنتُ أنظر إليها،

---

١. من خطابه خلال لقاء مع مجموعة من المهندسين والباحثين الفنيين والصناعيين في البلاد بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٣م.

٢. من خطابه خلال لقاء مسؤولي الإذاعة والتلفاز بتاريخ ١٩٩٦/٤/١١م.

فقال: «إنّها إحدى السّجادات الّتي بقيت من زمن البرتغاليين»، فلاحظتُ أنهم لا يعيشون في القصر السابق والحياة السّابقة والكماليات السّابقة وحسب؛ بل يعيشون بنفس النّمط أيضاً، وكأنهم ليسوا ثوريين أو شعبيين، ولم يكونوا كذلك بالفعل، ولم يكن هناك خبرٌ عن الشعب.

عندما أردنا أن ندخل إلى صالة الضيوف، رأيتُ شخصين يقفان بالقرب من بابٍ كبير يصل الصّالتين ببعضهما، وكانا أشبه بالغلمان الأسطوريين في قصور السّلاطين، كما كان الحاكم البرتغالي يعيشُ بذلك النّمط. لقد كان الرجّلان أسودا البشرة، لكنهما لم يكونا عبدين، فلقد كانا من طائفة الحاكم نفسها، وكانا يقفان عند جانبي الباب وعليهما أن يتصرّفا بنحوٍ معين عند وصول قائدهم الثوري أو ضيفه - أي أنا - إلى الباب، فيتعيّن عليهما فتح مصراعي الباب بشكلٍ متساو ويركعا تعظيماً له، وهذا ما فعلاه، وكنتُ أنظر وأبتسم، ثم دخلتُ معه إلى صالة الضيوف. كان يُشبه بتصرّفاته الحاكم البرتغالي [السابق]. لقد كان الوضع على هذا النّحو في كلّ مكان[1].

الانتقام والنقمة الإلهية

في أوائل مرحلة رئاستي للجمهورية، زارني جمعٌ من السادة [العاملين في] المجلس القضائي العالي. في تلك الجلسة، دار الكلام حول قاضٍ ارتكب مخالفةً في إحدى المدن. يومها، أبديتُ رأيي حول الموضوع، وقلت بأنّه رأيي الشخصيّ؛ فقيّموه وانـظروا هل تقبلون به أو لا. وكان اقتراحي هو كالتالي: «حاكموا ذلك القاضي في المدينة التي خالف فيها، فإذا كان يستحقّ الجلد، أو الحبس أو أيّ شيءٍ آخر، أقيموا الحدّ عليه هناك ثم أعيدوه إلى منصبه في القضاء ثانيةً في المدينة نفسها»، فقالوا: «إنّ هذا العمل يُضعّف المؤسسة القضائيّة». قلتُ: «بل برأيي يُقوّيه؛ لأنّ القاضي أو الحاكم الشّرعي الّذي يُعاقب

١. من خطابه خلال لقاء أئمة صلاة الجمعة في إيران بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٨م.

بسبب مخالفته، ثم يجلس على كرسيّ القضاء ثانيةً سيقول انظروا، هكذا هي السلطة القضائيّة. لقد ارتكبتُ مخالفة، وعوقبتُ جرّاء ذلك؛ لذا لن يُخطىء ثانية ولن يجرؤ على المخالفة، وهذا بمنزلة انتقام ونقمة إلهيين»[1].

اذهبا واتّفقا فيما بينكما

في إحدى المرّات وبينما كنتُ في خدمة الإمام، وكان يُريد أن يعقد قِرانًا، ما إن رآني حتى قال: «تعال وكن طرفاً في هذا العقد». كان يعقد القِران أوّلاً؛ بخلافنا نحن الّذين نُطيل الكلام ونُفصّل فيه، ويختصر الكلام بعدها بعبارتين قصيرتين أو ثلاثة.

وبعد أن عقد القِران، التفت إلى العريسين وقال: «اذهبا وابنيا حياتكما معًا، واتّفقا فيما بينكما»، فعلمتُ عندها أنّنا نكثر الكلام، بينما كلام الإمام اختصر كل شيء في هذه العبارة «اذهبا وابنيا حياتكما واتّفقا». والآن أوجّه هذا الكلام لكم أيها الشباب، اذهبا وابنيا حياتكما معًا، واتّفقا فيما بينكما[2].

هناك يدٌ غيبية في هذا العمل

قبل انتهاء عام ٨٦ بعدّة أيام وعندما كنّا في خدمة الإمام، ولأنّ أحد أيام نيسان ٨٧ يصادف ولادة أحد الأئمة، أصررت أنا والسيد هاشمي رفسنجاني والحاج أحمد الخميني على أن يكون لدى الإمام لقاء مع الناس في حسينية جماران. استنكر الإمام وقال بشكلٍ قاطع: «لا رغبة لديّ».

أنا كنتُ قد ذهبتُ إلى مشهد في أيام النوروز، وكان لدى السيد هاشمي لقاء في الجبهة. آنذاك، تعرّض الإمام لمشكلة قلبية، ولأنّ الحاج أحمد كان قد هيّأ جميع الوسائل من أجل تحسّن وضع الإمام، تعامل مع حالته بسرعة فزال

---

١. من خطابه في لقائه برئيس السلطة القضائية ومسؤوليها بتاريخ ١٩٨٩/٩/١١م.

٢. من خطابه خلال مراسم إجراء عقد الزواج بتاريخ ١٩٩١/٧/١١م.

الخطر.

عندما زرتُه في المستشفى، قلتُ له: «كم هو جيّد أنّك لم توافق على إصرارنا في تلك الليلة على لقاء الناس، وإلا لو تمّ الإعلان عن خبر اللقاء، لجاء الناس لزيارتك ولم يكن بإمكانك لقاءهم بتلك الحال، كما لم يكن انتشار هذا الخبر في الدنيا جيداً. عملك هذا مشيئة الله ومساعدة إلهية، ولقد اتّخذت قراراً صحيحاً في ذلك الوقت».

قال في الجواب: «لقد عرفتُ بأنه على ما يبدو هناك يد غيبية منذ بداية الثورة إلى الآن تتدخّل في جميع الأمور وتهديها»[1].

اتّحدوا

في ربيع عام ١٩٨٦، لا أنسى اليوم الذي كان فيه الإمام على فراش المرض؛ حيث بقي مريضاً لمدّة عشرة أو خمسة عشر يوماً جرّاء تعرّضه لنوبةٍ قلبية. آنذاك، لم أكن في طهران، وبمجرّد أن اتصل بي الحاج أحمد وطلب مني الإسراع في القدوم، علمتُ أنّ مكروهاً قد حلّ بالإمام، فانطلقتُ وأتيتُ إلى طهران على وجه السرعة.

كنتُ أول مسؤول يحضر عند الإمام، وكان ذلك بعد وقوع الحادثة بعشر ساعات تقريباً؛ علمًا أنّ أخينا العزيز جناب السيد هاشمي رفسنجاني كان في الجبهة، ولم يكن أحد غيري يعرف بالأمر. كانت أياماً صعبة ومقلقة بالفعل. ذهبتُ إلى الإمام، وعندما وصلتُ إلى سريره تأثّرتُ، ولم أستطع أن أتمالك نفسي وبكيت، لكن الإمام تلطّف ونظر إليّ بمحبّة، ثم قال عدّة عباراتٍ حفظتُها لأنها كانت قصيرة، وخرجتُ وكتبتُها على الفور. كان أخونا العزيز السيد حسن صانعي في الغرفة أيضاً، وقد ساعدني حتّى أكتب عبارات الإمام نفسها.

---

١. من خطابه خلال مراسم بيعة قادة وأعضاء لجان الثورة الإسلامية بتاريخ ١٩٨٩/٦/٨م.

كنا قلقين عندما تعرّض الإمام فيها لنوبةٍ قلبية، وعندما وصلتُ كان قد هيّأ نفسه لأجل أيّ حادثة محتملة. لذا؛ كان عليه أن يقول لي في تلك اللحظة الحساسة أهمّ كلامٍ في ذهنه. قال: «كونوا أقوياء، لا تهنوا، توكّلوا على الله، كونوا ﴿أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾، وإذا اتّحدتُم لا يمكن لأحدٍ أن يؤذيكم». برأيي هذه العبارات هي خلاصة وصيّة الإمام المكوّنة من ثلاثين صفحة[1].

نحن لا نريد قطع العلاقات لكن..

عندما ذهبتُ إلى نيويورك من أجل اجتماع منظّمة الأمم، جاء مسؤول أوروبيّ رفيع المستوى وقال: «عليكم في النهاية أن تحلّوا مشكلتكم مع أمريكا». فكانوا يظنّون أنهم قد يتمكنون من استغلال فرصة مجيئي إلى نيويورك وفي أمريكا. قلتُ: «هذا الأمر غير ممكن، فقضية منظمة الأمم مختلفة، وسبب قدومي هو حتى أتكلّم مع الدنيا، وهذا لا يتعلّق بأمريكا بل هو أمرٌ آخر».

كما جاء أحد وزراء الخارجية الأوروبيين إلى إيران أثناء مرحلة رئاستي للجمهورية، وتحدّثنا حول هذا الموضوع أيضًا، ولو علم الشّعب الإيراني بما تكلمنّاه مع هؤلاء الدبلوماسيين طيلة الثماني سنوات وبعدها، أظنّ أنّه سيشعر بالعزّة. أنا قلتُ له آنذاك في زمن حياة الإمام المباركة، بأننا بصفتنا جمهورية إسلامية لا نريد أن نقطع علاقتنا بالغرب، ونريد الحفاظ عليها، لكن مقصودنا من الغرب ليس أمريكا فقط، فالأمريكيون يُريدون أن يُظهروا أنّ الغرب يعني أمريكا، وأنّ إقامة العلاقة مع أمريكا تعني إقامة علاقة مع الغرب؛ وإلّا فستبقى إيران على الهامش، ونحن لا نوافق على هذا الكلام، وقد أُعجب الأوروبيون أيضاً بردّنا[2].

---

١. من خطابه خلال مراسم بيعة أئمة الجمعة في إيران بحضور رئيس مجلس الخبراء ١٩٨٩/٧/٣م.

٢. من خطابه في صحن الإمام الرضا عليه السلام بتاريخ ١٩٩٨/٣/٢١م.

تداعيات الخطاب

في دورة رئاستي للجمهوريّة، ذهبتُ إلى منظّمة الأمم المتحدة، وألقيتُ خطاباً حماسياً جداً في الجلسة العامة. وقد نقلتها عدّة قنوات تلفزيونية أوروبية بشكلٍ مباشر؛ لأنّه كان من الممكن أن يكون لها الكثير من التّداعيات. في اليوم نفسه أو في اليوم الّذي يلي، أوقفوا سفينة «إيران آجر» في الخليج الفارسي، وقد نقلت قنوات نيويورك وكل القنوات قصة «إيران آجر» وزرعها للألغام في الخليج الفارسي، وملأت شاشات الإعلام الأمريكي بل وجميع الدنيا. والهدف كان التأثير على ذلك الخطاب، ولقد كانت الهجمات على منصّات النفط وأمثال ذلك هو نوع من مواجهة أمريكية عملية[١].

لماذا تضطربان؟

زارني قبل ثلاث أو أربع سنوات مُقدّما برامج يعملان في الإذاعة والتلفاز. كنت أعرفهما لأنني ممن يُتابعون هذه البرامج، قلتُ لهما: «لمَ تضطربان عندما تقفان أمام الكاميرا؟ ولكي تضبطا هذا الوضع، من الآن فصاعداً تذكّرا كلّما أردتما الكلام أنني خلف الشاشة أسمعكما، أصلاً كلماني أنا». هذان الشّخصان الآن من مقدّمي البرامج الجيدين، وأرى أنهما يُراعيان [الضوابط] فعلاً[٢].

لم يكن يُجيد لغته!

في إحدى المرّات، زارني رئيس وزراء بلد عربيّ في زمان رئاستي للجمهورية. لا أذكرُ إذا كان رئيس جمهورية حينها أو رئيس وزراء، وكان برفقة وزير خارجيته. كان يتكلم معي باللغة العربية، وفي الأثناء نسي كلمة ومهما حاول أن يتذكر لم يتمكّن، فالتفت إلى وزير خارجيته وسأله باللغة الفرنسية عنها، فأخبره بما

---

١. من خطابه خلال لقاء الجامعيين في جامعة الشهيد بهشتي بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٢م.

٢. من خطابه خلال لقاء المدراء والمسؤولين في قسم أخبار الإذاعة والتلفزيون بتاريخ ١٩٩٣/٣/١٢م.

يعادلها في اللغة العربية. عندها نقلها لي. اللّافت أنني بصفتي مخاطبه ولغتي الأصلية ليست العربية كنتُ أعرف معنى تلك الكلمة ولم تكن صعبة عليّ. أنا لغتي فارسية وذلك الرّجل لم يكن يُجيد لغته العربية وسأل عنها وزير خارجيته من خلال اللغة الفرنسية - العربية. قلتُ في قرارة نفسي ليس من العجيب أن تكونوا تعيسين لهذه الدرجة في حين أنّكم لا تجيدون حتى لغتكم، بينما أنت رئيس البلاد! أعزّائي! لقد كانت هذه الحالة موجودة هنا في إيران قبل الثورة. فلا تتعجّبوا كثيراً، [من أناس] لا يجيدون لغتهم[1].

في البداية ظننتُ أنه صاروخ!

أنا أذكر فروض صلاة الجمعة سابقاً حيث كانت أصوات الانفجارات تتناهى إلى المسامع من أنحاء مكان إقامة الصلاة. وأثناء إقامة صلاة الجمعة [في إحدى المرات] تسبّب العدو بانفجارٍ دامٍ نجم عنه استشهاد البعض في هذه النقطة على مرأى الناس، لكن الناس صمدوا ولم يتضعضعوا وكانوا كالجبل الراسخ. أنا كنتُ واقفاً هنا في يوم[2] الانفجار، وفي البداية ظننتُ أنّه صاروخ أو قصفٌ جوي، فقلقت على مصير صلاة الجمعة، لكننا نُدرك أحياناً أننا لا نعرف شعبنا جيّداً. يشهد الله أنّ هذه الطوابير لم تتزحزح، فعندما وقع الانفجار أُثيرت الضوضاء ولعدّة لحظات، ثم نقلوا الشهداء والجرحى، لكن الناس بقوا جالسين في أماكنهم واستمرّت صلاة الجمعة والخطبة. لقد شهدتْ صلاة الجمعة هنا مثل هذه المواقف[3].

حتى أنا أخاف منها!

في إحدى الجلسات الدّولية ألقيتُ كلمة حماسيّة جداً حول سيطرة القوى

---

١. من خطابه في لقاء مسؤولي دار التربية الفكرية للأطفال والأحداث بتاريخ ١٣/ ١٩٩٣/٥م.

٢. بتاريخ ١٣/ ١٩٨٥/٣م.

٣. من خطابه في صلاة الجمعة الألف في طهران بتاريخ ١٠/٣٠/ ١٩٩٨م.

ونظام القدرة في العالم، وأتيتُ على ذكر أمريكا والاتّحاد السوفييتي، وحكمتُ عليهما بحضور أكثر من مائة نائب ورئيس دولة. وبعد تلك الكلمة، جاء مجموعة كبيرة من الحضور، وأثنوا على كلامي وأعربوا عن موافقتهم عليه. بعدها اقترب منّي أحد رؤساء الدول والّذي كان شاباً ثورياً، وقد اغتالوه فيما بعد، وقال لي: «إنّ جميع كلامك صحيح، لكنني أقول لك لا تنظر إلى نفسك أنت الّذي لا تخشى أمريكا، فجميع الجالسين هنا يخافون منها»، ثم دنا مني وقال: «حتّى أنا أخاف منها!»[1]

أولئك عبيد الدولار!

في إحدى المرّات في زمن الإمام رضي الله عنه، أراد بعض أتباعه أن يطبعوا في إحدى المجلاّت المعروفة في أمريكا، رسالة الإمام بمناسبة الحج التي كانت قد صدرت حديثاً. وكنتُ أعلم بالأمر، فوافقت وشجّعتُ على القيام به. فعرضوا الموضوع على مكاتب المجلّات المعروفة في أمريكا وأخبروهم بأنهم على استعدادٍ لدفع أي ثمن يطلبونه مقابل طباعة هذا النص. وكما تعلمون، هذه المجلّات تطبع كل أنواع المواضيع حتى المعارِضة لها عقائدياً أو سياسياً، فهم عبيد المال والدولار، يفعلون كلّ شيء مقابل المال، لكن لا مجال للمزاح [والتّراخي] هنا. فهل البلدان الكبيرة مستعدة لوضع بعض برامجها التلفزيونية في خدمة الأفكار الإسلامية؟ كلا ولا بأيّ ثمن؛ لأنّهم يعلمون أنه إذا وصلت مثل هذه الأفكار للناس واستشعرتها قلوبهم، فسيؤمنون [بها][2].

---

١. من خطابه خلال لقاء قائد القوات الجوية في جيش الجمهورية الإسلامية وطاقمها بتاريخ ١٩٩٠/٢/٨م.

٢. من خطابه خلال لقائه مجموعة من أعضاء القوات العسكرية ومؤسسة أساتذة الجامعات بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٠م.

وجد السّفر فضيحةً، فألغاه

لقد ذهبتُ إلى باكستان خلال مرحلة رئاستي للجمهورية، وحصلت مظاهراتٌ [عارمة] أدّت لأن يُلغي رئيس الجمهورية الأمريكي «ريغن» سفره إلى باكستان، بعد أن كان من المقرّر أن يزورها بعدي، فقد وجدوها فضيحةً له بأن لا يستقبله النّاس بالنّحو الذي استقبلوا فيه رئيس الجمهورية الإيراني[1].

كنت أواظب على مشاهدة هذا البرنامج

في بداية عرض برنامج «روايـة الفتح»[2]، لم أكن أعرف الشهيد [السيد مرتضى] آويني، لكنني كنتُ من محبّي البرنامج، وكنتُ أواظب على مشاهدته في كلّ ليلة جمعة. فلقد ترك أثراً كبيراً فيّ وكنت أُلاحظ مدى تأثيره.

في إحدى المرات زارني أولئك الشباب [من الفريق الوثائقي]، وأذكر أنّهم كانوا من جهاد البناء، وقلتُ لهم آنذاك: «إن الصوت النبيل الذي يروي الوثائقي ويُلقي هذه الكلمات جميل جداً، فأبقوا عليه». وكان [الشهيد آويني صاحب الصوت] موجوداً في الاجتماع بطبيعة الحال؛ لكن لم يُخبرني أحد بأنه فلان، وفيما بعد كتب لي بنفسه: «أنا من أُعدّ هذه الوثائقيات». إنّ من يريد أن يصنع مثل تلك البرامج يجب أن يتّصف بالنبالة، والبراءة، والثّبات، والاطمئنان من الكلام. في بعض الأحيان يتفوّه البعض بكلامٍ يكون كبيراً، لكن من الواضح أنهم هم أنفسهم لا يؤمنون به، لكن ذلك الصوت كان يُلقي أكبر الكلمات ويؤمن بها في الوقت نفسه؛ فكان يقول مثلاً: «إنّ شبابنا هؤلاء هم أعرف بطرق السماء من الأرض»، وكان يقولها بحيث يبدو عليه أنه سلك طرق السماء بنفسه، وعاينها وهو يعلم بأنّ هؤلاء يعرفونها أكثر. قد نظنّ بأنّ صوت الحرب يجب أن يكون خشناً ورخيمًا، لكن صوته لم يكن كذلك، بل كان صوتاً بريئاً ونبيلًا وثابتًا

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء التعبئة الجامعية في جامعات البلاد بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢١م.

٢. برنامج تلفزيوني بعنوان «روايت فتح».

في الوقت نفسه، كما كان بارعاً وفنّاناً في الكتابة[1].

لم يوافقوا على الاقتراح

سابقًا؛ كان أحد الاقتراحات بخصوص الإذاعة والتّلفاز أن يُشكّل رؤساء القوى الثلاث المجلس الأعلى للإذاعة والتلفاز [ويكونوا أعضاءه]؛ أي مجلس الرّقابة السّابق. وقد تكلمتُ بنفسي مع سماحة الإمام، وكنت أعرف أنّ رأيه هو هذا. وعندما يُقال إشراف القوى الثّلاث حسب التعبير الرّائج في القانون الأساسي، يُقصد تأسيس مجلسٍ أعضاؤه هم: رئيس الجمهورية، ورئيس السلطة القضائية، ورئيس المجلس، وتُعدّ هذه أسهل الطّرق. لكن عندما طرح السيد هاشمي [رفسنجاني] هذا الاقتراح في المجلس للتّصويت رفضته الأغلبية السّاحقة؛ على الرّغم من أنه أشار إلى أنّ هذا رأي الإمام أيضاً. ولا يمكن بالطّبع أن نقول لتلك الأكثرية أنّكم ضد ولاية الفقيه، فجميعهم من الّذين يفدون الإمام بأرواحهم، ويُحبّونه ويخلصون له، والكثير منهم شارك في ساحات الجهاد على الجبهة، لكنّهم لم يوافقوا على هذا الاقتراح[2].

دمعت عينا العجوز

خلال رئاستي للجمهورية، زرتُ مركز صناعة المصل في كرج، وكان يعمل فيه عدّة علماء كبار طاعنين في السّن، وأظنّ أنّ أحدهم هو ممّن أُجريت معهم مقابلة على الرّاديو. كان رجلا طاعناً في السنّ، بدا لي من لهجته أنّه من أهالي نجف آباد، [وعندما ألقيتُ التحية عليه]، دمعت عيناه، فرئيس الجمهورية قد جاء ليصافحه ويسأله عن حاله، وهذا لم يحدث في حياته في السابق؛ فحتى ذلك الحين لم يكن قد تفقّدهم مسؤول في الدولة بتواضع وسألهم عن أحوالهم وهو

---

١. من مقابلة أُجريت مع منتجي برنامج «روايت الفتح» بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢م.

٢. من خطابه خلال لقاء أعضاء الهيئة المركزية للرقابة على انتخابات رابع دورة في مجلس الشورى الإسلامي بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٣م.

يعرف قيمة علومهم. فقد وجدني أعرف قيمة علمه، وأحترمه بصفتة عالماً قلباً وقالباً لا عن تصنّعٍ. كان هذا أمراً عجيباً بالنّسبة له بالفعل[1].

فنّ مطابق للواقع

إنّ اليابانيين يستوحون من حياة الأشخاص العاديين مواضيع لإنتاج الأفلام، فينتجون أفلاماً مطابقة للواقع، مما يجعلها أفلاماً جذّابة، وهذا هو السبب الرئيسي لجذابيتها؛ إضافة إلى أن لديهم ممثلين بارعين. عندما عرضوا مسلسل «أوشين»، شدّ أنظار الجميع بما فيهم الإمام، وقد نقل السيد أحمد [الخميني] بأنّ الإمام كان يتابع هذا المسلسل باستمرار؛ لأنّ حياة الممثلة في الفيلم، وما تقوم به من أعمال مطابقة للواقع بشكلٍ دقيق؛ أي أنّها حقيقيّة بالفعل. أساساً هكذا يكون الفنان [الحقيقي]؛ يعرض للناس انعكاس الحقيقة[2].

ما هذه الحالة؟

قبل عدّة سنوات، وبينما كنتُ أتنقل بالسيارة من مكانٍ لآخر، أدرتُ المذياع فوجدتُ قسم المعارف يبثّ برنامجاً خاصاً بهم، وعندما استمعتُ له، توتّرت أعصابي وشعرتُ بالغضب فعلاً. عندما رجعتُ إلى مبنى رئاسة الجمهورية، طلبتُ منهم استدعاء مدير الإذاعة، لأُتابع الوضع وأرى سبب هذه الحالة، وكان مديراً آخر غير المدير الحالي. عندما جاء، سألتُه عن المسؤول عن قسم المعارف! وطلبتُ منه إحضاره لكي أتكلّم معه، لمعرفة سبب وجود مثل هذه المشكلة. بعدها أجروا بعض التّغييرات آنذاك وأصلحوا برامجهم. وما أُريد أن أقوله هو أنه عندما يكون الإنسان خبيراً، قد يغضب أحياناً من استماعه لمثل هذا البرنامج، لكن

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء «فريق العلم» التابع لمبنى الإذاعة والتلفاز في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٩٩٢/٢/٤م.

٢. من خطابه خلال لقائه أعضاء مجمع الكتّاب المسلمين بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٠م.

من لا يكون من أهل الخبرة، فقد لا يغضب لكنه لا يتقبّله ويُبدي استياءه منه[1].

يفتقرون إلى قائد مثل قائدكم

كان هناك سياسيّ أفريقيّ عاقلٌ وخبيرٌ وناضج يُدعى «موغابه»، وقد ربطَت بينه وبين إيران والثورة علاقات جيدة جداً، ولطالما دعم هو وبلده زمبابوي ثورتنا، وقد تميّز هو وجميع شعبه، وكانوا يختلفون كثيراً عن البلدان الأخرى حسبما لاحظت. [وفي إحدى المرات] وبينما كنتُ أتكلّم معه، أخبرتُه بهذا الأمر، وتجاذبنا الحديث عن بلدان جنوب أفريقيا، وأخبرته أنّ تجربتنا تجربة استثنائية، وأنّني أعتقد أنّ أفريقيا الجنوبية ليس لديها خيار سوى أن ينزل الشعب إلى الشارع بشجاعة لتضييق الخناق على الفريق الحاكم والضغط عليهم عنوة. فعندما يجتمع جميع الشعب مقابل عدد قليل من الحكّام، ويُعلنون إضرابهم؛ أي يُحجمون عن الذهاب إلى إداراتهم، ودكاكينهم، ومتاجرهم، وأماكن عملهم وورشهم، وينزلون إلى الشوارع، لن يتمكّن ذلك الحاكم من القيام بأيّ عمل، ولن يكون أمامه حلّ سوى الهروب، أو الانتحار، أو الاستسلام والتوبة.

طبعا لم يكن نقاشنا آنذاك سياسياً عادياً؛ بل كان حواراً ودّياً دار بين شخصين غير ديبلوماسيين. وقد وافق بشكلٍ كامل عليه، وقال: «أوافق على كلامك تماماً، ولقد كانت تجربتكم في الثورة تجربة موفقة، لكن لا يمكن لأفريقا الجنوبية أن تعمل بهذا الشكل؛ لأنكم كنتم مسلّحين بالدين والإيمان بالله، وكان لديكم قائد متدين يستغلّ عنصر الإيمان بشجاعة وقوة، وأوصل الثورة إلى النّصر. لكن أفريقيا الجنوبية تفتقر إلى هذا العامل». لقد كان محقاً بالكامل، وقد أردف قائلًا: «لا يمتلك الناس مثل هذا الإيمان القوّي كما يفتقرون لوجود قائد مثل قائدكم»[2].

---

١. من خطابه خلال لقائه أعضاء «گروه ويژه» [الفريق الخاص] و«فريق المعارف الإسلامية» التابع لصوت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٩٩٢/٣/٣م.

٢. من خطابه خلال لقاء أئمة الجمعة في إيران بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٨م.

إنّ الشعوب معنا

قبل عزمي على سفرٍ إلى خارج البلاد، ذهبتُ للقاء إمامنا العظيم، وقد صادف ذلك مع طروء حادثة في إيران، فأخبرتُه بوجود الكثير من الكلام الذي يُثار ضدّنا حول العالم بسببها، وأخبرته بتفاصيل الحادثة. طبعاً؛ كنت في صدد تقديم تقرير، ولم أكن أخشى أو أخاف تلك الجدالات العالمية. لقد كان الإمام على علمٍ بجميع الأخبار العالمية بالتفصيل، وقد وجّه نقداً عليها أيضاً وكان يعرف بها قبل الآخرين. وقد أجابني حينها بابتسامة رضا تُزيّن شفتيه: «نعم! أنا مطّلع على ذلك، لكن جميع الشّعوب معنا». وفعلاً كان الأمر كما قال. وفي ذلك السفر لاحظتُ حضور الشعوب وتأييدهم لنا بوضوح وبشكلٍ صدم الجميع[1].

كان الإمام يستعين بالسيد أحمد

كان لدى السّيد أحمد الخميني خبرة خاصّة في نقل الأخبار للإمام، ونقْل آراء الإمام إلى الآخرين؛ سواء لي، أو للشّخصين الآخرين اللذين كانا مسؤولين على مستوى عالٍ في البلاد، أو للناس والمسؤولين الآخرين؛ إضافةً إلى أنّه كان يُقدّم استشاراتٍ للإمام في موارد متعدّدة. وهنا ينبغي الالتفات إلى أنّ الإمام لم يكن ممن يقع تحت تأثير عواطفه، فيتأثّر بعلاقة الأبوّة والبنوّة بشكلٍ سلبي؛ بل كان يستفيد من مشورة السيد أحمد متى ما رأى الحاجة لذلك، لا أن يمتثل لكلّ آرائه ويوافق عليها، فقد شهدنا في العديد من الموارد اختلاف رأي الإمام عن السيد أحمد، وإن كنّا نظن في البداية أنّ السيد أحمد هو من أشار عليه به، لكن يشاء الله أن تدور الأمور بحيث يتبيّن لنا لاحقاً أنّ الإمام والسيد أحمد لم يكونا متفقين في الرّأي؛ حتى أنّه في أحد الموارد نُقل إليّ رأيٌ عن الإمام، وقد أثار تعجّبي ولم أكن موافقاً عليه؛ لكن السيد أحمد والشيخ هاشمي رفسنجاني كانا مصرّين عليه، ونظراً لأهمية الموضوع، فضلاً عن أنه نُقل على أنه رأي الإمام،

---

١. من خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٦م.

عقدنا اجتماعاً من أجل اتّخاذ القرار، وقلتُ حينها إنه علينا اللقاء بالإمام مباشرة، والاستماع لرأيه في هذا الخصوص؛ لأنّني كنت أحتمل عدم اطّلاع الإمام على بعض الجوانب والحقائق بشكلٍ صحيح.

ذهبنا للقاء الإمام، وبعد أن قدّمنا ما لدينا، تبنّى الإمام رأيي. وفي تلك اللحظة خطر على بالي فوراً بأنّه كيف ينقل السيد أحمد كلاماً مغايراً عن الإمام! وهنا التفت الأخير أيضاً إلى أنّ الوقت مناسب للتّطرق لمثل هذه الظنون؛ لذلك قال للإمام أمام الجميع: «يا مولانا! عندما أتيتُ إليك صباحاً، ألم تقل هذا الكلام؟» ثم روى التفاصيل. تريّث الإمام قليلاً وقال: «نعم؛ هذا صحيح.» .. أُريد أن أقول بأنّ آراء الإمام لم تكن مطابقة لمشورة السيد أحمد أحياناً؛ لكنّه في الوقت نفسه كان يستعين به أيضاً. كان الحاج أحمد ينقل آراءً ناضجة للإمام في العديد من الموارد، وبالطبع قد لا تعجب آراؤه الإمام في بعض الأحيان. أنا بنفسي رأيتُ مثل هذا الأمر في موارد متعدّدة مثل قضية الحرب، والقضايا المتعلّقة بالسّياسة الخارجية، وقضايا أخرى؛ حيث كان رأي السيد أحمد مختلفاً كلياً عن رأي الإمام[1].

لوحدها تماماً

بعد أن انتهت الحرب، وفي أواخر عام ٨٨ حسب ظنّي، سافرتُ في مرحلة رئاستي للجمهورية مع المسؤولين آنذاك إلى يوغوسلافيا السّابقة، والتي انهارت لاحقاً بعد أن كانت مركزاً مهماً لدعم العراقيين. وبعد مفاوضات طويلة جرت فيما بيننا، لم تكن على استعداد لبيع حتّى دباباتها لنا. أما العراقيون فكانوا بمجرّد أن يحتاجوا إلى شيء في الجبهة، تصلهم مختلف أنواع الدبابات الغربيّة والشرقيّة، وعندما كانت دباباتهم تتعرّض للاستهداف والقذائف، تُصبح خُردة بنظرهم، ولا يُبالون بها، ويُحضرون رافعة ويُلقون بها إلى الهور أو النهر. وفي المقابل، كان

١. من خطابه خلال لقائه بحفيدة الإمام لابنته (ابنة البروجردي) بتاريخ ١٩٩٥/١/٢٣م.

شبابنا يسحبون بهذه الدبابات من بين الغنائم بصعوبة، ويُصلحونها، ويُرقعونها ويستعملونها. فكانت أنواع المعدّات والوسائل وأقسامها، بدءاً من التكتيك والمعلومات الجويّة إلى مختلف أنواع الدعم [العسكري]، والدعم بالمال، والدعم السياسي، وغير ذلك من الإمكانات الحربية، من نصيب أحد أطراف الحرب فقط، وهو النّظام البعثي. وفي الطرف الآخر، كانت الجمهورية الإسلامية لوحدها، لوحدها بالفعل. وهذا أحد أبعاد الحرب أيضاً[1].

سجدتُ هناك

قبل الثورة، كنّا نشتري القمح من أمريكا، وكان الاتحاد السوفييتي هم من يصنعون الأهراءات لنا. في بداية الثورة، ذهبتُ إلى الجنوب، ورأيتُ شباب جهاد البناء ومهندسيكم قد صنعوا أهراءات بسعة قليلة. أظنّ أنني سجدتُ هناك [شكرًا لله]؛ لأنّ بناء الأهراءات أمر صعب ومعقّد، وليست بسيطة كما تبدو عند النّظر إليها من الخارج. وقد نجحنا في بناء هذا الشّيء المعقّد، وأصبحنا اليوم في عداد صانعي الأهراءات الدّولية ذات الجودة بسعةٍ عالية؛ حيث صنعناها لمختلف البلاد.

في السنوات الأولى من العقد ٨٠، كان هناك بلد أو عدة بلاد، طلبنا منهم وسيلةً نحتاجها عسكرياً، فامتنعوا عن إعطائنا إياها مع من أنها من صنع بلد آخر، ولم تُجد جميع محاولاتنا نفعاً. كما لم يكن بيننا وبين ذلك البلد عداوة، لكن لم يُسمح لهم بإعطائها لنا [في الحقيقة]، لكننا اليوم نجحنا في الحصول على آلية صناعتها، وبتنا نبيعه إياها؛ لأنه لا يستطيع هو أن يصنع مثلها[2].

---

١. من خطابه خلال لقائه مجموعة من مجاهدي الدفاع المقدس، وجرحى، وقادة تلك المرحلة بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/٢١م.

٢. من خطابه خلال لقاء مجموعةٍ من المهندسين والباحثين المهنيين والصناعيين في إيران بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٣م.

أطلق الإمام سهماً

كان انتشار كتاب [آيات شيطانية][1] وتداوله بين الناس، سيجعل إهانة الإسلام أمراً عادياً تدريجياً، وقد كان هذا هدفهم. عندها تدخّل الإلهام الإلهي ليُقدم ذلك الرجل الرّباني على تلك الحركة العظيمة لإيقاف مؤامراتهم، فعندما أصدر الإمام الخمينيّ رحمه الله فتوى الارتداد بناءً على أسسه الفكرية وفهمه الدقيق والنورانيّ - حيث يظهر هنا النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب عباده - قطع الطريق عليه وصدم جميع العالم، لقد أصدر الإمام فتوى بارتداد ذلك المرتد وأمر بإقامة الحدّ الشرعي عليه. عندها استدعت جميع الدول الأوروبية سفراءها من إيران، فهل ردّة الفعل هذه متناسبةٌ مع كتابٍ عادي؟ فكلّ من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها، احترقت قلوبها على روح هذا الإنسان؟! هؤلاء الذين يحصدون أرواح آلاف الناس من أجل موضوعٍ صغير، ومَن منهم لم يفعل ذلك؟ من منهم لم يقتل جماعاتٍ وشعوباً من الناس؟ أيّ منهم لا يقتل آلاف الناس إذا اقتضت مصلحتهم ذلك؟ هل هؤلاء يحرقهم قلبهم لأجل إنسان واحد؟.. اليوم الإسرائيليون يُعذّبون الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين بذلك الشكل، ولا يهتزّ لهم رمش! لكن في المقابل تكون هذه ردّة فعلهم من أجل شخصٍ قد يُعدم لاحقاً؟!

أجل؛ كان الوضع مختلفًا هنا، وكانت الخطّة هي توجيه الإهانة للإسلام، والاستخفاف به، لكن الإمام فضح جميع مخططاتهم بتلك الفتوى. والعالم الإسلامي أيضاً أيّد فتوى الإمام وأظهر تبعيّته لها. الآن وبعد مضيّ مدّة على تلك الحادثة، قد يظن ذلك الجاهل والجهلة حوله أنّ تلك القضايا قد انتهت. [إنهم مخطؤون]، تلك القضية لا تنتهي. سألوني في إحدى المقابلات التي أُجريت في أوروبا عن فتوى الإمام هذه، وقلت حينها: «لقد أطلق الإمام سهماً باتجّاه ذلك الرجل الفاجر والهتّاك، وقد خرج السهم من كبد القوس، وكان الاستهداف

---

١. من تأليف سلمان رشدي.

دقيقاً، وسيُصيب هدفه عاجلاً أم آجلاً. يجب أن يُطبّق هذا الحكم وسيُطبّق». المسلمون بإمكانهم اليوم القضاء على هذا الكائن المؤذي والمضرّ ومجازاته، الكائن الّذي ظهر بصورة إنسان سافل ولئيم يمتثل لتحرّكٍ عظيم مناهض للإسلام. واليوم، تقع هذه المهمة على عاتق الجميع ممن تصل أيديهم إليه ويُمكنهم تنفيذ هذا العمل[1].

جواب هذا السؤال

قبل عدة أشهر من رحيل الإمام رضي الله عنه، كانوا يسألونني باستمرار أنّه ماذا تريد أن تفعل بعد انتهاء دورة رئاسة الجمهورية؟ أنا أحبُّ الأعمال الثّقافية كثيراً، وكنت أظنّ أنني وبعد انتهاء تلك المرحلة سأتخذ ركناً لنفسي أقوم فيه بالأعمال الثقافية، لكنني أجبتُ حينها، بأنني بعد انتهاء دورة رئاسة الجمهورية، إذا طلب منّي الإمام أن أصبح الرّئيس العقائديّ والسياسيّ لسرية شرطة زابُل، أو حتى رئيس مركز شرطة بدلاً من سرية، سأمسك بيد زوجتي وأطفالي وأذهب إلى هناك، وستُصبح زابل مركز الدّنيا بالنسبة لي. والله لقد كنتُ أقول هذا بجدّ ومن أعماق قلبي[2].

التّفأّل بالقرآن

في الليلة التي تلت رحيل الإمام إلى جوار رحمة الله، تفأّلتُ بالقرآن عند السَّحَر، وقد كنت في حالة من اضطراب وحيرة، فجاءت لي هذه الآية من سورة الكهف: «وأمّا من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا». وإنّ مصداق هذه الآية الكامل هو هذا الرّجل العظيم؛ وإنّ الإيمان

---

١. من خطابه خلال لقائه بأئمة الجماعات، ورجال الدين والمبلغين على أعتاب شهر رمضان المبارك بتاريخ ١٩٩٣/٢/١٤م.

٢. من خطابه خلال اللقاء بمسؤولي مؤسسة التبليغ الإسلامي بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٤م.

والعمل الصّالح وجزاء الحسنى هو أفضل أجرٍ له[1].

يبقى الحِمل على الأرض

في الجلسة الأولى التي عُقدت في مجلس الخبراء بعد رحيل الإمام رضي الله عنه، دار النّقاش حول الشّخص الّذي سننتخبه؛ حيث كنتُ أنا من أعضاء المجلس أيضاً. وفي النهاية طُرح اسم هذا العبد الحقير، وتمّ الاتفاق على انتخاب هذا الموجود الحقير الضعيف لهذا المنصب الخطير؛ لكنني خالفتُ وبجدّية، لا من باب المجاملة، والله وحده يعلم ماذا دار في قلبي في تلك اللحظات المصيرية. فذهبتُ ووقفتُ هناك، وأبديتُ اعتراضي، وكل هذا مسجّل ومحفوظ في مقاطع مصورة وصوتية. وبدأتُ ببيان أسباب اعتراضي على انتخابي لهذا المقام، وطلبتُ منهم أن لا يختاروني، لكن إصراري واعتراضي لم يُجديا نفعاً، ورفضه السادة والمجتهدون والفضلاء الّذين كانوا حاضرين. كنت قاطعاً بعدم القبول، لكنني تراجعتُ بعد أن وجدتُ الطريق مسدوداً، فبحسب قول أشخاصٍ ثقة أن هذا «الواجب» «متعيّن» عليّ؛ أي سيبقى الحِمل على الأرض إذا لم أحمله. عندها وافقتُ؛ لأنني رأيتُ أن هذه المسؤولية ملقاة على عاتقي، ولو علمتُ بوجود شخصٍ آخر أو كنتُ أعرف أحداً يمكنه حمله ويوافق عليه الآخرون لم أكن لأقبل به يقيناً. بعدها استعنتُ بالله وتوكّلتُ عليه، وقد ساعدني حتى هذا اليوم[2].

قد يستغرق تحريرهم ثلاثين عاماً

لقد كان لدينا خمسون ألف أسير بحوزة العراقيين؛ خمسون ألفاً! وهم أيضاً كان لديهم عندنا مثل هذا العدد أو أقل منه بقليل، لكنّ الفرق هو أنّ الأسرى العراقيين عندنا كانوا جميعاً عسكريين؛ بينما الكثير من أسرانا عندهم كانوا مدنيين؛ حيث كانوا قد ألقوا القبض على النّاس المدنيين من هذه الصحاري

١. من خطابه في مراسم بيعة رئيس الوزراء وهيئة الوزراء بتاريخ ١٩٨٩/٦/٦م.

٢. من خطابه خلال لقاء عام بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١٤م.

وأخذوهم. بعد انتهاء الحرب، كنتُ أظنُّ أنّ استرجاع هؤلاء الأسرى من صدام قد يستمر ثلاثين عاماً! فقد شهدنا تبادل الأسرى في الحروب المعروفة وفي الحروب الدولية كحرب اليابان؛ حيث استغرق تحرير الأسرى عشرين أو ثلاثين عاماً، فكلّ طرف كان يدّعي وجود أسرى له عند الطرف الآخر، والآخر يُنكر ذلك. وبعد كثير من الإصرار، والإلحاح، والنقاشات، وصلوا إلى نتيجة في النهاية. فكنتُ أظنّ أنه يجب أن تُعقد آلاف المؤتمرات والاجتماعات كي نُثبت بأنّه لا يزال لدينا هذا العدد من الأسرى، ولنستعيدهم بالقطّارة.

وكما تعلمون، كان صدام شخصاً صعب المراس، وخبيثاً، ومؤذياً، يتبختر ويتفاخر كلّما شعر بالقوة. لقد كانت ذاته خبيثة وسافلة؛ وإنّ السّفلة متى شعروا بالقوة يشعرون بالزّهو ولا يمكن عقد أيّ صفقة معهم بتاتاً. وفي المقابل عندما يشعرون بالضّعف وعندما يواجهون من هو أقوى منهم، يُصبحون أكثر تواضعاً من النملة! وقد شهدتم ذلك! فقبل أن يهاجم الأمريكان العراق في هذه المرة الأخيرة، كان صدام يرجوهم لعقد اتفاقٍ والاتّحاد ضد الجمهورية الإسلامية، لكن الحظّ لم يُحالفه كي يوافق الأمريكان على طلبه.

نعم؛ كنت أظنّ أنّ تحرير الأسرى سيستغرق ثلاثين عاماً، لكن الله تعالى هيّأ الأسباب، وقام هذا الأحمق بالهجوم على الكويت، لكنّه شعر أنّ الحرب على الكويت لأجل احتلالها بالكامل لن تؤتي ثمارها ما لم يكن مطمئناً من إيران، وهذا الأمر لا يمكن مع وجود الأسرى، فكتب في البداية رسالة إلى رئيس الجمهورية آنذاك، ولم يحصل على جواب واضح منه، فكتب رسالة أخرى لي وقرّر أن يحرّر الأسرى، والبعض يتذكّر ذلك. وفجأة عرفنا أنّ الأسرى قادمين من الحدود؛ حيث جاؤوا مجموعات مجموعات إلى أن تحرّر الجميع. لقد كان هذا من صنيع الله، وكان نصراً إلهياً، وهكذا هي القضايا الأخرى حتى اليوم[1].

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء مكتب القائد والحرس المسؤولين عن حياة ولي الأمر بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٩م.

لمن هذه الأشعار؟

إنني بالفعل أشعرُ بالهدوء والصفاء في هذين اليومين أو الثلاثة؛ حيث حللتُ ضيفاً عند هؤلاء الأهالي [منطقة جهارمحال وبختياري]. إنهم يتميزون بالصّفاء والاستعداد والـذوق الرفيع، خاصّة في المجال الثقافي والقريحة الشعرية، فهم أهل أدب وشعر.

في منطقة «لبد» حيث نحن الآن، وعندما كنّا نصعد هذا المرتفع، كان أحد الرجال يُلقي شعراً، وعندما استمعتُ إليه وجدتُه شعراً مسبوكاً من حيث المحتوى والألفاظ، وكان يُلقيه باندفاع وحماس. سألته: «لمن هذا الشعر؟» فقال:«أبي هو من ألّفه». سألتُه: «هل أنت متعلّم؟»، قال: «لا!». لقد كان أمّياً لكنّه يقرأ شعراً بحجم قصيدة مفصّلة عن ظهر قلب بإتقان وبمنتهى الصلابة والثبات كأيّ إنسانٍ متعلّم! والآن حيث نجلسُ هنا في هذه الخيمة، يتكلّم صاحبها معنا شعراً ونثراً[1].

وضعوا علامة على الجبل!

أحيانًا أذهبُ في الصباح إلى المرتفعات القريبة من طهران، وفي إحدى المرات في نقطة محددة، تعجّبتُ من رؤية بعض الأشخاص قد وضعوا علامة على الجبل! فسألتُ الدليل الذي كان يُرافقني من المحليين عنها، فقال: «إنّ أحد أصحاب الأراضي تصل حدود أرضه إلى هناك - وأشار إلى الأسفل -؛ حيث إنه عندما رأى أن أحداً لا يسأل عن هذه الأراضي، وضع هذه العلامة واعتبر الأرض ملكه».

ينبغي أن نمنع حصول مثل هذه الأمور. طبعاً؛ طلبنا من المعنيين متابعة الموضوع وأسباب حصوله. وهذا أحد الموارد كنت قد رأيته بنفسي. نحن في

---

١. من المقابلة التي أُجريت معه بد انتهاء السفر إلى منطقة جهار محال وبختياري بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٩م.

الجمهورية الإسلامية نواجه الاستغلال والسلطة وحبّ السيطرة بكل ما أوتينا، ومع هذا يحصل مثل هذه الأمور؛ فكيف كانت هذه الأمور في السابق؟! وكيف كانت هذه الأراضي والأموال [توزّع أو تُنهب]؟![1]

جافاني النوم

للأسف؛ فأنا لا أجد الكثير من الفرص من أجل متابعة برامج التلفاز الرّياضية، ونادراً ما يحصل هذا الأمر. من ناحية فإنّ أكثر الرياضات التي تُبثّ هي كرة القدم، وأنا لا أملك أيّ تخصص في هذا المجال، كما لم أكن ألعبها في شبابي، فكنت ألعب الكرة الطائرة، ومع هذا؛ في تلك الليلة التي كانت المباراة بين أمريكا وإيران[2]، شاهدتُ تلك المباراة. طبعاً؛ الحقيقة هي أنّني لم أكن أرغب في مشاهدتها؛ لأنها كانت في ساعةٍ متأخرة، لكنني أدرتُ التلفاز هكذا بينما كنت جالساً ورأيتُ هدفهم الثاني وجافاني النوم، فجلست وشاهدتُ المباراة حتى نهايتها.

لكن سبب خطابي الآن، هو أنه عندما جاء شباب فريق كرة القدم لزيارتي، تكلمنا بشكلٍ تفصيليّ، وطبعاً؛ لم يُنشر تقرير ذلك اللقاء ولم يطّلع الناس على فحوى كلامي خلاله، لكنني سأخبركم ببعضه.

قبل ذلك اللقاء، ربما قبل عدة أسابيع أو شهرٍ أو أكثر، قامت محطات الإعلام التابعة إلى لإمبراطورية الإعلام مناورات على هذه المباراة واعتبرتها مباراة سياسية؛ على الرغم من أنّ الجميع يقول بأن كرة القدم ليست رياضة سياسية، لكن كان الجميع يبلّغ خلافاً لذلك. وكان هناك هدفان وراء ذلك: الهدف الأول؛ التأثير على تعامل الإيرانيين مع الأمريكيين في هذه اللعبة. ولا أعرف

---

١. من خطابه خلال لقاء هيئة القضاة بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٨م.

٢. مباراة المنتخب الإيراني والأمريكي لكأس العالم عام ١٩٩٨م، وانتهت المباراة بنتيجة ٢-١ لصالح المنتخب الإيراني.

مدى اطّلاعكم، لكنني ومن خلال متابعتي للأخبار الأجنبية والنقاشات الّتي تدور على القنوات المختلفة العالمية، رأيت مدى تكرر هذا الأمر. الثاني؛ هو أنّ أكثر التّكهنات خصوصاً الأمريكية، ولو لم تكن صريحة، كانت تقول بأنّ إيران ستتلقى الأهداف ولن تستطيع تسديد الأهداف، وخلال موقعية خاصة سيأتي رئيس الجمهورية الأمريكي ويُلقي خطاباً من موضع اقتدار وزهوّ وعظمة، ويرسل رسالة مفادها بأنه صحيح أننا سددنا الأهداف، لكن في النهاية تعالوا لنتصافح معاً بودٍ ووئام. وكانت النية أن تنتشر رسالة رئيس جمهورية أمريكا من القنوات العالمية. هذا الهدف وما حصل في اللعبة التي استمرّ بها شبابنا الأعزّاء، غيّر الأمور مائة وثمانين درجة، وصارت مظهراً لموقف إيران من أمريكا. عندما قلت «مظهر» في رسالتي تلك، لم أكن أقصد أنّ هذا اللاعب سدّد هدفاً بسبب الأمور السياسية؛ لا! إنه يلعب كرة القدم، وهو ماهر ويعرف التكتيك، وكان أقوى من خصمه، واستطاع تسديد الهدف، وكل من كان مكانه كان ليسدد هذا الهدف؛ لذلك لم يكن النقاش بأنّ هذا الهدف تم تسجيله من أجل مسألة سياسية، لكن هذا الهدف عكس جميع الهوية السياسية التي أعطاها العالم لهذه اللعبة بشكلٍ كامل، وأنا استفدتُ أكثر ما يمكنني الاستفادة منه من هذه الموقعية. طبعاً؛ لقد غضبوا كثيراً آنذاك، وقال أعضاء الامبراطورية الأخبارية في العالم بأنّ فلاناً سيّس لعبة كرة القدم، ولم يقولوا بأننا نحن من سيّسنا اللعبة بأنفسنا[1].

كنتُ أشاهد التلفاز

إنّني قلّما أجلس وأُشاهد برامج التّلفاز الرياضية؛ لأنّ حماس هذه البرامج يُزعجني بعض الشّيء، ولا قدرة لدي على تحمّله وعلى متابعة المسابقات لحظة بلحظة، لكنني في بعض الأحيان أجلس وأعزم على المتابعة. وفي تلك الليلة

١. من خطابه خلال جلسة حوار مع الشباب في اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢م.

التي قام فيها جناب السيد رضا رضا زاده[1] بذلك العمل الجميل، كنتُ أشاهده خلف شاشة التلفاز، ورأيتُ أداءه في رياضة الخطف والنتر وتسجيل الرقم القياسي بعدها، وأدركت ما يشعر به الشباب والناس وملايين الأشخاص في تلك اللحظة في إيران. لقد شكرتُ ذلك الشاب حقيقةً من أعماق قلبي وأوصلتُ شكري له هناك[2].

هؤلاء سيرحلون

إنني لا زلتُ أذكر يوم الثاني من فروردين جيداً، عندما وقعت حادثة المدرسة الفيضية المروّعة وهاجموا الطلاب وضربوهم وقضوا عليهم. يومها لم أكن هناك، وعزمتُ على الذهاب لمعرفة ما يحصل، وكان هناك مجموعة قليلة تمكّنت من الهروب من المدرسة، فاعترضوا طريقنا ومنعونا من الذهاب قائلين: «المدرسة الفيضية تتعرّض لمجزرةٍ، إنهم يقضون على أصدقائنا الشباب من طلاب الحوزة». أُجبرنا على العودة من منتصف الطريق، وارتأينا أن نذهب إلى بيت الإمام رضوان الله عليه. ولا زلتُ أذكر كيف كان وضع الشوارع والأزقّة آنذاك، فكانت الأوضاع عجيبة؛ فلا تغيب تلك الذكرى عن بالي أبداً، والآن لا أرغب في ذكر هذه التفاصيل. ذهبنا إلى منزل الإمام، وكان الوقت قريب الغروب والإمام يستعدّ للصلاة، وأقام صلاة الجماعة في فناء منزله. كان هناك مجموعة من الطلاب أرادوا أن يُغلقوا باب المنزل، خشية هجوم المرتزقة عليه، لكن منعهم الإمام وقال يجب أن يكون باب المنزل مفتوحاً. كان الجميع مضطربين، كما كنتُ أنا في منتهى القلق، لكن الإمام أدى صلاتَي المغرب والعشاء ببالٍ مطمئن، وبهدوءٍ تام وبطمأنينةٍ مدهشة، ثم دخل إلى إحدى الغرف ولحقنا به بدورنا، ولم يسبق أن اجتمع هذا العدد من الطلاب الخائفين من مثل هذه الحادثة، فلم يسبق أن حصل هجوم وحشيّ بهذا النحو بهدف قتل الطلاب، كما كان من الواضح

١. بطل العالم في رفع الأثقال تمكن من تسجيل رقم قياسيّ جديد في هذه الرياضة.

٢. من خطابه خلال لقاء الرياضيين المشاركين في الأولمبياد والبرالمبياد بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٥م.

أنّ النظام ينوي قتل جميع الطلّاب، ومن الممكن أن يُداهموا في تلك الليلة جميع البيوت والمدارس المعروفة والمشهورة، ويقتلوا الطلّاب ويقضوا عليهم، ويُشنّعوا بهم، فالأوضاع تشير إلى ذلك. كان ذلك الجمع مضطرباً، وقلقاً وخائفاً. خطب الإمام فينا لمدة أقصاها عشرين دقيقة، فتبدّل جميع هذا الاضطراب إلى هدوءٍ واطمئنان، ومن ضمن كلماته الّتي لا زلت أذكرها، وما زالت ترنّ في أذني هي أنّه «هؤلاء سيرحلون وأنتم ستبقون. تحمّلوا واصمدوا، إنهم الباطل»[1].

الكلام الّذي ألهب القلوب

كان الإمام رضوان الله عليه يُلقي بعض الكلمات في المناسبات المختلفة؛ تارةً في بداية الدّرس، وأخرى عند فراغه منه بأسلوبه العجيب في ذكر الأمور المعنوية والرّوحية وبما ناله من حظّ معنويّ، وكانت عباراته تترك أثرها في الطلّاب وتُبكيهم.

بعد رحيل المرحوم آية الله البروجردي، وضعوا منبراً للإمام في مسجد «سلماسي»، وكان الإمام يمتنع عن صعود المنبر في السابق؛ بل كان يجلس على الأرض احتراماً للشيخ البروجردي على ما يبدو. يومها صعد الإمام المنبر، وكان هذا أمراً جديداً، فارتسمت ابتسامة على وجه الإمام أولًا، ثم سرعان ما تغيرت حاله وقال: «في اليوم الأول الذي صعد فيه المرحوم النائيني رضوان الله عليه المنبر بكى وقال هذا هو المنبر الذي جلس عليه الشيخ الأنصاري، والآن يجب أن أجلس أنا عليه». هذا الكلام ألهب مشاعر الطلّاب، ثم خطب خطبةً مسهبة[2].

جاؤوا وهنؤوني

قبل أن تشتدّ الاشتباكات في عامي ٦٢ و٦٣م، شهدنا ذكاء شباب قم وتوقّد أذهانهم. لا زلتُ أذكر جيداً؛ كان هناك كشك لبيع الجرائد في الزقاق المقابل

---

١. من خطابه في افتتاحية مؤتمر تمجيد حادثة ١٥ خرداد بتاريخ ٦/٢/ ١٩٨٩م.

٢. من خطابه خلال لقاء جمع من الأساتذة والفضلاء وطلاب حوزة قم العلمية بتاريخ ١٩٨٩/١١/٣م.

للحرم أو في الجهة الأخرى من الشارع في زقاق «أرك»، وكانوا يُعلّقون أخبار الجرائد هناك، فكنتُ أثناء عودتي من الدّرس أقفُ وأُلقي نظرةً عليها. عندما اضطرت دولة الطاغوت للتّراجع في مسألة جمعيات الولايات وألغت تلك الاتفاقية، تقدّم إليّ شباب كانوا هناك وفي شارع إرم، وغالباً ما كنتُ أراهم ولم أكن أتوقّع أنهم على معرفة بالأمور السياسية أو لديهم فكر سياسيّ، وهنؤوني بنجاح علماء الدين مقابل دولة الطاغوت. فكان شباب قم الّذين لا دخل لهم بما يجري حسب الظّاهر، يُباركون لنا نحن الطلّاب مع أننا لم نكن على معرفة ببعضنا الآخر.

آنذاك تعجبتُ من روحية الشّباب القميّ، فأولئك وإن لم يكن لديهم حظّ من العلم أو لم يكونوا في مراكز عملٍ هامة، كانوا حساسين تجاه قضية النضال والنهضة ومواجه رجال الدين لدولة الطاغوت.

عندما حصلت أحداث عام ٧٧م لاحقاً، أظهرت قم نفسها، وبدأت قيادة حركة الناس في الشوارع، وحضورهم في الساحات، وتصدّيهم لمخالب العدو القاسية والمتوحشة بما للكلمة من معنى. نزل الشباب القميّ إلى الشوارع، وسالت دماؤهم، وقد آذوا مأموري نظام الطاغية جيداً! ولقد جعل ذكاء الشباب القميين ومشاكستهم المأمورين في حيرة من أمرهم[1].

البداية الأولى في مشهد

بـدأتُ بإمامة صلاة الجماعة في مسجد يُـدعى «مسجد الإمام الحسن المجتبى» والّذي كان يقع قريباً من منزلنا في شارع هادئ وناءٍ نسبياً؛ أي لم يكن محلّ تردد الناس كثيراً، فكان هذا أول مسجد دُعيت لإمامة الصلاة فيه. كان عبارةً عن قاعةٍ صغيرة، وكان المصلّون فيه لا يتعدّون صفين أو ثلاثة مكونين من ٥ أو ٦ أشخاص غالبيتهم من العجائز ومتوسطي العمر من أهالي ذلك

١. من خطابه خلال لقاء طلاب الجامعات والشباب في قم بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥م.

الحي، وكان من بينهم ملّا حمّال، وقهوجي يقع دكانه بالقرب من هناك، وتلميذ ميكانيكيّ، وحاجّ من أصحاب الأيادي البيضاء وكان هو من بنى المسجد ومن جيران المسجد، فكان مجموع المأمومين يبلغ ١٨ أو ٢٠ شخصاً.

في الأيام الأولى من إمامتي للصلاة هناك، قمتُ والتفت إلى الناس وقلتُ لهم: «في هذه الليالي التي جمعتنا أصبح لكم حقٌّ عليّ ولي حقّ عليكم. وأما حقّكم عليّ هو أن أخطب فيكم ولو بمقدار قليل، وأنقل لكم حديثاً أو شيئاً آخر كي تستفيدوا منه. وحقّي عليكم هو أن تُصغوا لما أقوله وتتعلّموا ما أُعلمكم إياه. وأنا سأفي بحقّكم، هل أنتم مستعدّون لأداء الحقّ الّذي عليكم؟». أُعجبوا كثيراً بكلامي وقالوا: «نعم».

وخلال مدّة قليلة امتلأ هذا المسجد الصغير، وضاق بالمصلين، فبذل الحاج جار المسجد جهداً وألحق إليه قسمًا من الخلف وأصبح أوسع بقليل، وربّما خلال مدّة شهرين أو ثلاثة ذاع صيته في مشهد وخصوصاً بين الشباب؛ حيث إنه عندما اكتمل بناء مسجد «كرامت»، وكان يُعتبر أفضل مساجد مشهد وأكبرها وأجملها، قرّر صاحبه والتجار المحيطون به أن يدعوني للقدوم إلى هناك وإقامة الصلاة فيه[1].

حظر درس التفسير

في عام ٦٤م، بمجرّد أن سمع الشّباب وبعض المتنورين فكرياً وبعض الأفراد ممن يعرفونني من بعيد بقدومي إلى مشهد، وعلموا بنيتي البقاء هناك، التفّوا حولي وطلبوا منّي أن أُلقي بعض الدروس، وامتثلتُ لطلبهم، وقمتُ بعدّة محاولات منذ عام ٦٤م؛ إحداها كان البدء بدرس تفسير قرآن شارك فيه العديد من الشّباب وطلّاب الجامعات والمثقفين وأمثالهم. ثم بدأتُ بإلقاء عدّة دروس في الفقه والأصول في الحوزة، وكنتُ أطرح في طياتها بعض المواضيع السياسية،

١. من خطابه خلال مقابلة مع القناة الثانية حول ذكريات ٢٢ بهمن بتاريخ ١٩٨٥/١/٣١م.

وقد أصبح جميع الطلّاب الّذين كانوا يشاركون في الدرس آنذاك من المجاهدين والناشطين في السياسة والأعمال الثورية؛ بل وحتى من الأشخاص البارزين في هذا المجال. ولحسن الحظ كل واحد منهم يحمل مسؤوليةً مهمة من مسؤوليات الثورة الصعبة على عاتقه.

وبعد ذلك بدأتُ بإعطاء درس تفسير [عامّ]؛ حيث لم يكن هناك أيّ درس تفسير في حوزات مشهد حتى ذلك الحين، أو لم يكن درساً عاماً على الأقل، ولاحقًا بدأ أحد علماء مشهد بتقديم درس تفسير قيّم. وقد شارك في درس التفسير الذي كنت ألقيه جمع من الطلّاب، والفضلاء، والشباب المتحمّسين في الحوزة العلمية، وقد استمرّ لمدّة خمس سنوات؛ أي منذ عام ٦٧ وحتى عام ٧٢، وبعدها قام السافاك بحظره، فحوّلتُه إلى درس عقائد؛ أي بدأتُ بإعطاء درس الكلام الجديد. بعدها عندما وجدتُ أنّ الطلّاب الجامعيين قلّما يستطيعون الحضور في الحوزة العلمية وفي مركز الحوزة في مدرسة الميرزا جعفر، أقمتُ درس تفسير قرآن خاصاً بهم، كان حماسياً ومثيراً جداً، وأكثر المشاركين فيه أو لربما جميعهم وهم بالمئات، انضمّوا إلى الفرق المجاهدة والثورية، وطبعاً؛ استمرّ بعضهم في الطريق الصحيح والبعض الآخر انحرف للأسف وذهب في طريقٍ آخر.

على أي حال؛ كان هناك أساسٌ محكم من أجل عرض الفكر الإسلامي وتعريف الشّباب بالقرآن، لكن السافاك كان يُزعجنا باستمرار وعلى الدوام، ويمنعوننا من إقامة الـدرس، فيطلبونني تارةً للاستجواب، وأخرى يطلبون الطلّاب، ويتحجّجون بأصغر ذريعة. بعد مدّة حظروا هذا الدّرس أيضاً كسابقه، ومنعوني من إعطاء دروس التفسير في مشهد، فبات لي الحقّ في إلقاء الخطب في الأماكن العامة، دون أن يكون لديّ حق في تفسير القرآن.

وفي تلك المدة، كنتُ أؤم الصلاة في مسجدين: الأول هو أحد مساجد مشهد، وهو مسجد «كرامت»، والآخر هو مسجد «الإمام الحسن». وبعد الصّلاة فيهما

كنتُ أقوم بتبيين المعارف الإسلامية كشرح الأحاديث الشريفة، أو نهج البلاغة على وجه الخصوص، أو القرآن، وكنتُ أعتمدُ الكتابة على السّبورة، فكنت آخذ معي سبّورة إلى المسجد وأكتب عليها وأشرح للحاضرين شفوياً وأُرفق ذلك بالكتابة، وكنتُ رائد هذا الأسلوب في مشهد، وقد نال إعجاب الكثيرين. لقد كانت المشاركة كبيرة في هذا الدرس، وفي زمن الاختناق والضغوطات؛ حيث لم تكن الأوضاع كما هي اليوم، كان يجتمع ألف شخص، أو ألفان، وحتى يصل أحياناً إلى خمسة آلاف شخص، فتكتظّ الشوارع والأرجـاء، وكانت اجتماعات موفقة وجيدة جداً.

لكن في النهاية قاموا بإيقافها، ومنعونا من إكمالها أيضاً؛ أي أنّ السافاك استدعوني للتحقيق ثانيةً، وصدر أمر بإيقاف هذه الدّروس ونشاطات مسجد «كرامت». وهذا ما حصل[1].

أخلى منزله لنا

في عام ١٩٦٥م، اضطررتُ لترك مشهد والبقاء في طهران؛ لأنهم كانوا قد فتحوا لي ملفاً [قضائياً]، وكنتُ ملاحقاً قانونياً هناك.

كنتُ أتجوّل في طهران بحريّة ظناً منّي أن لا مشكلة لديّ هناك، لكن في عصر أحد الأيام وبينما كنتُ أتمشى في شارع «انقلاب» براحة، التقيتُ بالشيخ «هاشمي رفسنجاني»، وقال لي: «لقد كنتُ أركبُ الحافلة، وقد ترجّلتُ منها بمجرد أن رأيتك»، وأخبرني أننا نحن وتسعة أشخاصٍ آخرين من رجال دين قم تحت الملاحقة القانونية، بسبب ملفٍّ [قضائي] آخر، وحذّرني من التجوّل بحرية.

يومها اتفقنا على موعد لنلتقي بالرّفاق ونتكلم عن هذا الأمـر، ولأجل ذلك؛ حدد الشيخ هاشمي غرفة انتظار عيادة الدكتور «واعظي» والتي تقع في نهاية زقاق «روحي»؛ حيث لم يكن لدى أحدٍ منا مكان خاصّ به في طهران،

١. من مقابلة مع الإذاعة والتلفزيون بعد مراسم التحليف بتاريخ ١٩٨١/١٠/١١م.

وكان الدكتور «واعظي» من أصدقاء السيد «منتظري»، رجلٌ مؤمن ومحبّ للمجاهدين، وكنا نعرف أنه إذا تواعدنا في غرفة انتظار عيادته لن يطردنا إن علم بالأمر. لكن كما تعلمون، فإنّ غرفة انتظار الأطبّاء مكان غير آمن، لكن قد دعتنا الحاجة والاضطرار للذّهاب إلى هناك.

عندما دخلنا إلى غرفة الانتظار، جلسنا بصفتنا مرضى ينتظرون موعدهم وأردنا أن نتكلّم معاً، لكن صادف وجود امرأة ورجل يجلسان، ولا يمكن الكلام بحضورهما.

فجأة خطر على بال أحد الأصدقاء اقتراح آخر، وهو أن نذهب إلى منزل السيد «با هنر»[1]. كان الأخير قد استأجر آنذاك غرفتين في الطابق العلوي من منزل يقع في زقاق «شترداران»، في مستديرة «الشاه» سابقاً، والّذي يُسمّى اليوم بمستديرة «قيام». فذهبنا مسرورين إليه.

ومن حسن الحظ لم تكن زوجته هناك، واستطعنا أن نطلب منه هو أيضاً أن يُخلي لنا المنزل كي نتكلّم براحة. وأنا لا أنسى وجه هذا الصديق القديم والعزيز النبيل حينها، فلم يتضايق أو يقلق أبداً عندما طلبنا منه بصراحة الخروج وقلنا بأنّه لدينا كلام خاص يستدعي أن نكون لوحدنا، فكان يعرف بأنها مسألةٌ مهمة. خرج من المنزل مبتسماً، وحسبما أذكر أنه أعدّ الفاكهة والشاي قبل خروجه أيضاً[2].

الشعار قولٌ وعمل

قبل الثّورة، كنتُ أُلقي درس تفسير خاصّ بطلاب الجامعات في مشهد، وكان عدد المشاركين فيه كبيرًا بالنسبة لاجتماعات تلك الأيام؛ حيث يبلغ عدة مئات

---

١. محمد جواد باهنر، رئيس وزراء حكومة «محمد علي رجائي» وقد استشهد معه في عام ١٩٨١م إثر انفجار قنبلة على يد مجموعة مجاهدي خلق «المنافقين».

٢. من نص مقابلة أُجريت معه حول (٨ يونيو) بتاريخ ١٩٨٢/٨/١٧م.

من الجامعيين. وكانت لديّ رؤية خاصّة في إدارة تلك الجلسات؛ حيث كنتُ أعمدُ إلى التطرّق إلى أسس الثورة ومباحثها الأصلية خلال تفسير الآيات. في إحدى المرات، قام أحدهم بإطلاق شعار في تلك الجلسة، ونظراً إلى أنني لم أكن أرغب بإثارة حساسية النظام والتسبب بحظر إكمال هذه الجلسات بسبب بعض الأمور الظاهرية، طلبتُ منه أن لا يُطلق الشعارات؛ وأضفتُ قائلاً: «إنّ الشّعار ليس كلاماً، ولا عملاً؛ ليس كلاماً لأنه كلمة، وليس عملاً لأنه صوت يخرج من الحنجرة».

في الأسبوع التالي في يوم الجلسة، قال لي أحد الطلّاب: «لديّ اعتراض على ما قيل في الأسبوع الماضي»، فقلتُ له: «تفضّل»، قال: «لقد قال فلان - يقصدني أنا - إنّ الشعار ليس كلاماً ولا عملاً، بينما هو كلامٌ وعمل؛ كلامٌ لأنّه مكوّن من كلمات ويحمل مضموناً هاماً ذا معنى، فهو جملة تحتوي على مجموعة من المضامين. وهو عملٌ أيضاً؛ لأنّه يُثير الدّوافع. فالشّعارات تستقطب الناس إلى السّاحة، وتُعبّئهم، وتوجّههم، إذاً؛ هو عملٌ أيضاً. إذاً؛ هو على خلاف كلام من قال بأنّ الشعار ليس كلاماً ولا عملاً؛ الشعار كلامٌ وعمل». ذلك الشاب الجامعي هو اليوم أحد المسؤولين البارزين في البلاد، وأنتم جميعكم تعرفونه. آنذاك كنتُ جالساً ومستعداً لإلقاء الدرس، وعندما سمعتُ كلماته وجدتُه محقّاً، فالشعار كلامٌ وعمل[1].

أحياناً كان يقشعرّ بدني

في إحدى المراحل، كنتُ أؤم صلاة الجماعة في مسجد «كرامت» في مشهد، وأصعدُ المنبر، وأُلقي محاضرة بعد الصلاة، ولم أكن أصعد المنبر [بالمعنى الحرفي]؛ بل كنتُ أقفُ وأخطب. لقد كانت الجموع التي تأتي للمشاركة في الصلاة والاستماع للخطبة منقطعة النظير في مساجد مشهد؛ فوالدي مثلًا، كان

١. من خطابه في لقاء مجموعة من طلاب الجامعات بقائد الثورة بتاريخ ١١/ ٧/ ٢٠١٥م.

يؤمّ الصلاة في مسجد منذ ٥٠ عاماً لكنه كان يأتي بعد إقامة الصّلاة [إلى مسجد كرامت] من أجل الاستماع إلى الخطبة التي أُلقيها. ولقد كان مسجد كرامت والتجمّع فيه يفوق التّجمع في المساجد المعروفة في مشهد بعشرة أضعاف؛ حيث يحشد الناس إليه من كلّ مكان، ويُصرّون على إقامة الصلاة فيه والاستماع إلى الخطبة.

عندما كانت نظراتي تقع على تلك الجموع، تسري قشعريرة في بدني أحياناً، فأقول: ربّاه! كيف سأُجيب هؤلاء يوم القيامة؟! فكل هذه المساجد الخالية في مشهد وهذا المسجد يعجّ بالناس. لقد كان يقشعرّ بدني فعلاً. عندما كنتُ أقوم بهذه الأعمال؛ أؤمّ الصلاة، وأُدرّس التفسير، وأكتب شرح الأحاديث على السبورة، والتي كانت جديدة آنـذاك، ولها جاذبية، فكّرتُ بيني وبين نفسي مـراراً في الانصراف عنها وتركها.

لكنني كنتُ أفكّر من جهة أخرى بالتكليف والواجب، فلا يجوز لي ترك هذه النشاطات. وأنا الّذي كنتُ أرتجف بسبب عدة آلاف من الناس آنذاك، حمّلوني اليوم [مسؤولية] الملايين من الناس وعليّ أن أعبر بهم عن الصراط المستقيم؛ هل سأنجح بذلك دون أن أحرز التّكليف الشرعي؟ والله لستُ مستعداً لهذا الأمر ولن أكون كذلك، وإنما سأقتصر على العمل بما أُحرز، حتى لو خالفني جميع العالم[1].

عظمة الشّهيد مطهري

كان (الشّهيد مطهري) قد ألقى خطبةً حول الإسلام ومقتضيات الزّمان في شهر رمضان على ما أظن، وطلب مني في إحدى المرات أن أُكمل فكرتها وأشرحها وأُفصّل فيها. طبعاً؛ إن كنتُ قادراً على ذلك. وافقتُ يومها. لقد كان الشهيد مطهري رجلاً عظيماً، وكان الهدف من أعماله الأمور المعنوية لا الظاهرية،

١. من خطابه في لقاء مع علماء الدين في حزب الجمهورية الإسلامية بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٨٥م.

وعندما سلّمني هذا العمل، قال لي: «عندما تُتمّ هذا العمل انشره بالاسم الّذي تراه مناسباً، فإذا أردت أن يكون من تأليف مطهري، أو تأليف الخامنئي، أو تأليف مشترك، فالأمر سيّان وافعل ما تشاء». ومن الطبيعي أن يكون العمل باسمه؛ لأن الفكرة الأساسية له، فحتى وإن قمتُ أنا بعمل مماثل لكن الدّور الأصلي والأول عائد له، ولا شأن لي به، لكنه كان واسع الصدر وعظيماً إلى هذه الدرجة.

آنذاك أخذتُ الخطاب منه، وطالعتُ حوله قليلاً، فوجدتُه لا يزال في بدايته وهو بحاجة إلى الكثير من العمل وأخبرته بذلك، فجمع بعض المدوّنات المتنوعة، وكانت بمقدار كتاب بنفسها، وأرسلها لي، وقال توجد هذه المدوّنات أيضاً. رأيتُ أنه جمع مقداراً كبيراً من المدوّنات من هنا وهناك، كما خطرت على باله أمور أيضاً كتبها بمرور الوقت. في ذلك الحين بدأتُ قليلاً بالعمل وشرعتُ بالتلخيص إلى أن أُلقيتُ في السّجن حسبما أذكر، وبقي العمل في منتصفه وأعدتُ له المدوّنات[1].

كان الإمام حاضراً في كل مكان

لقد كان الإمام حاضراً كلما استجدّ أمرٌ ما، [فيُبيّن الأمور ويوضّحها] ويمنع من وقوعنا في الحيرة والضّياع. مثلاً: حادثة سينما «ركس»[2] في آبادان أصابت الجميع بالحيرة، ولم يُمكنهم معرفة ما الأمر! وما هو الدّور الّذي يتوجب عليهم القيام به؟ وما الّذي يجب فعله؟ هل الحكومة هي وراء هذه الحادثة؟ أو أن العراقيين مثلًا هم من تسببوا بها؟ أو المخرّبون هم وراءها؟

وفي خضمّ هذه الأحداث، وصل نصّ بيان الإمام قبل أيّ بيان آخر. لم يكن الآخرون المتواجدون في إيران بما فيهم المجاهدون، قد أصدروا أيّ بيان بعد،

---

١. من خطابه في لقاء أعضاء مؤسسة تخليد ذكرى الشهيد مطهري بتاريخ ١٩٨٣/٤/٢٣م.

٢. عام ١٩٨٧م شبّ حريق مفتعل في سينما ركس في آبادان أسفر عن مقتل ٤٧٠ شخصاً تقريبًا، وكانت هذه الحادثة من أسباب تأجج الثورة الإسلامية - المترجم.

في محضر الحبيب

عندما كان بيان الإمام قد انتشر بين الناس!

إنني أتذكرُ جيداً تلك الأيام؛ حيث وصلنا خبر تلك الحادثة بينما كنتُ منفياً في «جيرفت»، وكنت مع المرحوم «رباني الشّيرازي» رحمه الله والسيد «رباني أملشي» وعدد آخر من الرفاق. عندها جلسنا معاً، وتشاورنا وقررنا أن نُصدر بياناً سرياً ثم نُرسله إلى قم ونوقّع تحته توقيعاً عاماً مثلاً، ونطبعه لنوضّح للناس ما الّذي يجري. فأعددنا البيان معاً، وتبادلنا الآراء حوله، واستغرق يوماً أو يومين ليخرج بشكله النهائي، ولنصححه وننقحه. وما إن أردنا أن نُسلّمه للطباعة، حتى وصلنا نصّ بيان الإمام[1] ونحن في جيرفت! أي أنّ الإمام كان حاضراً قبل

---

١. نص بيان الإمام الخميني بهذه المناسبة: إلى اهالي آبادان المحترمين كافة- أيدّهم الله تعالى- لقد أحزنني نبأ احتراق المئات من المواطنين بتلك الخطة المدروسة وآسفني جداً. لا أظنّ أنّ مسلماً بل إنساناً يستطيع أن يرتكب مجزرة وحشية كهذه، إلّا أن يكون قد اعتاد نظائرَها حيث سلبته جرائمه إنسانيته، لتحلّ محلّها الوحشية والسبعية. إنني لا أعلم حتى الآن تفاصيل الحادث، إلّا أنّ ما لا شك فيه هو أن هذا العمل اللّاإنساني والمخالف للقوانين الإسلاميلا لا يمكن أن يصدر عن مخالفي الشاه الذين يعرّضون حياتهم للخطر لحفظ مصالح الإسلام وايران ولحفظ حياة النّاس وأموالهم - من أي اتجاه كانوا - وتدلّ القرائن على أنّ أيدي النظام الظالم المجرمة امتدَّت في ذلك لتشويه صورة النهضة الإنسانية - الإسلامية للشعب الايراني في العالم. إن إشعال النيران على شكل حزام حول السينما وإقفال القوات المسلّحة الأبواب لا يمكن أن يكون من عمل أناس غير مطّلعين على الأوضاع. ومن الدلائل التي لا تدع مجالًا للشك في تورُّط الشاه وعملائه في الحادث قول الشاه قبل الحادث: (إن المتظاهرين الذين يخالفونني يُنذرون بالخوف الكبير). وتكرار هذا الكلام بعد الحادث إذ قال: (إن هذا هو ذلك الإنذار والوعيد). ولا ينجم ذلك من علم الشاه عالماً بالغيب، ومقابلة الشاه الأخيرة التي قال فيها: (سأدمر ايران بمن فيها) دليل آخر على هذا الادّعاء.
كما أن الإعراب عن الأسف والحزن في وسائل الإعلام من قبل المجرمين الذين تُلطّخ أيديهم يوميّاً حتى المرافق بدماء المواطنين المسلمين، يدل دلالة واضحة على الخطّة الشيطانية للشاه وأعوانه الذين ارتكبوا مجازر وحشية في المدن الايرانية. أليس المظلومون الذين يقتلون كل يوم في أحوال مأساوية بأيدي هؤلاء المجرمين من أبناء هذا الوطن؟ تدل القرائن على أنّ قضية آبادان المفجعة نبعت من نفس المصدر الذي نشأت منه مجازر المدن الأخرى الايرانية، فهل انتفع أحد غير الشاه وأقرباؤه بهذه الجريمة؟ وهل ارتكب أحد إلى الآن

مرور أربعة أو خمسة أيام على الحادثة. ولقد كان الأمر على هذا المنوال طيلة مدّة النّضال. وكان الإمام حاضراً في كلّ مكان. إن هذه لحقيقة مدهشة حقا![1]

أنا سأذهب حتماً

في أواخر شهر أيلول أو تشرين الأول، عندما بدأت المظاهرات في مشهد وأماكن أخرى واشتدّت رويداً رويداً، عدتُ من المنفَى من «جيرفت» إلى مشهد، واستعاد مسجد «كرامت» موقعيته، وصار مركزاً للتّحركات والأنشطة ثانيةً[2].

مثل هذه المجازر أو سيرتكبها إلّا الشاه الذي يقوم بين حين وآخر بمجزرة وحشية؟ إنّ هذه المصيبة من إنجازات الشاه العظيمة؛ إذ بثّ لنفسه دعايات واسعة في الداخل والخارج، ويأمر أبواقه وصحفه الموجّهة العميلة في الداخل والمصلحيين في الخارج أن يعملوا ما استطاعوا لخداع هذا الشعب بنشر الأخبار المتعلّقة بهذه الجريمة ونسبتها الى الشعب الايراني المحروم والمظلوم، ليظهر الشعب الايراني المُطالِب بحقوقه للعالم شعباً غير ملتزم بمعايير إنسانية أو إسلامية. إنّني أُحذِّر الشعب الايراني العظيم من خطر تكرار مثل هذه الأحداث الوحشية والمخالفة للاسلام في مدن إيران الأخرى تشويهاً لمظاهرات الشعب الايراني الشجاع الذي يروي بدمه شجرة الإسلام الباسقة. على الخطباء أن يوضّحوا للشعب ما يؤدّي إلى القضاء على الثورة التحررية الإسلامية. إنني بهذه المصيبة العظيمة أُعزّي الشعب الايرانيّ المسلم وأهالي آبادان المظلومين خاصَّة، أعزّي الأُسر المنكوبة وأشاطرهم حزنهم وخَطبهم الجليلين. أرجو من الله- تعالى- نصرة الإسلام والمسلمين وقطع أيدي الأجانب وأتباعهم - مأخوذ من موقع شبكة المعارف الإسلامية https://www.almaaref.org/maaref-details.php?id=٤٨٤٧&subcatid=٩٣١&cid=٢٦٠&supcat=١٦ - المترجم.

١. من خطابه في جلسات تفسير سورة المجادلة بتاريخ ١٩٨٢/٥/٧ م.

٢. لقد حُكم على السيد الخامنئي أول مرة بالنّفي لمدة ثلاث سنوات إلى «إيرانشهر»، وكان ذلك في تاريخ ١٤ كانون الأول ١٩٧٧م من خلال لجنة الأمن الاجتماعي في [محافظة] خراسان. إن توسّع أنشطته الثورية، والعمل على تنظيم النضال فضلاً عن شعبيته وتأثيره المتزايد يوماً بعد يوم في إيرانشهر والمدن المحيطة، أدى إلى تغيير مكان نفيه منها إلى مدينة «جيرفت»، والتي تقع في مكان أبعد وفيها إمكانيات أقل. مع تطور الاعتراضات الشعبية، وتشتت أركان النظام وعجزه عن السيطرة على الثورة، عاد آية الله خامنئي في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٨م من جيرفت إلى مشهد، وأكمل أنشطته الثورية وعزّزها أكثر.

في محضر الحبيب

فبعد عودتي، تمّ تشكيل مقرٍ في مسجد «كرامت» بهدف توجيه الأنشطة والحراك في مشهد، وكنتُ أجتمع هناك دائمًا مع المرحوم الشهيد «هاشمي نجاد»، وأخينا الشيخ «الطبسي»، ومجموعة من إخواننا الطلبة الّذين كانوا يرافقوننا باستمرار، وقد استشهد اثنان منهم؛ أحدهما هو الشهيد «موسوي قوجاني»، والآخر هو الشهيد «كمياب». وكان النّاس يترددون إلى المسجد باستمرار، حتى أصبح مقرّ العمل في مشهد، والعجيب هو أنّ العسكريين والشرطة الموجودين عند «تقاطع نـادري» حيث يقع المسجد، لم يكونوا يجرؤون على الاقتراب أكثر بسبب حماس الناس.

كنا في المسجد نمضي ساعات النّهار بأمان، ولا نخشى من المداهمة، أو السيطرة على المسجد، أو إلقاء القبض علينا. لكن في الليل كنا نستتر بالظلام، وننسحب بهدوء وننام معاً في منزل شخصٍ آخر غير منازلنا نحن.

كانت أياماً ولياليَ مفعمةً بالحماس والنشاط، إلى أن وقعت أحداث مشهد المصيرية في شهر كانون الأول. في البداية، هاجموا المستشفى، فاعتصمنا بداخلها، ولهذه الحادثة قصة شيّقة أيضاً، وهي من الأحداث لم يروِها أحد، فقلّما يعلمون [بأصل] القضية. وقد كانت هناك أحداث حماسية ومصيرية في جميع المدن ومن ضمنها مشهد، لكن لم يروها أحد للأسف، وكلّ واحدة منها صنعت تاريخ الثّورة.

عندما وصلَنا خبر مداهمة المستشفى، كنّا في مجلس عزاء؛ حيث نادوني لأجل الإجابة على مكالمة هاتفية، وكان المتصل من المستشفى؛ قال باضطراب وذعرٍ شديد: «لقد هاجمونا، وضربونا، وقتلونا؛ أنقِذونا.. فقد قتلوا الأطفال الرضّع».

ذهبتُ وناديتُ الشيخ الطبسي، واجتمعنا في غرفة مع مجموعة من علماء مشهد وبعض الشخصيات البارزة؛ حيث كان مجلس العزاء يُقام في منزل

أحدهم. التفت إلى السّادة وأخبرتُهم بما يحصل في المستشفى، وأخبرتُهم بأن ذهابنا إلى المستشفى قد يرفع من احتمالية صدّ الهجوم عن المرضى، والأطباء والممرضين.. وأضفتُ أنني سأذهب قطعاً، وكذلك الشيخ طبسي سيرافقني حتماً. ولم أكن قد اتفقتُ معه على ذلك؛ لكنني كنت أعلمُ أنه سيأتي. وأضفتُ: حبّذا أيضاً لو رافقَنا السادة، وإذا لم ترافقونا فنحن ذاهبان على أيّ حال.

إنّ لحن الكلام الممزوج بالعزم والإرادة، جعل عدّة أشخاص من علماء مشهد المعروفين يعزمون على مرافقتنا، ومن ضمنهم السيد «الميرزا جواد الطهراني» و«السيد مروارید» وغيرهما. فانطلقنا سيراً على الأقدام نحو المستشفى.

وبينما كنّا نخرج من المنزل، كان هناك عددٌ غفير من الناس المحتشدين في الأزقّة والشارع والسوق، وقد لاحظوا خروجنا، فطلبنا منهم أن يُخبروهم بذهابنا إلى المستشفى. وهذا ما حصل، مما أدى لأن يلتحقوا بنا. كنا نسير من السوق إلى المسشفى على هذا النحو، وقد استغرق الطريق ساعة من الوقت تقريبًا. وكنا كلّما تقدّمنا أكثر، التحق بنا عددٌ أكبر من الناس، من دون أيّ تظاهرات؛ أي أننا لم نُطلق شعارات ولم نقم بأعمال حماسية، كنا نمشي فقط باتجاه مقصدٍ واحد، إلى أن وصلنا إلى مكان قريب من المستشفى.

يوجد أمام مستشفى «الإمام الرضا» في مشهد مستديرة يُطلق عليها اليوم اسم مستديرة «الإمام الرضا»، وهناك ثلاثة شوارع تصل إلى تلك المستديرة، تقدّمنا نحن من شارع «جهانباني»، ولا أعرف اسمه الحالي، إلى الجهة الأخرى من الشارع، فلاح لنا من بعيد أنّ الجنود يقطعون الطريق. كانوا قد شكّلوا طابوراً كاملاً، وهم مدججون بالسلاح ولا يمكننا اجتيازهم مما أدى إلى شعور الناس بالاضطراب بعض الشّيء، فطلبتُ من العلماء الطليعة بصوتٍ خافت أن نتقدّم نحن الصف الأمامي بالصلابة والثبات نفسه حتى يتبعنا الناس. وهذا ما فعلناه.

أطرقنا رؤوسنا واقتربنا من دون أن نهتمّ لوجود جنودٍ مسلّحين أمامنا،

وبمجرّد أن أصبحت المسافة بيننا وبينهم متراً مثلاً، تراجعوا رغماً عنهم وفتحوا الطريق من أجل مرور ثلاثة أو أربعة أشخاص، وعندما عبرنا لم يتمكنوا من إغلاق الطريق؛ حيث تدفّق الناس بعدنا ولم يتمكنوا من السيطرة على الوضع. ربما رافقَنا عدة مئات من الناس إلى باب المستشفى، المساكين شباب الجامعات، والممرضون والأطباء كانوا جميعاً في المستشفى، وانتعشوا برؤيتنا. طلبنا منهم أن يفتحوا الباب وتوجّهنا إلى الباحة التي تتوسط المستشفى. كان هناك تمثال ما وأظن أنهم حطّموه فيما بعد.

بمجرّد وصولنا إلى هناك، رأينا آثار الدماء والرصاص، وكانت الرصاصات من عيار ٥٠. فكم كانوا ظالمين فعلاً! فسلاح بعيار قليل كـ «جي - ٣» كافٍ من أجل تفريق الناس أو حتى قتلهم، لكنهم استعملوا عيار ٥٠ في مواجهة الناس، وهو سلاح شديد الخطورة ينفع في مجالات أخرى. لاحقاً؛ عندما اعتصمنا في المستشفى، كنتُ قد جمعتُ هذه الرصاصات عن الأرض، وكان الصحفيون الأجانب قد جاؤوا لتصوير الحادثة، فأريتُهم إياها وقلت لهم هذه ذكرياتنا اذهبوا وانقلوا للعالم كيف يُعاملوننا.

على أيّ حال؛ ذهبنا إلى هناك، وبقينا لمدة من الزمن. لم يكن الأفق واضحاً، فاجتمعنا مع مجموعة من علماء الدين ومجموعة من طاقم المستشفى في غرفة لنرى ما يتوجّب علينا فعله، وعلمنا أنّ الهجوم مستمر؛ حيث قاموا بإطلاق الرصاص علينا أيضاً وعلى جميع الناس [ونحن في المستشفى].

عندها اقترحتُ أن نقوم باعتصام هناك، ونعلن أننا لن نُغادر المستشفى قبل أن تتحقق مطالبنا. ولربما كان عشرة من علماء مشهد مشاركين في الاجتماع، وعلى الفور أحضرتُ ورقةً لنكتب مطالبنا ونُمضي عليها حتى لا يتعرض الموضوع لأي ترديد. ولا أذكر ماذا كانت كل تلك المطالب بالتحديد، وأذكر واحدة أو اثنين منها؛ أحدها تغيير المحافظ العسكري في مشهد، والآخر محاكمة آمر إطلاق النار على مستشفى الإمام الرضا وإلقاء القبض عليه. كتبنا

مثل هذه الأمور وأعلنا الاعتصام.

وقد ترك هذا الاعتصام أثراً عجيباً داخل مشهد وخارجها، فتبيّن فيما بعد أنّ صداه انتشر في أماكن أخرى، وهو من التّحركات التي شكّلت نقطة عطف في النضال في مشهد.

آنـذاك، حصل ذلك الحماس الشديد، واستتبعه مظاهرات أهل مشهد الحماسية، وكذلك المجزرة التي حصلت في مشهد في أوائـل شهر كانون الثاني عندما أطلقوا الرصاص على الناس أمام مبنى المحافظة، ثم انطلقوا في الشوارع وأطلقوا الرصاص على طوابير الخبز والمازوت.. كانوا يتجوّلون بالدبابات والسيارات[1].

«كعدة» رجال الدين

في بداية العمل، كانت اجتماعات مجلس الثورة تستغرق سبع أو ثماني ساعات، وفي أحد الأيام وبينما كنّا خارجين منها في مجموعة مؤلفة من خمسة أو ستة أشخاص، التفتَ إليّ قائلًا: لنجتمع في «كعدة» يا فلان، لقد اختنقنا!. وهكذا كان الأمر بالفعل. ومن تلك المجموعة، إذا أردتُ أن أجتمع في «كعدة» بالمعنى المتداول بين طلاب الحوزة مع أحد، لم تكن لتحصل سوى مع الشيخ مطهري. فكنّا فعلاً كلّما جلسنا معاً على انفراد - وقد حصل هذا مراراً؛ سواء في غرفته في طهران أو في بيتي في مشهد - بقينا لساعةٍ أو ساعتين نتكلّم في مختلف المواضيع؛ نتحدّث عن الذكريات، وقد كانت جعبته مليئة بالقصص والذكريات والحكايا وغيرها، وبدوري لم أكن بعيداً عن مثل هذه الأمور؛ حيث لديّ الكثير منها. وكنا نتناقش كثيراً أيضاً، ويتحول النقاش لبحث علمي، أو

١. من المقابلة التلفزيونية التي أجرتها القناة الثانية عن ذكريات سماحته في (٢٢ بهمن) بتاريخ ١٩٨٥/١/٣١م.

عقائدي أو سياسيّ. كان بيننا علاقة مميّزة بالفعل[1].

يوم عودة الإمام

في يوم عودة الإمام (١فبراير١٩٧٩م) [إلى إيران]، كنّا معتصمين في الجامعة، وذهبنا من هناك للقائه. وبينما كان الجميع فرحين يضحكون، كانت دموعي تنحدر على خدّي لا إرادياً خوفاً على الإمام ومصيره، بعد أن كانت هناك بعض التهديدات.

ذهبنا ودخلنا إلى مطار [مهرآباد]، وجاء الإمام بتلك التفاصيل، وما إن لاح لنا بهدوئه وسكينته، حتى بثّ فيّ الهدوء والطمأنينة، ولربما في الآخرين ممن كانوا مضطربين مثلي.

وعندما رأيتُ الإمام هناك بعد مرور سنوات على آخر لقاءٍ به، شعرتُ كأنّ تعب هذه السنوات المتمادية قد زال عنّي، وشعرتُ وكأنّ جميع تلك الأمنيات المتجسدة في وجود الإمام قد تبلورت بمنتهى الصلابة بشكلٍ حقيقيّ منتصر أمامي.

بعدها خرجنا من المطار، ودخلنا المدينة بتلك التّفاصيل التي شهدتموها جميعاً، والحمدلله أنّها لا زالت حيّة في أذهان الجميع، وكما تعلمون أنّ الإمام غادر «بهشت زهراء[2]» عصراً إلى مكانٍ غير معلوم، وفي الحقيقة كان أخونا السيد «ناطق نوري» بالتّحديد، قد اختطف الإمام واصطحبه إلى مكان آمن من مشاعر الناس المشتاقين له الراغبين بإظهار جميع مشاعرهم، ولكي يؤمّن له فرصة للراحة؛ فقد كان الإمام قد انطلق قبل ليلة من باريس، وكان يتحمّل ضغط أعمالٍ كبير؛ إضافة إلى الحضور [في بهشت زهراء] حتى غروب ذلك اليوم، ولم يكن قد نال أيّ قسط من الراحة حتى ذلك الحين.

---

١. من خطابه خلال لقائه بعائلة الشهيد مطهري بتاريخ ١٩٩٥/٥/١م.

٢. مقبرة جنة الزهراء المتواجدة في طهران - المترجم.

في محضر الحبيب

يومها ذهبتُ إلى [مدرسة] «الرفاه» لإنجاز الأعمال فيها، فقبل عودة الإمام [كانت المدرسة مقرّنا]، وكنّا نجتمع هناك مع إخواننا، ونتناقش، ونُخطّط من أجل برنامج إقامة الإمام وتفاصيل عودته، كما كنا نعمل على مجلّة آنذاك لنشر الأخبار وماشابه، وكانت تصدر من هذه المدرسة.

كنتُ في المدرسة أترقّب ما سيحدث لحظة بلحظة، وعلمنا أنّ الإمام ذهب إلى مكان ما من أجل نيل قسطٍ من الراحة، ولأداء صلاة الظهر والعصر بعد أن اقترب وقت الغروب. وفي أواخر الليل، وبينما كنتُ منكباً على تنظيم أخبار ذلك اليوم لنشرها في المجلّة وليتم إصدارها، سمعتُ قريب الساعة العاشرة ليلاً أصوات همهمة قادمة من باب الفناء الداخلي لمدرسة الرفاه، فكان هناك بابٌ صغير للزقاق في تلك الجهة.

نظرتُ من الشباك إلى مصدر الصوت، فرأيتُ الإمام يدخل بمفرده من الباب، من دون أي مرافق، وقد تفاجأ الشباب والإخوة في المدرسة بقدومه، واحتاروا فيما يتوجب عليهم فعله، والتفّوا حول الإمام. وبالرّغم من أنّ الإمام كان متعباً يومها، لكنّه كان يتكلّم معهم بوجهٍ بشوش، وكانوا بدورهم يقبّلون يده، ربّما كان يصل عددهم إلى عشرة أو خمسة عشر شخصاً. قطعوا الفناء طولاً ووصلوا إلى السلالم الموصلة إلى الطابق الأوّل، والتي كانت بجانب غرفة عملي، وبدوري ذهبتُ باتّجاه باب الغرفة، ودخلتُ إلى القاعة حتى أرى الإمام عن قرب. دخل الإمام القاعة، وكان هنا بعض الشباب الآخرين، فتجمّعوا حوله أيضاً واقتربوا منه كي يقبّلوا يده.

مهما حاولتُ الاقتراب من أجل تقبيل يد الإمام، وجدتُ أنّني سأزاحم الإمام بمقدار شخص، وبالرّغم من رغبتي الشديدة في الاقتراب منه وتقبيل يده، إلا أنني بقيتُ بعيداً عنه، وعبر الإمام من أمامي على بُعد مترين،

فلم أقترب؛ لأنني رأيتُ الازدحام حوله، واقترابي سيزيد من شدّته. انتابتني

آنذاك نفس المشاعر التي شعرتُها في المطار عندما كان الجميع هناك يقتربون من الإمام، وكنت أرغب في الاقتراب بشدّة، لكنّني منعتُ نفسي، ومنعتُ غيري أيضاً من الاقتراب من الإمام كي لا يُتعبوه.

صعد الإمام السلالم، وفي هذه الأثناء، كان هناك ما يقارب الثلاثين أو الأربعين شخصاً مجتمعين أسفلها، وعندما وصل إلى بسطة الدرج همّ بالذهاب [إلى الغرفة]، لكنه فجأة عاد والتفت إلى الجموع وجلس في مكانه وجلس الجميع أيضاً؛ أي أنّه لم يرغب بمفارقة محبّيه وأصدقائه.

عندها رحّب أحد الإخوة المتواجدين بالإمام قليلاً بشكلٍ حماسي غير محضّر له، فلا أحد كان يتوقّع هذا اللقاء، ثم تكلّم الإمام قليلاً، ثم توجّه إلى الغرفة المخصصة له[1].

كأنّ شيئاً لم يكن

بعد مضيّ ليلة أو ليلتين من حضور الإمام في مدرسة «علوي»، طلب لقاءنا أنا وباقي الإخوة الأعضاء في مجلس الثورة. عندما دخلتُ إلى الغرفة، وكان الوقت أول الليل، رأيتُ الإمام جالساً يقرأ القرآن، وذلك بعد يومين أو ثلاثة من عودته إلى إيران. في تلك الأيام تتذكّرون الأحداث في شارع «إيران»، والأحياء المحيطة به والجموع وضجيجهم، كما كانوا يُراجعون الإمام، ويترددون عليه باستمرار [لأجل العمل]؛ فضلًا عن الزّيارات الشخصية، والشخصيات السياسية، ورجال الدين، والأصدقاء القدامى، وكانوا يزورونه ليُقدّموا اقتراحاً، أو يستفسروا عن شيء ما، أو يقولوا شيئاً، لقد كان الإمام مشغولاً بشكلٍ دائم!

لكن وعلى الرغم من جميع ذلك، وفي خضمّ هذه الأحداث حيث كان البعض يريد لقاء الإمام ثانية، وآخرون يحتاجونه في أمرٍ ما، وكانت أعماله تستمرّ حتى آخر الليل، وبين هذا الصّخب، كان جالساً بعد صلاة المغرب والعشاء في

١. مقابلة مكتوبة حول عشرة الفجر في بتاريخ ١٩٨٤/١/١٤م.

إحدى الغرف وحيداً وكأن شيئاً لم يكن، قد فتح القرآن، وأخذ يتلوه، فالإمام لم يكن ليغفل عن قراءة القرآن ولو ليومٍ واحد؛ كان يقرأه دائماً.[١]

انتابتني الحيرة

أنا لا أنسى ما حدث في شارع «إيران» بالقرب من مقرّ الإمام العزيز والعظيم وعبد الله الصالح، فعندما كان قلب إيران ينبض هناك، وقد حلّقت أرواح المحبّين وعواطفهم من كافّة أنحاء البلاد إلى تلك الجهة، لم تكن شعوب العالم تعرف إلا القليل عمّا يجري في إيران. وكانت جميع المحافل السياسية، وجميع القوى الكبيرة، والدول المستضعفة، وجميع المنفتحين، وجميع محبي الإسلام، وجميع ثوّار العالم، مترقبين لمعرفة ما الّذي يجري فيها. كنتُ يومها مشغولاً بالعمل في «مكتب الإعلام» الخاص بتوجيه النّاس ونقل الأخبار لهم، وإذ بي أسمع همهمةً غير عاديّة. نظرتُ، فتحيّرتُ من هول المشهد! ولقد كانت هذه الحادثة الأكثر غرابةً وأكثرها إثارةً للدهشة مقارنةً مع جميع الأحداث الّتي كانت قد حصلت حتى ذلك اليوم.

رأيتُ عدداً كبيراً من متطوّعي القوات الجوية العسكرية في فرق منظّمة وطوابير، وقد حملوا بطاقات تعريفهم عالياً وأبرزوها بعلانية وشجاعة، وانطلقوا في تظاهرات باتّجاه مقرّ الإمام[٢].

لقد كان الجميع يتوقّعون عكس هذا الأمر، ويتصوّرون أنّ العسكريين سيقفون في مواجة الناس حتى آخر اللحظات الأكثر حساسية؛ لكنّ الحقيقة كانت أمراً آخر.

إنّ إخوة هذه الأمة وأبناءها الّذين تربّوا في أحضانها، كانوا من الشعب، ومن الواضح أنّ مصيرهم لن يكون سوى التعاون مع الشعب والوقوف بجانبه. طبعاً؛

---

١. من خطابه في درس تفسير القرآن الكريم بتاريخ ١٩٨٢/١/٢٩م.

٢. إشارة إلى حادثة بيعة متطوّعي القوات الجوية في جيش الشاه للإمام الخميني.

كان هناك البعض من المرتزقة أو الأشخاص الوضيعين والضعاف والّذين لا قيمة لهم، لم يتمكّنوا من إدراك قدر حضن النّاس الدافىء، وكانوا يُحاربونهم أو يهربون منهم أو يُبدون معارضتهم أو على الأقل لم يحضروا، لكن هؤلاء الشباب والعناصر المؤمنة والحازمه كانوا [الفئة] الأوعى، وكانت قلوبهم مع الناس. ولقد كان الإخوة في القوات الجوية الأكثر شجاعة وجرأة من الجميع، وهم الّذين تصدّوا لأكثر الأعمال حساسية، جاؤوا ليُعلنوا الوفاء لإمامهم وقائدهم وليؤكدوا على تبعيّتهم له. لقد كانت هذه الحادثة عجيبة وحماسية بحيث سار الجميع خلفهم.

وبدوري ذهبتُ بسرعة إلى مقّر الإمام في ابتدائية «علوي»، وكانت قريبة من مكان تواجدي، وقمنا ببعض التحضيرات، ثمّ وقف الإمام العزيز وتقدّم هؤلاء الشباب الأبطال والشجعان في مارش عسكري أمامه. وبعدها خطب الإمام فيهم ونصحهم من منطلق إيمانه بمسؤوليته ودوره في إدارة هذه الثورة، وشجّعهم، ووقّع على عَلمهم، وكانوا قد كتبوا طوماراً فأخذه ودعا لهم. وهذا ما كسر ظهر النّظام؛ حيث شعر فجأةً أنه أصبح دون سندٍ وداعم.

فذلك النظام لم يكن قادراً على الحكم من دون قوة السلاح، وقد علّق آماله على القوة العسكرية وحسب، لكن الأخيرة أيضاً أصبحت في خدمة الناس بشجاعة وحزم. وأنا أشكر الله أنّ القوات الجويّة وجميع جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية، قد نجحوا في امتحانهم[1].

الأيام التي انتهت بالانتصار

من اليوم التاسع عشر وحتى الثاني والعشرين من شهر بهمن عام (٥٧)[2]، ذهبتُ إلى أحد المصانع في كرج لعدّة أيام متتالية؛ فآنذاك وصلني خبر من

١. من خطبة صلاة الجمعة في طهران ١٩٨٥/٢/٨م.

٢. الموافق لـ ٨ - ١٢ من فبراير ١٩٧٩م.

عمّال ذلك المصنع أنّ بعض أنصار الفرق الماركسية واليسارية قد ذهبوا إلى هناك، وقرروا أن يتّخذوا المصنع مقراً، ويستتروا بضجيج العمال، ثم يجمعوا العمال من هناك ومن المصانع الأخرى الموجودة في تلك الناحية، ويذهبوا إلى بيت الإمام ومدرسة علوي التي كانت مقرّ الإمام آنذاك، ليُسيطروا على الأوضاع حسب ظنّهم.

ذهبتُ إلى هناك، وكان هناك حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة عامل في ذلك المصنع، لكن اجتمع في تلك الصالة قريب سبعمائة أو ثمانمائة شخص بحيث انضم إليهم أناس آخرون. وكنت أذهب في كل يومٍ صباحاً إلى ذلك المصنع وأعود عصراً أو ليلاً؛ حتى أنني في أحد الأيام تكلّمتُ على الميكروفون مدّة سبع ساعات، وكنتُ أقول ما لديّ، ثم جاء أحدهم وأطلق شعاراً، واستدلّ عليه، فأجبته وبرّرتُ له. وفي النهاية أخرج العمّال ذلك الفريق التخريبي من المصنع بأنفسهم، وطردوهم من هناك[1].

سجدتُ شكراً لله

عندما بثّ الراديو لأوّل مرة عبارة «صوت الثورة الإسلامية»، أو عبارة قريبة من هذه، كنت في السيارة عائداً من أحد المصانع باتّجاه مقرّ الإمام؛ حيث كان بعض المعاندين قد اجتمعوا في ذاك المصنع وقاموا ببعض التحركات، وكان هؤلاء يفكّرون في استغلال الأوضاع لصالحهم. وكان ذلك في خضمّ الثورة ولربما كان «بختيار» لا يزال موجوداً آنذاك؛ أي أيام السابع عشر وربّما الثامن عشر [من بهمن]، والمشاكل كانت لا تزال في ذروتها، ولم نكن قد أنجزنا أيّ عملٍ بعد. وفي طريق عودتي بثّ الراديو عبارة «صوت الثورة الإسلامية»، فأوقفتُ السيارة، ونزلتُ منها وسجدت على الأرض.

لقد كان أمراً بعيداً عن تصوّرنا؛ ففي كل لحظةٍ من تلك اللحظات كان

---

١. من خطابه خلال اللقاء بالعمال النموذجيين في إيران بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٨م.

يستجدّ أمر ما، ولو أردتُ سرد ذكرياتي خلال تلك العشرين يوماً القريبة من انتصار الثّورة، فمن المؤكد أنني لن أتمكّن من استذكار كل ماحصل خلال تلك الأيام[1].

أردنا أن نُناقش الإمام

في أوائل الثورة، عندما كان الحديث حول انتخاب رئيس الجمهورية، طُرحت أسماء عدّة مرشحين. آنذاك، ذهبتُ أنا وأحد أصدقائي من طهران إلى قم من أجل لقاء الإمام حيث كان في منزله هناك، وكان ذلك في وقتٍ ضيّقٍ وصعب؛ لكن قلنا إنه علينا مقابلة الإمام كيفما كان. آنذاك، كان الإمام قد طلب عدم ترشيح أسماء المعممّين لرئاسة الجمهورية، فذهبنا لنناقشه ونتباحث معه حتى يرفع هذا القيد، فنتمكّن من طرح اسم السيد بهشتي [ونُرشّحه]؛ حيث كان رضوان الله تعالى عليه الأفضل بنظرنا. تناقشنا مع الإمام حول الموضوع، وقلنا ما لدينا، وأدلى الإمام بما لديه؛ ثم قال اذهبوا واهتموّا بالمجلس [وانتخاباته]، وتابعوا هذا الموضوع، فلم تكن انتخابات المجلس قد أُقيمت بعد، وكانت هذه نصيحته لنا آنذاك؛ بأن اهتموّا بالمجلس ولا تصرّوا على مسألة الدولة، فالمجلس برأيه أكثر أهمية من الدولة والسلطة التّنفيذية[2].

أنا تلميذ مطهري

أنا أعتبر نفسي تلميذ الشّهيد مطهري، وقد أخبرته بذلك في إحدى المرّات. إن صداقتي بالشهيد مطهري تعود إلى ما قبل الثورة؛ حيث جمعتني به علاقة قريبة وقوية وحميمة وودية، وكنّا نلتقي مراراً؛ سواء في منزله في طهران أو في منزلي في مشهد، نمضي ساعاتٍ أو أياماً أو ليالٍ مع بعضنا البعض.

في إحدى المرّات، قلتُ له بأنني تلميذك، فتعجّب من كلامي! وقال: «أنت

---

١. من مقابلة مكتوبة حول عشرة الفجر بتاريخ ١٩٨٤/١/١٤م.

٢. من خطابه خلال اللقاء برئيس مجلس الشورى الإسلامي والنواب بتاريخ ١٩٨٠/٦/٦م.

لم تدرس عندي أصلاً». والحقيقة هي أنني لم أتلقّى أيّ درسٍ عنده؛ لكن كانت خطابات الشهيد مطهري قبل عشرين عاماً من العوامل الأساسية في تأسيس بنيتي الفكرية الإسلامية؛ حيث كانت تُطبع وتُنشر فيما مضى[1].

النحل

بعد عدة أشهر لانتصار الثورة أقيم للمرحوم السيد مصطفى ابن الإمام العزيز مجلس عزاء في قم في «المسجد الأعظم»، وطلبوا مني إلقاء خطبة فيه، كما كان الإمام أيضاً موجوداً. ألقيتُ خطبةً آنذاك، واستشهدتُ بهذه الآية الشريفة: «وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشّجر وممّا يعرشون* ثمّ كلي من كل الثّمرات فاسلكي سبل ربّك»، وخاطبتُ الإمام قائلاً بأنّ هؤلاء الطلّاب هم النّحل الذي امتصّ هذا العسل - أي كلامكم - ثم انتشرت في مختلف أنحاء البلاد، ونشرت العسل ليتذوقّه الناس أيضاً؛ فضلاً عن أنه أيضاً كان يلسع عندما يقتضي الأمر! هذا ما فعله الطلّاب وحوزة قم، ولولاها ولولا وجود الإمام فيها. فمثلًا لو بدأ الإمام العظيم انطلاقته من مكانٍ آخر كطهران أو أيّ مكان آخر لا علاقة له بالحوزة العلميّة، فمن غير المعلوم أنه كان سيحصل نفس الأثر ونفس التوفيق! فإن بداية هذه الحركة من قم جعلها تنال هذا التوفيق وتتحوّل إلى ثورة.

هل تخافون من أمريكا؟

في أوائل الثّورة، قبل واحد وثلاثين عاماً من اليوم تقريباً، ذهبتُ أنا وشخصان آخران من أعضاء مجلس شورى الثورة، من طهران إلى قم لاستشارة الإمام في إحدى القضايا شديدة الأهمية. وعندما شرحنا له القضية، سألنا الإمام: «هل تخافون من أمريكا؟» فأجبنا بالنّفي، فقال: «إذاً اذهبوا وباشروا بالعمل». وهذا ما فعلناه وكان النّجاح حليفنا. فإذا طرأت على الإنسان مشاعر الخوف، أو الطمع،

---

١. من مقابلة مع جريدة «اطلاعات» حول الشهيد المطهري بتاريخ ١٣٦١/٢/٨م.

أو الغفلة، أو التّوجهات المنحرفة، فستتعقد الأمور[1].

هدية الإمام للشّعب الإيراني

في السّنوات الأولى بعد انتصار الثورة، وبعد أن جرى تنظيم صلاة الجمعة، وكان الإمام قد شرّفني بإمامة جمعة طهران، ذهبتُ أنا وأئمة الجمعة للقائه وللكلام في بعض الأمور. وقد قلتُ بدوري كلاماً كان نابعاً من أعماق قلبي، قلتُ إنّ الله تعالى جعل ليلة القدر للناس، لكن ورد في تفسير ﴿إنّا أنزلناه﴾ عن الائمة عليهم السلام أنه مرّ ألف شهرٍ في حكومة بني أميّة ولم يكن للناس ليلة قدرٍ فيها حيث حُرموا منها؛ وكذلك الأمر بالنسبة لصلاة الجمعة؛ حيث إننا حُرمنا منها في عصر دولة الطاغوت. صحيح أنّ الحكّام كانوا يُعيّنون شخصاً ويُنصّبونه بالطريقة القديمة نفسها في بعض المدن، وأحيانًا يكون إمام الجمعة شخصاً خلوقاً ومحترماً؛ كإمام جمعة مشهد المرحوم الشيخ غلام حسين التبريزي الّذي كان رجلاً عالماً، وتقياً، وزاهداً، ولم تربطه أي علاقة بالحكومة، لكن في الكثير من الأحيان، كان إمام الجمعة مُنصّب من قِبل حكومة الطاغوت، ولم يكن النّاس يعتنون بصلاة الجمعة ويواظبون عليها. لهذا حُرمنا لسنوات طويلة منها، [وقلتُ مخاطباً الإمام] أنت أعدتَ إلينا صلاة الجمعة، وقدّمتها إلى الشعب الإيراني، إنّها نعمة عظيمة فعلاً![2]

الإمام ٥٣ في المائة، وبني صدر ٨٠ في المائة!

كان [بني صدر] قد أجرى استطلاع رأي، وكان السّيد بني صدر قد أخطأ في الأرقام، وكانت النّتائج حسب ما ذكر بنفسه أنه محبوبٌ بنسبة ٨٠ في المائة بين النّاس، بينما تبلغ محبوبية الإمام ٥٣ في المائة، والباقون على هذا المنوال.

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء مجمع ممثلي الطلاب وفضلاء حوزة قم العلمية بتاريخ ٢٠٠٦/٣/١٥م.

٢. من خطابه خلال لقاء أئمة الجمعة في البلاد بتاريخ ٢٠١٦/١/٤م.

وذكر هذا الأمر في مقابلةٍ أجنبية وفي مجلس الثورة أيضاً، وقال بأنه تبيّن أنّ محبوبيتي عند النّاس أكثر من الإمام! لاحقاً سأله السيد بهشتي: «هل أنت من قلت هذا الأمر؟» فنفى ذلك، وكان قد نسي أنّه أخبرنا به بنفسه في مجلس الثورة، وتصرّف كأنه لا يعرف بالموضوع[1].

أنت القائد..

لقد بدأ هجوم العراقيين على أراضينا في الواحد والعشرين من أيلول عام ١٩٨٠م، وقبل ذلك بثلاثة عشر يوماً؛ أي في ٨ أيلول من العام نفسه، ألقى بني صدر خطاباً أجّج فيه نار الخلافات الدّاخلية، بالتّطرق إلى مسائل لا يجدر بشخصٍ مسؤول [سياسيّ] أن ينطق بمثلها حتى خلال أكثر الأوقات استقراراً، مما تسبّب في تكدير الأجواء وإيجاد خلافاتٍ داخلية بين الناس. هل كان بني صدر في ذلك الحين مطّلعاً على قرب وقوع الحرب؟ على أيّ حال؛ فإنّ التّهتك والفشل ينطبقان عليه. وحسب ظنّي فإنّه كان يتوقّع حصول مثل هذا الهجوم؛ فقد صرّح بنفسه في إحدى المرّات بعلمه به، لكنّه كان يولي أهمية للمناقشات والنزاعات السياسية حتى في حالة الحرب، ولم يتمكّن من إخفاء هذه النّفسية طيلة مرحلة الحرب أبداً. كما يمكن ملاحظة هذا الأمر بوضوحٍ في التقارير التي كان ينشرها في الجريدة، وفي المقابلات وخطبه الّتي ألقاها في عاشوراء، وفي ٥ آذار في قزوين وأصفهان، وغيرها، وسأذكر لكم نموذجاً يعود لحادثة سقوط الجزء الغربي من مدينة خرمشهر العزيزة.

لقد كتبتُ لبني صدر رسالةً قبل يومين من وقوع هذه الحادثة الأليمة، ولا زلتُ أحتفظ بها؛ فيما يتعلّق بخرمشهر وآبادان، قلتُ ولا أزال أقول بضرورة حماية هاتين المدينتين من خلال كتيبتَي مشاة مؤللتين، أو كتيبة مشاة مؤللة وكتيبة مدرّعة تتموضعان في طرفي هذه المدينة، فتتصدّى إحداهما للحماية

١. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي حول كفاءة بني صدر بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

في محضر الحبيب

في محور خرمشهر - شلمجة، والأخرى في تقاطع خطوط ماهشهر- آبادان والأهواز - آبادان، وينبغي أن تحتمي الدبابات بالدّشم، وتُحفظ من مضادات دبابات العدو، وتمنعه من التقدّم من جهة، وتؤمّن الإسناد لعناصرنا لمهاجمة العدو وإلحاق الأذى به من جهة أخرى.

لقد سألتني في التلغراف بأنّني لماذا لم أُخبرك عن القوات الأخرى في حين أنني أعلم بوجودها. وإن هذا لَأمر مثيرٌ للتعجبّ! القوة التي لديّ اطلاع عنها هي قوة الجيش، وفي الحقيقة أنت قائدها؛ هي قوات المشاة والقوات المدرّعة المستقرّة في دزفول والّتي تتفقدها أنت مرّتين يومياً على حدّ تعبيرك! وأقول بأنّه يمكن تخصيص جزء من هذه القوى المتراكمة، والتي لم يتم الاستفادة منها حتى الآن من أجل هذا الهدف.

آنذاك أرسلتُ هذه الرّسالة إلى مكتب الإمام وإلى الوثائق السّرية لمجلس الشورى الإسلامي، ووثّقتها فى أرشيف مجلس الثورة، وأرسلتُها إلى مجلس الدفاع الأعلى من أجل تسجيلها في التاريخ.

وكان سبب إرسالي هذه الرسالة هو أنني ذهبتُ للقاء الإمام، فأرسل عبري رسالة قصيرةً إلى جميع القادة العسكريين ذكر فيها عدّة نقاط؛ منها: «إنني أشعرُ أنّ المسؤولين يعملون بتراخٍ قليلاً في آبادان وخونين شهر. فإذا كان ذلك يفوق طاقتكم وقدراتكم، فأخبروني حتى أتّخذ القرار [المناسب] بنفسي في هذا الصدد، فأنا مسؤولٌ أمام الإسلام وهذا الشعب». ولقد سجّلتُ كلام الإمام هذا بحذافيره، وأرسلتُه مباشرة في تلغرافٍ إلى السيد بني صدر.

وفي المقابل ردّ السيد بني صدر على تلغرافي بأخر حادٍ جداً، ولا يزال نصّه موجوداً حتى اليوم، أبدى فيه استياءه الشّديد وانزعاجه من أسئلتي وكلماتي والتلغراف الذي وجّهته إليه. وأنا بدوري أجبتُ على تلغرافه بهذه الرّسالة المسهبة جداً، وقد قرأتُ قسماً منها الآن فقط. وقد أشار في تقريرٍ كتبه آنذاك

ولم يُنشر في جريدة «انقلاب اسلامي»[1] لعدّة أسباب[2]، إلى موضوع خرمشهر وإصراري على هذه المسألة بهذا الشّكل: وصلنا اتّصال من آبادان يُفيد بسقوط خرمشهر. قيل بأنّ الكولونيل «رضوي فر» المسؤول عن الدفاع عن خرمشهر مصاب بالتيفوئيد، وهو يقول باستمرار: «لقد وعدتموني بإرسال الدّعم والقوات، لماذا لم ترسلوها حتى الآن؟ أنتم مسؤولون أمام الله وهذه الأمة»، ثم أمسك الدكتور شيباني بالهاتف وكان يصرخ ويتوّعد، فوبّخته عدة مرات وقلتُ له هل القوات بيدي كي أقذفها نحوك؟! عندما توجّب عليكم أن تتعقّلوا لم تفعلوا ذلك، وأخفيتم عنّي الحقيقة، وفتحتم السّاحة أمام الانتهازيين فضربوا بدورهم الجذور[3]. من بقي [من القوات] حتى أرسله لكم؟ لم تتعاونوا معي في أيّ مجالٍ من المجالات، ودائماً عندما كانت حياتي ووجودي في معرض الخطر تركتموني وحيداً..

وكُتب في الصفحة الّتي تليها: طبعاً؛ وإذا تمكّنا من إنهاء الحرب، فنكون لازلنا في البداية، وأمامنا مشاكل أكبر تُعيق طريقنا، ولقد حذّرتكم في السابق قبل أن يفوت الأوان. وفي ٨ أيلول أخبرتُكم بالأمر وحذّرتُ ثانية، وللأسف في اليوم التالي أبدى «ثلاثة فرسان» اعتراضهم بالطريقة التي ظهرت للجميع. وبعدها

---

١. هذه الجريدة لصاحبها ومديرها «السيد حسن بني صدر»، وقد بدأت بالانتشار من تاريخ ١٩٧٩/٦/٢٠م في طهران وإلى تاريخ ١٩٨١/٦/٧م، كان قد انتشر منها ٥٥٧ عدداً. أوقفت جريدة انقلاب إسلامي بأمر من محكمة الثورة الإسلامية، وذلك بسبب نشر مقالات مثيرة للتعصبات، ومخلّة بمبادىء الإسلام والحقوق الاجتماعية الحديثة والثورية للشعب الإيراني المسلم خصوصاً في زمن الحرب.

٢. "تقرير للناس" أو "شهادة رئيس الجمهورية" هي كتابات بني صدر اليومية للناس، والتي كان ينشرها في جريدة انقلاب إسلامي. كانت هذه التقارير تُضيء على الخلافات الموجودة بين قادة البلاد وتُخلّ بالوحدة العامة نوعاً ما.

٣. توضيح آية الله خامنئي: مقصود (بني صدر) هو مسألة فضح الانقلاب العسكري وإلقاء القبض على عناصره؛ حيث يعتبر أنّ سقوط خرمشهر أو دخول الأعداء مسافة ٨- كيلومتر في أراضينا هو من تداعيات تلك المسألة.

تكلّم رئيس المجلس بنحوٍ يبدو فيه أنّ الإمام طلب منه أن يفعل هذا، ثمّ تبيّن أنّ الإمام قال بأنّ لا شأن له بهذا الأمر، أنتم أعلم بما تُريدون فعله[1]. السيد رجائي أيضاً صعد المنبر في هذا المجلس، وقال بجرأة إنه إذا وُجّهت إهانة لأحد من وزرائه، فإمّا هو أو أنا، وقال إنه لن يجلس مع رئيس الجمهورية على طاولةٍ واحدة أبداً. صحيح!! لقد صار مدعياً أنّه المرشَّح من قِبل الشعب. ثم ضغطوا عليّ ثانية من كل جانب حتى أترك الموضوع ولا أُتابعه أكثر. حسناً؛ أين هؤلاء الّذين يركضون خلف السلطة بهذا الشكل؟ أين هؤلاء الّذين أرادوا ويريدون أن تكون أدوات القوة بأيديهم؟ لمَ لا يلبّون نداء آبادان وخرمشهر؟ (لقد ترك السيد رجائي خرمشهر إلى حين وصوله إلى رئاسة الوزراء عندها يتابع الأمر). قالوا بأنهم سيوصلون الدّعم إلى هناك، وقالوا في البداية سيُرسلون خمسة آلاف شخص، وعشرة آلاف شخص، ثم تناقص عددهم حتى صاروا ٥٠٠ شخص، وحتى هؤلاء لم يصلوا بعد. نعم؛ عندما يكون هناك خطر يُخلون الساحة أيضاً.

أنا بيّنت كذبه في هذه الرسالة، وقلتُ بأننا أرسلنا خمسة آلاف من القوات ودخلوا إلى هناك. أرسلناهم ولستُ أنا من أرسلتهم، أنا من هنا اتصلتُ باللجنة والحرس، واتّصلتُ بمشهد، وبجميع الأماكن الّتي أمكنني التّواصل معها. ونتيجةً لذلك دخل خمسة آلاف مقاتل إلى الأهواز، وأنا بنفسي استلمتُهم، وذهبوا إلى ماهشهر وخرمشهر وكانوا هناك[2].

كان يدّعي أنه لا يسكن في القصر!

لقد كتب بني صدر لمرّاتٍ عديدة رداً على إشاعة إقامته في أحد القصور،

---

١. توضيح آية الله خامنئي: أعتقد بوجوب إدلاء شهادتي هنا: أنا وصلت إلى الإمام بعد ١٧ يونيو، وبعد أن تكلم كثيراً، قال لي بأنّ السيد بهشتي والشيخ هاشمي لم يقولا شيئاً، وأجاب على جزء من خلافات السيد بني صدر. لقد نقلت تعبير الإمام حينها إلى باقي الإخوة وقلت بأنه تعبير الإمام، هو مَن يقول هذا.

٢. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي حول كفاءه بني صدر بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

وقال أنا لا أملك منزلاً لنفسي ولا أسكن في أيّ قصر؛ لكن أنا، وجميع أعضاء شورى الثورة السابقين والآخرين لا نشكّ بأنّه حتى آخر يومٍ من إقامته في طهران، كان يسكن في قصر أحد أعضاء عائلة النظام السابق والّذي يقع بالقرب من مركز رئاسة الوزراء. وقد كان مكان عمله، وبقي على حاله في زينته وحفاوته دونما أيّ تغييرٍ. وخلال أيام إقامته في دزفول أيضاً كان يُقيم في قصرٍ حكومي في مقرّ دزفول الجوّي، وقد زرتُه في هذين المكانين وأشهد على ذلك. هذه حال تقواه، وصدقه وأمانته[1].

كنتُ أشعرُ بالألم يعتصر فؤادي

في الأيّـام والأسابيع الأولى من الحرب، وبعد احـتلال العدوّ خرمشهر، ومحاصرته آبادان ووقوعها برمّتها في مرمى نيران العدو، كنتُ في الأهواز في غرفة عملي؛ أي غرفة حرب العصابات. كانت العديد من الخرائط موجودة هناك؛ لأن العمليات كانت حرب عصاباتٍ، وكذلك كانت الخريطة الكاملة لآبادان موجودة أيضاً، وكلّما وقع نظري عليها وعلى خريطة خرمشهر، كنتُ أشعر كأنّ يداً أو قبضةً قويّة تعتصر فؤادي، فكنتُ أشعر بالألم عندما أتخيّل أنّ خرمشهر العزيزة، وهذه المنازل، والأزقّة، والشوارع والنّخيل تطؤها أقدام العدو الغاصب والغاشم. ولقد كان الأمل بتحريرها هو سبب كل هذا الضغط الّذي نُمارسه من أجل الحصول على الإمكانيات؛ لكن وللأسف، كنّا نواجه ردوداً تنمّ عن يأس؛ حيث كان البعض قد صدّق بأننا فقدنا خرمشهر، وكان يظنّ أنّه علينا التّفاوض مع العدو الّذي اقتحم بيوتنا لنستطيع استرداد كل قطعة من أراضي منازلنا. والله يعلم كم كانت ستطول المدة عندها![2]

---

١. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي حول كفاءة بني صدر بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

٢. من خطابه خلال لقاء مجموعة من أهالي خرمشهر بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٢٧م.

قوّة الأمّة المعنويّة

في يوم الثالث من خـرداد، في السّاعات الأولى الّتي استطاع مجاهدونا السيطرة على خرمشهر، اتّصل بي الشهيد صياد شيرازي ليُقدّم لي تقريراً عن أوضاع الجبهة؛ حيث كنت رئيس الجمهورية آنذاك. قال لي بأنّ هناك آلاف الضباط والجنود العراقيين الأسرى قد اصطفوا في طوابير ينتظرون دورهم حتى نُقيّد أيديهم. هذه هي قوّة الأمّة المعنوية! ليس فقط في خرمشهر، فخرمشهر رمز فقط؛ فالأمر كان كذلك في «كربلاء ٥»، و«والفجر ٨»، وبقية فتوحاتنا العديدة، وعمليات «خيبر»، و«بدر»؛ بل في سنوات الدفاع المقدس الثماني كلّها. طبعاً؛ كان هناك هزائم وفشل أيضاً، وقدّمنا الشهداء؛ فالميدان ميدان الحرب[1].

عمّ السّرور الأرجاء

في يوم فتح خرمشهر، لم تكونوا أنتم الشّباب موجودين أو كُنتم صغاراً جداً. لقد كان الفتح حدثاً عظيماً، وربما قبل مرور ساعة على إعلان الخبر، وبينما كنتُ ذاهباً من [مبنى] رئاسة الجمهورية باتجاه بيت الإمام رضوان الله عليه للقائه، رأيتُ مظاهر الفرح والبهجة في الشارع وأثناء الطريق؛ فكان السرور قد عم الأرجاء، وخرج الناس مثل مسيرة أو مظاهرة، وعندما رأوا سيارتي، كانوا يقتربون مني ويهنّئونني.

يومها أُقيم احتفال عام تلقائي بين الناس في مختلف أنحاء البلد؛ فقد كانت مسألة فتح خرمشهر مهمّة إلى هذه الدّرجة. طبعاً؛ أغلب الناس آنذاك لم يعرفوا ما الّذي حصل، وأحداث هذا الفتح، ولم يكونوا مطّلعين على التّضحيات، وتفاصيل الانتصار، وتلك الجهود المذهلة العجيبة، ولا زال الكثيرون حتى اليوم يجهلون بها[2].

---

١. من خطابه خلال لقاء عوائل الشهداء بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٤م.

٢. من خطابه في جامعة «أفسري وتربية باسداري إمام حسين (صلوات الله عليه)» بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٣م.

تجسّد كلّ الماضي أمامي

في عام ٨١ م عندما تعرّضتُ لتلك الحادثة في مسجد أبو ذر[١]، غبتُ عن الوعي، وبينما كانوا ينقلونني إلى السيارة، استفقتُ مرّة أو مرّتين ثم غبتُ عن الوعي نهائياً. في إحدى هاتين المرّتين أو الثلاثة الّتي عدت فيها إلى الوعي، شعرتُ أنّها اللّحظة الأخيرة من حياتي؛ أي شعرتُ بشكلٍ كاملٍ أنّها لحظة الموت.

وفجأة تجسّد كلّ الماضي أمام عينَي، وفكرتُ في قرارة نفسي ماذا لديّ الآن لأُقدّمه؟! ومهما فكّرتُ وجدتُ أنّ جميع أعمالي محلّ نقاش. صحيح أنني جاهدتُ، ودخلتُ السجن، وتعرّضتُ للتعذيب، وألقيتُ الدروس، وتكبدتُ المتاعب، وهذه هي الأمور الّتي تخطر على بال الإنسان في مثل هذه الأوقات، لكن في تلك اللّحظة وجدتُ أنّ جميعها قابلة للنقاش والمساءلة. فقد يقولون لي بأن نيّتك كانت شائبة في القضية الفلانية مثلًا، وبالتالي يزول ذلك العمل! عندها شعرتُ أنّني معلّقٌ بين الأرض والسماء، مثل إنسانٍ لا تطال يده أي مكان؛ فقلتُ إلهي! أنت ترى حالتي، ويبدو أنّني لا أملك شيئاً، وكيفما حسبتُ وجدتُ نفسي خالي الوفاض، إلّا ما رحمت أنت.

عندما تَعرِض هذه الحالة وأمثالها للإنسان، عليه الاستفادة منها واغتنامها[٢].

شعرتُ بالخسارة

[في الفترة التي سبقت حادثة انفجار مكتب الوزارة] كنتُ مريضاً، فكنتُ قد خرجتُ حديثاً من المستشفى[٣]، وكنتُ أمضي مرحلة النقاهة في منزل يقع في منطقة نياوران، لكنني كنتُ مطّلعاً على ما يجري، فالمرحوم الشّهيد رجائي والشهيد باهنر والإخوة الآخرين كانوا يُعلمونني بالأوضاع والأخبار، لكنني لم أكن

---

١. يُشير سماحته إلى حادثة محاولة اغتياله في مسجد أبو ذر في طهران.

٢. من خطابه في لقائه برئيس مجلس الشورى الإسلامي والنواب بتاريخ ٦/٥/ ٢٠١٦م.

٣. بسبب حادثة محاولة اغتيال سماحته والتي وقعت في مسجد أبو ذر في طهران.

قادراً شخصياً على المشاركة بفاعليّة في الأحداث. وعندما تحسّنت حالتي بشكلٍ تدريجي، صرتُ أُشاركُ في الاجتماعات أحياناً، كما أنني شاركت في اجتماعٍ مهمّ أُقيمَ في غرفة المرحوم رجائي نفسها في الليلة الّتي سبقت الحادثة، وتكلّمنا فيها حول مسائل البلد المهمّة، لكنني في يوم الحادث كنتُ بعيداً عن المكان، وكان الوقت بعد الظهر، وكنتُ مريضاً ونائماً.

عندما استيقظتُ من النّوم سمعتُ بعض الهمهمات بين الإخوة الحرس الّذين كانوا عندي، فسألتُهم عمّا جرى، فأخبروني بأنّ قنبلةً قد انفجرت في الوزارة. شعرتُ حينها بالقلق جداً، وسألتُ عمّن كان هناك، فقالوا بأنّ رجائي وباهنر كانا معاً؛ فاشتدّ قلقي، وذهبتُ إلى الهاتف بالرّغم من ضعفي وعجزي الشديدين، وأجريتُ العديد من الاتصالات، لكنّ جميع الأخبار كانت متناقضةً ومقلقة؛ أحدهم يقول بأنّهما بحالٍ جيّدة، والآخر يقول بأنّهما خرجا أحياء، وثالث يقول لم يُعثر على جسديهما، وآخر يقول بأنّهما في المستشفى. وكنتُ أعيش حالةً من الانزعاج والقلق استمرّت حتى أوّل اللّيل؛ حيث اتّضح الأمر لي بعد أن تكلّمتُ مع الشيخ هاشمي أو السيد أحمد الخميني، وعلمتُ بما جرى حينها.

آنذاك، من الطبيعي أن تنتابني مثل تلك المشاعر ؛ فلقد فقدتُ اثنين من أصدقائي الأعـزّاء والقدامى، وعنصرين من النخب الأوّل في الجمهورية الإسلامية، وكنت أشعر بخسارة كبيرة، وبالضياع والحزن من جهة. ومن جهة أخرى؛ كنت أشعرُ بالغضب على من تسبب بوقوع تلك الحادثة. ولذلك؛ وفي صباح اليوم التالي، ومع أنّني كنت متعباً جداً، نهضتُ وركبتُ السيارة، وأتيتُ للمشاركة في تشييع الجنازة في المجلس على الرغم من منع جميع الأطبّاء إيّاي من المشاركة. إلّا أنّني وجدتُ نفسي لا أتحمّل عدم المشاركة في المراسم؛ فأتيتُ إلى القاعة الموجودة أمام المجلس وألقيتُ خطاباً حماسيا، وقد اجتمع حولي الرّفاق كي لا أقع على الأرض من شدّة ما كنت متحمّساً[1]

١. من نص مقابلة أُجريت مع سماحته حول حادثة «٨ يونيو» بتاريخ ١٩٨٢/٨/١٧م.

لم أشأ أن أترشّح

كنتُ أستمعُ إلى آراء النّاس قبل انتخابات رئاسة الجمهورية بشكلٍ دائم، على الرغم من أنني لا أملك الوقت لمتابعة التلفاز كثيراً، لكنني كنتُ أسمع هذه النّقاشات خاصّة. كانوا يجرون مقابلات مع الناس ويسألونهم: «ما هي توقّعاتك من رئيس الجمهورية؟»

ولقد قلتُ سابقاً في صلاة عيد الأضحى، إنني لم أكن أريد الترشّح [لرئاسة الجمهورية] بتاتاً، فأنا رجل دين، وبشهادة أهالي مشهد على الأقل، كنتُ ناجحاً في مجال عملي، بإمكاني تربية الناس والطّلاب، وتوجيههم، ونشر الوعي فيما بينهم، وإلقاء الخطب. وكنتُ أرغب في الاستمرار في عملي كرجل دين، ولم أرغب في المشاركة في هذه الانتخابات حقيقةً، لكن الإمام هو من أوجبها عليّ، وقال لي بشكلٍ صريح بأنّها واجبة ومتعيّنة عليك. و[كما ذكرتُ] قد قلتُ هذا في صلاة عيد الأضحى بعد انتهاء الانتخابات، ولم أقله قبل انتهائها حتى لا يتصوّر أحدٌ بأنّني أستغلّ هذا الأمر في الانتخابات، وتركتُ الأمور تسير في مجراها.

لكن بعد أن انخرطتُ في هذا الأمر، توجّب عليّ معرفة ما الذي يُريده النّاس، وما هي متطلباتهم، فصرتُ أستمع وأُدقّق في كلام النّاس [في مثل هذه المقابلات]، [وكانوا في الإجابة على سؤال] ماذا تتوقّع من رئيس الجمهورية؟ يوضّحون توقعاتهم بشكلٍ تفصيلي، ويشهد الله أنّ جسدي كان يرتجف عندها.

في يوم الانتخابات، كان النّاس يذهبون بحماسٍ وشوق، وكان بعضهم يُمسك بالصّندوق، والبعض الآخر يحملون أطفالهم ويذهبون، بينما الهمّ يُخيّم على صدري منذ صباح ذلك اليوم، واستمرّ لعدّة أيام بعدها؛ حيث يعلم الله أنني كنتُ أفكّر في ذلك الصباح بأنني ماذا سأفعل إذا قام الناس بالتّقدم إلى الصّناديق وانتخابي؟!

[في السابق] عندما كنت أؤمّ صلاة الجماعة في مسجد «كرامت»، كنتُ

أُلقي خطبةً أيضاً ولقد كان الكثير منكم أو بعضكم على الأقل هناك ورأى تلك المجالس. عندما كنتُ أنظرُ أحياناً وأرى المسجد ممتلئاً، والزّقاق والشّارع والنّوافذ تعجّ بالجماهير، كان جسدي يرتجف مراراً. فقد يقول الإنسان كلمةً عن هوى نفسه، أو يُخطىء في كلمةٍ ما، أو يقول كلاماً غير موزون. وكنت أقول يا إلهي! أنا لا أستطيع مواجهة هؤلاء الناس يوم القيامة، فماذا سأفعل بهذه الجموع؟ ليته لم يحضر صلاة الجماعة معي أكثر من عشرة أشخاص! ليت الّذين يحضرون خطبتي لا يتجاوز عددهم العشرين شخصاً! فما بالي بكل هؤلاء الناس! والآن أنا الّذي كان جسدي يرتجف من مسجد «كرامت» المكتظّ بالناس، ماذا سأفعل بشعب إيران كافّة؟! في يوم الجمعة، كنت أشعر بحزنٍ خيّم على صدري. أنا لا أستطيع نسيان تلك الكلمات الّتي كان الناس يقولونها على شاشات التلفاز في ذلك اليوم؛ بل قبله وبعده أيضاً، فالناس يتوقعون الكثير من الأمور [من رئيس الجمهورية]؛ يتوقّعون الإصلاح في العمل الإداري، والتوزيع، والاستيراد، والإنتاج، والأعمال الاقتصاديّة المختلفة، والأعمال الثّقافية، ونشر العناصر الموالين لحزب الله، وطرد الانتهازيين الخبثاء[1].

لا تُتعبوا أنفسكم عبثاً، لا يمكن القيام بهذا العمل!

إنني أذكرُ السّنوات الأولى من العقد ٨٠ م جيدًا. كنتُ رئيس الجمهورية آنذاك، وكان هناك محطة إنتاج غاز غير مكتملة في إيران، كنتُ أُصرّ وأقول بأنه علينا إكمال [بناء] هذه المحطة بأنفسنا. يومها، جاء بعض المسؤولين إليّ وقالوا لي: «يا سيد! لا تتعبوا أنفسكم، ولا تحاولوا عبثاً، فلا يمكن القيام بمثل هذا العمل». فكانوا يُحاولون إقناعي بأننا نعجز عن إكمالها بأنفسنا، وأنه علينا الطّلب من الشركة التي أنشأتها أو أيّ شركة أخرى في العالم أن تستلم عملية إكمالها. وقد كان ذلك خلال مرحلة الحرب؛ حيث الضغوطات الكثيرة، والعقوبات الصّعبة.

---

١. من خطابه في لقائه بالتّجار في مشهد بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢م.

[لكن] اليوم أنتم أيها الشباب والناشطون والمدراء الجهاديون المميّزون في هذا البلد، استطعتُم أن تصلوا إلى مرتبة عالية في إنشاء محطات الغاز وتحصلوا على المرتبة السادسة عالميا. فهناك شركة في أمريكا، وأخرى في ألمانيا، وثالثة في فرنسا، ورابعة في إيطاليا، وخامسة في اليابان، وأنتم حصدتم المرتبة السادسة في العالم، وها أنتم تُنشؤون محطات إنتاج الغاز[1].

ظننتُه ابن مصطفى اسماعيل

لديّ ذكرى عن الشّيخ راغب مصطفى [غلوش]، ومن الظّريف أن أذكرها لكم. في العام ٦٧م أو ٦٨م، كنتُ أبحثُ كثيراً في مشهد عن تلاوة الشّيخ مصطفى اسماعيل في إذاعات الرّاديو العربية، وخصوصاً إذاعة مصر، علّني أجدُ تلاوته [للقرآن]. ولم تكن أشرطتُه متواجدة في السّوق؛ كما لم تكن هناك إذاعة قرآن في إيران؛ لهذا كنّا مجبرين على الاستماع للإذاعات الأجنبية؛ حيث كنت أعشق تلاوة الشيخ مصطفى اسماعيل.

و كان لديّ رفيق آنذاك، يُدعى السيد جعفر رحمه الله، وقد يعرفه بعض الأصدقاء، كان يجلس معي عند المذياع ونستمع معاً إلى قراءة الشيخ مصطفى. في أحد الأيام رآني وقال: «اليوم وجدتُ صوت ابن الشّيخ مصطفى اسماعيل على إذاعة مصر!»، فسألتُه: «ومن أين عرفت أنّه ابنه؟» قال: «اسمه راغب مصطفى وهو ابن الشّيخ مصطفى اسماعيل!»، ولم يكن يعرف أنّ كنيته هي غلوش. وكان صديقي قد سجّل صوت ابن مصطفى اسماعيل، وعندما استمعتُ إليه أيّدت كلامه وقلتُ من المرجّح أن يكون ابن الشّيخ مصطفى اسماعيل؛ لأنّ صوته يشبه صوت الشيخ مصطفى بالفعل! وكان يتلو تلك الآيات المعروفة: «واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب»[2].

---

١. من خطابه خلال لقاء العمّال في مجموعة «مبنا» الصناعية بتاريخ ٢٠١٤/٤/٣٠م.

٢. من خطابه خلال اللقاء بالشيخ راغب مصطفى غلوش والشيخ محمد البسيوني بتاريخ ١٩٩٠/٢/٩م.

لم أُدركه للأسف الشديد

لقد نقلتُم قصّة منقولة عن المرحوم السيد فاضل عن الإمام ﷺ، وأنا أيضاً لديّ واحدة سأرويها لكم. في أحد الأيّام سألتُه [سماحة الإمام]: هل أدركت درس المرحوم الحاج ميرزا جواد؟؟ فقال: «كلا؛ للأسف الشديد أنني لم أُدركه». طبعا؛ ذُكر في بعض الكتب بأنّ الإمام كان من تلاميذ ميرزا السيد جواد، وهذا خلاف الحقيقة، فهو لم يكن من تلاميذه بالتأكيد. ولقد قال بأنّ المرحوم الشّيخ محمد علي الأراكي قد اصطحبه لجلستين من دروسه، والتي كانت تُقام في ليالي الجمعة؛ لكنها لم تُعجبه؛ حيث إنّ أذهانهم في ذلك الحين كانت مليئة بهذه الكلمات؛ أي العرفان النظري. لكن الإمام يتحسّر بعد أن تجاوز الثمانين عاماً لأنه لم يُشارك في درس الميرزا جواد؛ مع أنّه كان تلميذاً ومريداً وعاشقاً للمرحوم الشّاه آبادي[1].

وجهه يسطع كالقمر

لقد ساد في مرحلة الدّفاع المقدس أن يُقال بأنّ فلاناً يسطع منه النّور؛ أي أنه سيستشهد قريباً. ولقد رأيتُ نورانية حضور التّعبويين بنفسي عدّة مرات، وهناك ذكرى مرتبطة بمحافظتكم، من الجيّد أن أذكرها لكم. كان هناك رائد يُدعى الرائد رستمي، عرفنا لاحقاً أنّه من أهالي «آشخانه»، انضمّ إلى التعبويين برغبته الشّخصية، وكان عنصراً في كتيبة الشهيد شمران، وكنت أراه يتردد إلى الكتيبة باستمرار.

في إحدى الليالي، كنت جالساً مع المرحوم شمران، وكنّا نتكلّم حول بعض الأمور المرتبطة بالجبهة وأعمال اليوم التالي؛ فدخل الشهيد رستمي هذا، وكان قد مضى عدّة أيام دون أن أراه فيها؛ حيث كان في منطقة العمليات، وأنجز العديد من الأمور، وجاء [إلى الشهيد شمران] حتّى يقدّم تقريراً. كان ملطّخاً

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء مجمع الحكمة الإسلامية العالي بتاريخ ٢٠١٣/٢/١١م.

بالطين من رأسه إلى أخمص قدميه؛ حذاؤه متّسخ، وثيابه كذلك، ووجهه متعب، ولحيته كثّة. لكن عندما نظرتُ إلى وجهه، كان نورانياً يسطع مثل القمر، ولم يسبق لي أن رأيتُه بمثل هذه الحال، ثم استشهد بعدها. لقد كان عسكرياً، لكنه دخل الميدان مع التعبويين، وكان يمارس أنشطته، ويجاهد، ويُقدّم العديد من التّضحيات مع التعبويين في مجموعة الشهيد شمران، ثم نال الشهادة.

الكثيرون رأوا هذه النّورانية، وقد رأيتُها أنا أيضاً، ورآها آخرون أكثر منّا. وهذا ناشىء من الحضور القويّ[1].

إطلاق قذائف المدفعية بواسطة الميرزا جواد الطهراني

في بعض الأحيان، يكون لرجل الدّين المتقدّم في العمر والعجوز تأثير أكبر من رجل الدّين الشاب. إنّ السيد ميرزا جواد الطهراني هو أحد علماء مشهد المحترمين، ومتقدّم في العمر، ومعروف عند العديد من السادة، وهو عجوز محنيّ الظهر يتوكّأ على العصا؛ لكنّه ذهب عدّة مرات إلى الجبهة.

في إحدى المرّات عندما عاد من الجبهة، أتى إلى طهران قبل الذهاب إلى مشهد، والتقيتُ به عند الإمام؟ضو؟. قال لي آنذاك: «عندما ذهبتُ إلى الجبهة، رأيت الشّباب ينظرون إليّ كرجلٍ عجوز، لكنني قلتُ لهم بإمكاني القيام بالكثير من الأعمال، فطلبوا مني تلقيم المدفعية». جلس السيد ميرزا جواد خلف المدفعية، وكان يضع القذائف داخلها ويُطلقها باتّجاه العدو لتُصيب الأهداف المحددة. فكان رامي مدفعية، وكم يترك هذا الأمر أثراً في نفوس الشّباب ويمدّهم بالقوة!

فعندما يرى الشاب هذا الرجل العجوز البالغ من العمر ثمانين عاماً بلحيته البيضاء، وظهره الحاني، جاء ووقف خلف المدفعية يتوكّأ على العصا، لا يمكنه أن يتراجع أمام العدو ويشعر بالضعف أو الوهن. وإن من كان في الجبهة يعلم

١. من خطابه خلال لقاءه بالتعبويين في خراسان الشمالية بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٥م.

أنّ للمدفعية صوتاً عالياً، ومن يعمل عليها، عادةً يُرجع رأسه إلى الخلف ويضع يديه على أذنيه؛ لكنّ الميرزا كان يقول: عندما كنت أضع القذيفة، كنتُ أصرخ الله أكبر حتى لا أسمع صوت المدفعية أثناء إطلاق القذيفة. تخيّلوا كيف سيكون المشهد: عالمٌ عجوز يقف خلف المدفعية، يُطلق القذائف ويهتف «الله أكبر» باستمرار![1]

برلمان واجتماعان في السّنة

أثناء زيارتي لأحد البلدان الاشتراكية، كان أحد مرافقينا نائباً في مجلس الشورى الإسلامي، وكان قد تحدّث حول بعض الأمور المتعلّقة بالبرلمان مع نائب مجلس ذلك البلد الاشتراكي؛ حيث أخبرهم عن البرلمان في إيران، وحصل على معلومات منهم حول مجلسهم. وبينما كنا جالسين نتكلم حول موضوعٍ ما، جاء بشكلٍ جديّ وقال: «لقد تعلّمنا أموراً مهمة من هؤلاء السادة، فعندما كنّا نتكلم معهم حول البرلمان، سألناهم عن برلمانهم، وعدد الأعضاء فيه، ومدة انعقاده وآلية انتخاب الرئيس فيه؛ فتبيّن أنّ أعضاء برلمانهم الوطنيّ تابعين للأجهزة والمنظمات الحزبية التّابعة للحكومة نفسها»؛ أي على سبيل المثال؛ يتم انتخاب خمسمائة شخص أو ستمائة شخص بعنوان أعضاء وممثلي لجان عبر المنظمات الحزبية، وهؤلاء الزّمرة الّذين يُطلقون على اجتماعهم برلماناً وطنياً يجتمعون مرّتين سنوياً! فبرأيكم من سيسنّ القوانين في البلد الّذي يتم فيه عقد اجتماعين في السنة فقط لهذا الهدف؟ ومن هو الذي يختار القوانين؟ إنّ من يترأسون التنظيمات الحكومية هم من يسنّون القوانين، لكن لو سألتم عن حكومتهم فسيقولون: إنها حكومة ديموقراطية اشتراكية؛ أي حكومة شعبية. اسمها شعبية والحال أنّ الناس لا يتدخّلون بتاتاً في أمور البلد على الرغم من أنهم هم مَن أوصلوا الثورة إلى الانتصار. كما يُطلق على هذه البلدان اسم البلدان الثورية، وإنّ جميع الثورات الّتي رأيناها في العالم والبلدان

١. من خطابه في ١٩٨٧/١١/٧م.

التي أسست أنظمتها على أساس الثورة، تُدار على هذا النحو الّذي أخبرتكم به تقريباً[1].

رغبة ذاتية

إنّ أُنسي بتبريز وآذربيجان وحبّي لهما هو أمر ذاتيّ. قبل الثورة، سافرتُ إلى تبريز مرّتين، زرتُ فيها «خامنه» و«شبستر». وبعد الثورة سافرتُ إلى هناك عدّة مرات، وزرت «خامنة» و«شبستر» ثانيةً. ورأيتُ تلك الأماكن عن قرب، ووجدتُ أهالي تبريز مختلفين عن أهالي بقيّة المناطق، فخلال سفري الأوّل إلى تبريز بعد الثورة، وبعد عودتي إلى طهران، أخبرتُ الإمام أنّ أهالي هذه المنطقة يختلفون عن جميع المناطق. وعلى الرغم من أن الناس كانوا يظهِرون محبتهم للثّورة في كل مكان كنّا نزوره؛ لكن كانت أوضاع تبريز مختلفة عن غيرها[2].

فيك عيب واحد فقط

أحد القادة المسلمين الواعين الّذين رأيتُهم طيلة عملي السّياسي هو «سكوتره»، فقد كان شخصاً واعياً جداً ومثقّفاً. وفي أسفاره العديدة إلى طهران، واللقاءات التي حصلت أبدى إعجابه الشّديد بالثورة. ومع أنه كان ضعيفاً ولم ينجح في الانطلاق في الطريق الّذي رسمه، ولم يوصل «غينيا كوناكري» إلى حيثما يُريد ويُفكر، فقد قطع الاستكبار عليه الطريق وحاصره بشتّى الطرق؛ لكنّه كان إنساناً سوياً وناجحاً ويفهم الأمور بشكلٍ صحيح. كان يُحبّ هذه الثورة والإمام من أعماق قلبه بالفعل.

خلال لقاءاتي به كان كلامه واعياً ودقيقاً بالفعل، وقد كان مختلفاً عن كلام الكثيرين من الناس الذين كنتُ أسمعهم. فخلال هذه السّنوات العشر،

---

١. من خطابه في صلاة جمعة طهران بتاريخ ١٩٩٠/٢/٩م.

٢. من خطابه خلال الاجتماع الأخير في زيارته للمناطق المتضررة من الزلزال في آذربيجان الشرقية بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٦م.

التقيتُ بالعديدين، وتحدّثتُ مع الكثيرين، وسمعتُ الكثير من الكلام، ورأيتُ أنّ هناك قسم من الناس يتفوّهون بأمور لا تتجاوز ألسنتهم على خلاف القسم الآخر، وهذه الحقيقة يمكن تشخيصها، وما لاحظتُه فيه [أي سكوتره] أنّه كان صادقاً في كلامه. إحدى المرات قال لي: «فيك عيبٌ واحد وهو أنّك تتكلّم حول جميع الأعمال وتطرحها. بينما لا يمكن الكلام عن كل شيء، وما الداعي لذلك؟ لماذا تقول كل شيء؟». ربّما في العام الأول لرئاستي عندما سمعتُ هذا الكلام منه، لم أتقبّله أبداً، كنتُ أقول في قرارة نفسي؛ هذه الدنيا ليست كما يتصوّر هو، فعندما أقول شيئاً أُبيّنه للعالم، وعندما أُخفيه أو أسكت عنه لن يعلم العالم به، ولن يتسبب كلامي بمشكلة، لكن التّجربة أثبتت لي لاحقاً أنه كان ناضجاً ويعي ما يقوله.

والآن أنا أتبنّى رأيه هذا، فبعض الإخوة يظنّون أنهم لوحدهم ويتفوّهون بأمور وأهدافٍ وآمالٍ يستغلّها الأعداء، كما كنتُ أفعل في السابق؛ لكن عليكم أن تحذروا من إعطاء الأعداء الذّرائع [التي قد يستغلها] .. وإنّ وزارة الخارجية، والعاملين في السياسة الخارجية، والمجلس، وباقي مناصب الحكومة، وبعض أئمة الجمعة يقعون في الدرجة الأولى من الأهمية. إذاً؛ مسألة «التقية» أمر مهم جداً يجب الالتفات لها في السياسة الخارجية[1].

الإضافات الضّارة في العزاء

كان لدينا خطيب في مشهد يُدعى حاجي ركن، وكنّا نُناديه بالسّيد ركن، وقد تُوفي منذ ما يقارب الأربعين عاماً أو أكثر. لقد كان رجلاً عجوزاً يكسو البياض لحيته، وخطيباً بارعاً يُلقي كلاماً جذاباً. كان يرتقي المنبر ويقرأ العزاء بحيث يترك أثراً كبيراً يقلب المجلس رأساً على عقب؛ على الرغم من أنه وعلى حدّ تعبيره يقول: «تعساً لي إذا ذكرت الرمح والسيف والخنجر»، فلم يكن يأتي على ذكر

١. من خطابه خلال اللقاء مع المسؤولين والعمال بتاريخ ١٩٩٠/١/٢٩م.

أيّ من هذه الأمور المتعارف عليها بتاتاً، وكان يكتفي بتصوير الواقعة، تصويراً فنياً. لقد كان فناناً بالغريزة وبالذات، فناناً حقيقيًا. إن معرفة مثل هؤلاء الفنانين وتربيتهم هو أمر على قدرٍ عالٍ من الأهمية، فإذا استطعنا أن نرى القضية بعين الفنان، وأن نُبيّنها ونصوّرها بلسانه، فلن يحتاج أحدنا إلى الإضافات المضرّة والتي تُعد من قبيل التّلوين غير الضّروري.

هذا الأمر نفسه ينطبق على الشّهداء، ولحسن الحظ أننا قريبون من عهدهم؛ حيث رأينا وصاياهم، وغالبية آبائهم وأمهاتهم لا يزالون أحياء وزملاؤهم أيضاً، ويمكن للإنسان اللقاء بهم. لقد كنتُ أقرأ كتاب أحد هؤلاء الشهداء، والذي أُجريت فيه مقابلات مع أصدقائه رووا خلالها التفاصيل المتعلقة به وبحياته، وقد استشهد بعضهم لاحقاً؛ وبالفعل إن الإنسان يتأثّر ويبكي عند قراءته! ولا داعي لقراءة العزاء والنّعي معه. هكذا هي مسألة الشهداء، فهي حدث عظيم ومؤلم، ونحن قليلاً ما أولياناها الأمر أهمية[1].

كانوا يخجلون من الاسم الإسلامي

قال لي أحد المسلمين من البلدان الكبيرة الّتي يُمثّل المسلمون فيها أقلية: «قبل الثورة الإسلامية لم نكن نظهر إسلامنا، فوفقاً لثقافة ذلك البلد، فإن الجميع لديهم أسماء محليّة، ومع أنّ العوائل المسلمة تُطلق على أبنائها أسماء إسلامية، لكنها لم تكن تجرؤ على إظهارها ويخجلون من تلفّظها! لكن بعد انتصار الثورة الإسلامية أصبح الناس يُعرّفون عن أنفسهم بأسمائهم الإسلامية بفخر واعتزاز»[2].

رئيس الجمهورية الراهب ولاعب كرة القدم!

إن ثورتنا تقع على عاتق الشّعب بالمعنى الحقيقي للكلمة، وجميعنا نشهد

---

١. من خطابه خلال اللقاء بمسؤولي مؤسسة رواية سيرة الشهداء بتاريخ ٢٠١٠/٧/٥م.

٢. من خطبة صلاة جمعة طهران بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٤م.

على هذه الحقيقة .. وإنّ العلاقة بين الجمهورية الإسلامية وشعبها مختلفة بالكامل عنها في سائر البلدان والحكومات. إنّ شعبيّة المسؤولين رفيعي المستوى في البلاد، ورئيس الجمهورية، والورزاء والآخرين ليست في مشيهم في الأسواق والأزقة، وشراء اللحم والخبز بأنفسهم، ومن الطبيعي أن لا يسمح حبّ الشعب ومراجعتهم لهم وحلّ قضاياهم لمثل هذه الأمور. وإن من لديه مسؤولية هامّة عليه أن يُخصص كل دقيقة من وقته لأجلها. لا معنى لمؤاخذته لغيابه عن الجلوس في المسجد لساعات متمادية ليراجعه الناس هناك! هذا ليس منطقياً، وليس هذا مظهر العلاقة بين الناس والمسؤولين.

لقد رأيتُ بعض الاستغلاليين والانتهازيين الّذين حاولوا استغلال جميع الفرص منذ بداية الثورة حتى يومنا كي يخترعوا انتقاصاً ينتقصون به مسؤولي الجمهورية الإسلامية، ومنذ مدة طرحوا فكرة أنّ رئيس جمهورية السويد يذهب لشراء الخضراوات على الدّراجة. أيها الجاهل! الملك الّذي لا مسؤولية لديه يستطيع أن يُمضي ساعات من وقته في لعب كرة القدم، أو مشاهدة المسرحية الفلانية، أو باقي الأمور الترفيهية.

لقد ذهبتُ إلى بلدٍ رئيس جمهوريته شكليّ، ورئيس الوزراء فيه هو المسؤول عن جميع الأعمال، وهو يترأس الحكومة والبلد، وقد شارك رئيس الجمهورية في استقبالي من أجل المراسم، ثم بقي لدقائق في الاجتماع وذهب ولم يعُد، وتناقش معي رئيس وزراء ذلك البلد وتبادلنا الآراء وتفاوضنا فيما بيننا. لقد كان رئيس الجمهورية ذاك راهباً، وخلال تلك الدقائق القليلة التي أمضيتها معه سألته: «هل تذهب إلى الكنيسة أيضاً لأنك راهب؟ وهل تؤدّي مراسم دينية إضافة إلى رئاسة الجمهورية؟»، قال: «لا؛ أنا ليس لدي الوقت للذّهاب إلى الكنيسة! أذهب إلى هناك مرّة في الأسبوع أو كل عدة أسابيع!»، ثم قال: «أنا أمارس الرياضة أيضاً، وأنا لاعب كرة قدم»، فقد كان لديه فريق كرة قدم، سألتُه: «هل لديك الوقت لذلك؟»، قال: «نعم؛ أنا ألعبُ كرة القدم كل يوم!»؛ أي أنه

كان راهباً لا يملك الوقت للذّهاب إلى الكنيسة لكنه يلعب كرة القدم كل يوم!

رئيس الجمهورية الّذي لا عمل له في الدولة، يستطيع أن يمضي ساعات من وقته في لعب كرة القدم، والمشاركة في كارنفال البندقية[1] وصيد السمك عند النهر الفلاني، وجميع هذه لا تدلّ على الشعبية[2].

كنتُ المخالف الوحيد

في العام الماضي (١٩٧٩م) اقترح الحرس على الإمام أن يُصدر حكماً بالجهاد، وقدّموا اقتراحاً مكتوباً لمجلس صيانة الدستور، وطلبوا فيه إصدار حكمٍ خطيّ بالجهاد، والسماح بتقدم جميع الأفراد من السادسة عشرة أو الثامنة عشرة عاماً إلى الأربعين عاماً، للمشاركة في الحرب والخضوع للتدريبات اللازمة لتجهيز ١٥٠٠ كتيبة. وفي جلسة مجلس صيانة الدستور، كنتُ الوحيد المخالف لهذه الفكرة، وكان لديّ أدلتي طبعاً. وقد كان أخونا العزيز الشّيخ هاشمي مدافعاً عنها بالكامل. وعلى الرّغم من التّقارب الشديد في آرائنا لكن قد يحصل بعض الاختلافات فيما بيننا. وكان يعتقد هو أنه أمرٌ جيد بالكامل، وقال إنّ هذا ما تعنيه قيادة الإمام، وهنا يتمثل دور القائد، فليُرينا الإمام معجزته. بينما كان سبب مخاوفي من صدور حكم الجهاد هو أن نعجز عن الاستقطاب والتّصدي للأمر بحيث يبطل ذلك الحكم، فقلتُ آنذاك: نحن جالسون في مجلس صيانة الدستور نُحدّد وظيفة الإمام بدلاً منه، أنا أقول لا يجب أن يصدر هذا الحكم، وأنت تقول يجب أن يصدر؛ بينما الإمام موجودٌ وحيٌّ بنفسه، لنذهب إليه ونسأله عمّا تقتضيه المصلحة، وسيوافق الجميع عليها. تقرّر عندها أن نذهب أنا والشيخ هاشمي إلى لقاء الإمام، [وهكذا فعلنا]. وقال لنا إنه لن يُصدر حكماً بالجهاد، ودعانا لأن لا نُفكر به بتاتاً؛ فهو يرى قضية الجهاد العام على جانبٍ كبير من الأهمية، ولم

---

١. «Bal masque» احتفال تنكريّ شعبيّ إيطالي - المترجم.

٢. من خطابه خلال لقاء أئمة الجمعة في إيران بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٨م.

يرَ المصلحة في إعلانه آنذاك؛ بل طلب منّا نحن أن نُقدم بأنفسنا، ولهذا قمنا بجولات في المدن أنا والشيخ هاشمي والإخوة الآخرين، وقد أتت بثمارها، وكان حضور الناس جيداً جداً والحمد الله[1].

كيف صدر منك هذا العمل؟

في إحدى المرات، جاء بعض السادة الأدباء إلى هنا؛ وقد رويتُ لهم الذكرى التالية: «لقد رأيتُ كبير أساتذة وفناني الجبهة المقابلة يقع على قدم الشاه ويُقبّل حذاءه!»، وما أقصده من كلمة «رأيتُه» ليس رؤيتي بالعين؛ بل أعني أنّ ذلك حصل في زماننا وعلى مسمعٍ ومرأى منّا.

ففي إحدى المناسبات، كان أساتذة ورؤساء الجامعة آنذاك، يقفون في طابور لإلقاء التحية؛ حيث قام ذلك الشخص على الرغم من جميع إنجازاته، وشهرته، وأبحاثه وكتبه .. بالوقوع على قدم الشّاه. بعد مدةٍ من تلك الفضيحة، سألتُه يوماً: «يا أستاذ! كيف صدر منك مثل هذا العمل؟! من هو هذا الرجل الأمّي كي تقع أنت عند قدميه؟!»، فأجاب: «لقد أخذتني هيبة السلطنة!»، وكان هذا عذره!

قلتُ يومها لأولئك الرّجال الأدباء: «هذا هو رئيس أفراد الجبهة المقابلة. هل تُريدون منّي أنا عاشق الثورة أن أحترم وأُعطي قيمة لشخص يقع على الأرض بهذا الشّكل مقابل ذلك الصنم؟ وأي صنم؟! صنم دمّرناه بأيدينا! طبعاً لا يمكنني ذلك». إنّ الفنّانين في جبهتنا، والّذين كانوا يخافون من عناصر الجبهة المقابلة، لم يكونوا يعرفون من هؤلاء في الغالب وما الّذي يفعلونه. لم يكونوا يعرفون أنهم أولئك الأشخاص أنفسهم الّذين يتملّقون للحصول على المال لأجل الّذهاب إلى الملهى الفلاني وشرب الخمر حتى الساعة الثانية ليلاً![2]

---

١. خلال جلسة حوارية مع قادة جيش المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بتاريخ ١٩٨٨/٨/٥م.

٢. من خطابه خلال لقاء الفنانين والمسؤولين الثقافيين بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٣م.

دموع الإمام

إنّ معنوية الإمام، وصفاءه الباطنيّ، وعلاقته واتصاله بالله، ودموعه في منتصف الليل، هي أحد أسباب التأثير المذهل الذي تتركه كلمة واحدة من كلامه وخطاباته العامة؛ سواء في الشدائد أو المحن، وفي جميع الحالات. لقد كان ابن الإمام - المرحوم الحاج السيد أحمد - يقول في ذلك الحين أثناء حياة الإمام: «عندما كان الإمام يقوم في منتصف الليل، لم تكن هذه المناديل العادية تكفي لمسح دموعه من شدة البكاء؛ وكان يضطر لمسح دموعه بالمنشفة. إلى هذه الدرجة كانت دموعه تنهمر!». ذلك الرجل الفولاذي! ذلك الرجل الّذي تتدفّق عليه حوادث ومشاكل تزلزل أمّة ولا تؤثّر فيه! ذلك الرجل الّذي كانت عظمة العالم وهيمنة القوى العالمية لا شيء بالنسبة له! ذلك الرجل هكذا تنحدر دموعه عند الدعاء والاستغاثة في محضر العظمة الإلهية![1]

انقلبت حالتي

في أحد الأيام وبينما كنتُ ذاهباً لاستطلاع نقطة استطاعت قواتنا استردادها والسيطرة عليها في الجبهة بعد أن كان العدو قد سيطر عليها سابقاً؛ حيث كنتُ أتفقّد تلك الخطوط، والوحدات، والدّشم وشبابنا الأعزّاء المجاهدين، فجأة رأيتُ اثنين من الإخوة المرافقين لنا قادمَين مسرعين، والعرَق يتصبّب منهما، وكانا منزعجين وقلقين بحيث فصلاني عن المجموعة التي كانت تُقدّم تقريراً لي، ليخبراني بأمرٍ هام. وعندما سألتُهما عن سبب انزعاجهما، قالا: «بينما كنا نتجوّل في هذه المنطقة وقع نظرنا على جسد شهيد قد بقي هنا تحت الشمس». انقلبت حالتي، وطلبتُ من الإخوة المسؤولين في ذلك الخط وفي تلك المنطقة أن يُتابعوا هذه المسألة سريعاً، ويحضروا جسد هذا الشهيد، وكذلك أجساد باقي الشهداء التي من الممكن أن تكون قد بقيت. لكن في تلك الحال قلتُ في

---

١. من خطابه خلال لقاء الطلاب الأجانب في حوزة قم العلمية بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٢٥م.

قرارة نفسي روحي فداء لجسدك الممزق يا أبا عبدالله! في مثل هذه الحالات يُدرك الإنسان صعوبة ما عاشتُه السيدة زينب الكبرى عندما ألقت نفسها على جسد أخيها العاري ونادت بذلك الصوت الحزين وذلك اللحن الأجش، وانتشرت كلماتها في الفضاء وعبر التاريخ «بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى..»[1].

كان يكتم ألمه

أنا أعرفُ عناصر مميزين في الحرس كانوا ولازالوا قادرين على بناء أنفسهم والآخريـن، وفي هذا الصدد من الجيد أن أتحدّث عن أخي العزيز الشهيد «محمود كاوه». تعود معرفتي بالشهيد محمود منذ صغره، فقد كان والده من مرتادي مسجد الإمام الحسن الملازمين له بشكلٍ دائم، وكنتُ أُلقي الخطب وأصلّي هناك، وأراه يُمسك بيد ابنه الوحيد هذا ويُحضره معه. وقد يعرف الإخوة المشهديون أيضاً والده؛ فقد كان رجلاً حماسياً وشجاعاً منذ ذلك الحين، وفي بعض الأحيان كان ينطق بكلمات حادّة لا يجرؤ أحد على التفوّه بها في جوّ الاختناق ذاك.

لقد تربّى ذلك الفتى في مثل هذه البيئة الحماسية والفكرية، وكانت المواضيع المطروحة في مسجد الإمام الحسن عليه السلام غذاءه الفكري منذ حداثة سنّه. فعندما كان يأتي لربما كان في الثانية عشرة أو أكثر، لا أذكر ذلك بشكلٍ دقيق. وكان من الأشخاص المميزين، ومن أهل بناء النفس من الناحية المعنوية والأخلاقية والتقوى بالفعل، وأيضاً من النّاحية العسكرية.

في إحدى العمليات الأخيرة جُرحت يده، فجاء إلى مشهد وبقي في المستشفى لمدّة قليلة على ما يبدو [لتلقي العلاج]، ثم عاد ثانية إلى الجبهة. جاء لزيارتي في طهران آنذاك، فرأيتُ أنّ يده قد تورمت - وأنا لديّ حساسية خاصة تجاه من

---

١. من خطبة صلاة الجمعة بتاريخ ١٩٨٨/٨/٢٦م.

تُصاب يده، فأُبادر على الفور بسؤاله عنها - لهذا سألته هل تؤلمك يدك؟ فقال لا. لكنني عرفتُ فيما بعد من الإخوة المشهديين الموجودين بأنّها كانت تؤلمه كثيراً، لكنّه يكتم الألم ولا يأتي على ذكره، عملاً باستحباب كتمان الألم عن الآخرين، وقد كان لديه مثل هذه الحالة في تربية نفسه.

لقد كان قائداً ممتازاً من النّاحية الإدارية أيضاً؛ حيث كانت وحدته هي لواء الشّهداء الخاص - وقد أصبح اليوم فرقة -، كانت وحدة جيّدة ومعروفة على أنها من الوحدات الفاعلة. شارك [الشهيد محمود كاوه] في العديد من العمليات المختلفة، وأصبح خبيراً في ميدان الحرب، ولقد تميّز في التنظيم الإداري، والإدارة القوية، وتكوين علاقات صداقة قوية مع عناصر الكتيبة؛ وكذلك الأمر من الناحية المعنوية والأخلاقية والأدب والتربية والالتفات والذكر. لقد كان شاباً مميزاً بالفعل[1].

إنني أخجل يا إمامي العزيز..

قبل بضعة أيام، سافرتُ إلى همدان وألقيتُ خطبة هناك، وبعد الخطاب، سلّموني رسالة من إحدى السّيدات، وسأقرأ عليكم بعض المقاطع منها؛ فهذه [الرسالة وأمثالها] نماذج لطيفة جداً واستثنائية في التاريخ. طبعاً؛ ولحسن الحظ فإنّ أمثال هذه الأمور ليست استثنائية في زمننا هذا؛ لكنها استثنائية فعلاً في التاريخ.

في هذه الرسّالة، أظهرت المُرسِلة مودّتها الكبيرة للإمام والمسؤولين، وكتبت أنّ زوجها وأبناءها في الجبهة وسيبقون هناك؛ وبيّنَت خجلها لعجزها عن المشاركة في الجبهة بنفسها. ثم كتبت بأنّ لديها خاتمين هما كل ما تملكه من زينة، ومبلغاً من المال جمعته خلال شهور أرادت شراء ملابس شتوية به لأبنائها، لكنّها خجلت لأنّ إمامها العزيز يُنفق على خمسين مجاهداً في ثلاثة

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء حرس مقاطعة خراسان بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٨م.

شهور، فعليها أيضاً أن تُنفق هذه الأموال من أجل المجاهدين، وهي كل ما تملكه. ثم أبدت خجلها ثانية لأنّ ما تُنفقه قليل وزهيد، وأنها ترغب بالحضور بنفسها في ميدان الحرب. وبعد أنهت رسالتها، كتبت ابنتها في الخاتمة بأنها عندما رأت أمها تُقدّم للمجاهدين هذين الخاتمين واللذين كانت بحاجة إليهما من أجل ملابس إخوتها الشتوية، لم تستطع تمالك نفسها، وقرّرت تقديم خاتمها الّذي اشترته بالقليل من المال جمعته خلال مدة طويلة. فقد قدّمت هذه الأم وابنتها، واللّتين يبدو من كلامهما أنّهما متوسطتا الحال من الناحية المادّية، بعض المال وعدة خواتم في سبيل الله.

وهناك رسالة أخرى من شخصٍ استشهد ولداه في الجبهة، وكان قد ادّخر له عشرة آلاف تومان، فوضع المال في الحساب البنكي وأرسل لنا صكاً به. ونماذج كثيرة من هذا القبيل، جميعها تدلّ على إيمان شعبنا وإخلاصه. ونحن نضع كلّ آمالنا في هذه الحركة الجديدة الّتي بدأها شعبنا العزيز، ونعلم أنّ مشاكل المجتمع الكبيرة ستُحلّ بهذه الهمم العالية[1].

رافقني ولم يتركني

في اليوم نفسه الّذي حصلت فيه حادثة الانفجار، كان الشهيد عباس بابائي يُرافقني، وفي البداية كنتُ في منزل الإمام، فانتظر خروجي من عند الإمام، ورافقني في السيارة بينما كنتُ متّجهاً لأداء الصلاة في ذلك المسجد قُبيل الظهر أو عند الظهر. وأثناء الطريق تكلّم بما عنده وأبدى آراءه المشفقة على مصلحة الثورة، وكانت كلماته حماسية، ثم دخل معي إلى المسجد، وربّما بقي هناك قبل وبعد الحادثة. لم يكن [الشهيد بابائي] يترك المسؤولين في جميع الحالات وفي كلّ اللحظات، من أجل أن يتمكّن من تطبيق ذلك الفكر الإسلامي والثوري في بيئته العسكرية. وكان هو أيضاً إنساناً ثورياً من الناحية العملية، ومؤمناً،

١. من خطبة صلاة الجمعة بتاريخ ١٩٨٧/١١/٢٠م.

وتقياً، وطاهراً؛ حيث عاش حياته على هذا النحو، وفي النّهاية حصل على أجره المعنوي الكبير؛ أي الشهادة في سبيل الله، والّتي هي أكبر جزاء للمجاهدين في سبيل الله، وانتقل إلى جوار رحمة الله.

نأمل أن يحشره الله تعالى مع أوليائه، وأن يحفظ جميع المتبقّين والأصدقاء والزّملاء وكل من كان معه في جميع مراحل حياته، ويوجّه حركتنا في الاتجاه نفسه الّذي سار به هذا العزيز وأمثاله[1].

لم تتقدّم القوات المعادية من شدّة الخوف

إنّ أحد الإمدادات الإلهية في حرب الرّسول الأكرم ﷺ هي تقليل قوّة الأعداء في نظر مجاهدي الإسلام، وقد ورد ذلك في القرآن في الآية التالية «إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم»[2]. فكما تعلمون، تُعدّ الرّوح المعنويُة من أهم عناصر القتال، ولن يكون هناك فائدة لكثرة العدد في غياب المعنويات، ولقد لمستُ هذا الأمر خلال الحرب.

ففي إحدى المرات، لم يكن لدينا في غربيّ الأهواز سوى لواء واحد لمواجهة فرقتين عراقيتين، وهو لواء لا تصل قدراته إلى الكتيبة الواحدة! ومع هذا لم يجرؤ العراقيون على التّقدم خوفاً منه. حيث تقدّم العراقيون ٢٠ كيلومتراً في الأهواز تقريباً، وتوقّفوا خوفًا من لواءٍ متموضع في الدشم التي حفرها. عندما كنا نذهب ونرى هذا اللواء، كنّا نشعر بالحزن عليه، فقد كان ضعيفاً بالفعل ولا يمتلك سوى بعض الدبابات، وهذا الأمر يُثير تعجب السامع. نعم؛ لقد كان لواءً ضعيفاً من حيث العتاد والعديد؛ خاصّة العتاد المدرّع بشكلٍ أساسي.

ولقد كانت منطقة «دب حردان» المعروفة - والتي لا بدّ أنكم سمعتم باسمها، وقد سيطر المجاهدون عليها فيما بعد - مركز العراقيين، وقد انتشرت

---

١. من خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٣م.

٢. سورة الأنفال، الآية ٤٤.

هناك فرقتان ونصف منهم، لكنهم لم يتقدموا خوفاً من ذلك اللواء والذي يفصلهم عنه كيلومتران أو ثلاثة.

فقد تراءى لهم عددنا كبيراً، في حين أنّ قواتنا وشبابنا كانوا ضمن فِرَق صغيرة تتألف من خمسين أو ستين مقاتلاً قد يكونون من القوات المتطوّعة، أو الحرس، أو الجيش، أو خليطاً من الثلاثة أحياناً. وهم يقتحمون صفوف العدوّ، ويستهدفونه، ويُدمّرون الدّبابات، ثم يعودون؛ لأنهم يرون العدو قليلاً وضئيلًا وضعيفاً، فيتجرّؤون على اقتحامه.

وإن هذه الأمور التي رأيتُها ولمستها هي مدد غيبيّ، ولطف إلهي، وأنا أعتبره نابعاً من إخلاص قوّاتنا. وقد ذكرتُ آنذاك في صلاة الجمعة أولئك الّذين يعملون بإخلاص، ويتوجّهون إلى الله في الدّشم وبالقرب من الدّبابات، إن هؤلاء هم من يمهدّون لنيل اللطف الإلهيّ[1].

حضور قلبي وحقيقي

في العقد ٨٠ أثناء رئاستي للجمهورية، زرتُ مدينة «كرد» ضمن سفرٍ إلى عدة محافظات، بهدف تشجيع الناس وحثّهم على الحضور في الجبهات. ولقد كان جميع الناس يجتمعون ويتفاعلون [ويتأثرون]، لكنني لازلتُ أذكر مدينة كرد حتى الآن، فقد كان الهواء بارداً، وكان مكان الخطاب يتفرّع عنه شارعان، وعندما نظرتُ إلى الجماهير رأيتُ الناس موجودين في كل مكان تطاله العين، وهم حاضرون ويُشاركون بملابسهم المحليّة، رافعين أعلاماً مختلفة، وحضورهم يتعدىّ التّواجد الجسمانيّ إلى الحضور الحقيقي والقلبي. كان حضورهم بارزاً وهدفهم واضحاً بحيث يفهم الإنسان الكثير من الأشياء بنظرةٍ واحدة إلى هؤلاء الناس والمنطقة؛ ولهذا علِقت تلك الرحلة ببالي.

طبعاً؛ لم تكن تلك زيارتي الوحيدة لهذه المدينة، فقد ذهبتُ مراراً وقابلتُ

١. من خطابٍ ألقاه في ١٩٨٣/٣/٣٠م.

الناس والهيئات، لكنّ ذلك السفر كان سفراً مميزاً ترك تأثيراً عجيباً في ذاكرتي. قبلها كنتُ قد سافرتُ أيضاً إلى مدينة كرد من أجل لقاء لواء قمر بني هاشم، وذهبتُ إلى مركز اللواء، وهذه الزيارة لازلتُ أذكرها جيداً أيضاً. فقد زرتُ غالبية مراكز الحرس عموماً، وكنا نذهب ونجلس ونتحدّث ونتناقش، لكن لدى بعض هذه المراكز خصوصيات ترسخ في ذهن الإنسان؛ كلواء قمر بني هاشم في مدينة كرد هذه. فعندما ذهبتُ إلى هناك، رأيتُ الشباب المخلصين والمؤمنين، يحملون دوافع قوية على الرغم من فقر الإمكانات وقلّتها. بقيتُ لساعات معهم، وتناولت الغداء هناك، وعندما غادرتُ المكان كان لديّ شعور كبير بالرضا[1].

أردتُ أن أُصدر ذلك الحكمقبل أن يُصدر الإمام هذا الحكم*، كنت أستبعد صدوره من الإمام، وقد كان هذا تصوري. وفكّرتُ بإصدار حكم ارتداد هذا الشّخص بنفسي، بصفتي رجل دين مسؤول مسلم. فاستشرتُ أحد الإخوة الحاضرين اليوم هنا، لكنه خالف رأيي وقال إنّ مثل هذا الأمر يحتاج في البداية إلى المقدّمة الفلانية، ولم أتابع المسألة، ثم صدر حكم الإمام في اليوم التالي أو عقب ذلك بيومين[2].

رصاصةٌ في قلب الاستكبار

بعد تأليف كتاب «آيات شيطانية»، تم الترويج له في جميع دور النشر الاستكبارية المركزية في البلدان الغربية المعروفة. في حينها كنتُ أفكّر قبل مدّة من صدور حكم الإمام، في سبب هذا التّرويج الواسع لهذا الكتاب في جميع المجلّات! وقد خطرت بعض الأمور والقرارات على بالي. وقد كان من الواضح أنّ

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء مؤسسة شهداء محافظة جهارمحال وبختياري بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٤م.

* حكم ارتداد سلمان رشدي كاتب كتاب آيات شيطانية الواهن، والّذي صدر عن الإمام الخميني في ١٩٨٩/٢/١٤م.

٢. من خطابه في جامعة الرازي في كرمانشاه بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٥م.

هذا الكتاب سيلقى رواجاً من خلال الإعلام، ليستقطب أكبر عدد من المعجبين والقرّاء، ولكي يصل إلى البلدان الإسلامية ويُترجَم بلغاتٍ مختلفة. كانت هذه هي الخطوة الأولى، والّتي لو تمّت بنجاح - طبعاً؛ وكانت ستتم لو لم يصدر حكم الإمام - لجاء دور إنتاج الأفلام، ولأنتجوا عشرات الأفلام عن هذا الكتاب في جميع دور السينما في العالم، ولملأوا جميع القنوات العالمية والتلفاز من الأفلام التي تم إنتاجها وكتابتها على أساس هذا الكتاب المفسد والوضيع. فهم أرادوا الترويج للسخرية بالمقدسات الإسلامية وتحقيرها والإساءة لها في جميع الأجواء الثقافية في العالم أجمع؛ سواء العالم الإسلامي أو غير الإسلامي.

قال الإمام بأنّه مهدور الدم ويجب أن يُقتل، وهذا الأمر أشدّ من مجرّد منع الكتاب؛ [فهو يؤدي إلى أن يُعيد أمثاله حساباتهم]، فعندما يكتب كاتبٌ كتاباً ويحصل على المال من أجل نشر الفساد وكتابة الفاحشة، ثم يعرف بأنه سيخسر حياته بسبب هذا العمل وسيُكلّفه ثمناً باهظاً، فسوف يختلف الأمر! وإنّ ما قام به الإمام أصاب مؤامرة الاستكبار في الصميم؛ أي أنّ كلّ مَن تسوّل له نفسه أن يكتب مثل هذا الكتاب أو يصنع فيلماً عنه أو يعرضه في السينما، فهو معرّض للقتل من قِبل المسلمين الّذين سمعوا بفتوى الإمام وأيدوها وعزموا على العمل بها. لم يعُد من السهل الإقدام على مثل هذا الأمر. لقد هاجمت فتوى الإمام قلب الاستكبار ومزّقته إرباً، ولهذا ارتفع صوت اعتراضهم عالياً في العالم[1].

كونوا حرّاس الأصول

حافظوا على الأصول التي عُرفت بها الجمهورية الإسلامية برأسٍ مرفوع؛ لا بخجل! وهذا الأمر له أثر كبير!

انظروا! لقد أهدر الإمام دم سلمان رشدي، وضجّت الدنيا لذلك، واستدعى

١. خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٨٩/٣/٣م.

الأوروبيون سفراءهم من طهران مباشرةً.

لقد كنتُ على أعتاب سفرٍ إلى دولة أو دولتين أوروبيتين مهمتين؛ إلى يوغسلافيا ورومانيا وهذه الدول. يومها تجمهر الصحفيون حولنا قائلين: «يا سيد؛ ما هي قضية سلمان رشدي؟»، قلت: «نعم؛ هذه القضية الّتي طرحها الإمام مهمة جداً. وهذا ما سيحصل». حاولوا التّشويش من الأطراف: «كيف أصدرتم مثل هذا الحكم؟! ومن سمح لكم بالتدخل؟!». وقفتُ بثبات وإحكام وقلت: «لقد رمى الإمام سهماً، وصوّب على الهدف جيداً، وسينطلق هذا السهم ولن يتوقّف ما لم يصب الهدف»، وأنا أعتقد أنّه سيصيبه يوماً ما.

ربّما كان البعض يعتقد آنذاك أن «لا داعي لكلّ هذه الشّدة والوضوح»، لكنني لستُ موافقاً على ذلك! فبحمد الله، بعد مرور عدة أيام جاء أولئك الّذين سحبوا سفراءهم بأنفسهم إلى باب منزل الدكتور ولايتي عابسين، واعتذروا قائلين: «لقد أخطأنا»، وأعادوا السفراء واحداً تلو الآخر. هكذا هي القضية، وهذه هي أصولنا[1].

يجدر بنا أن لا نتفوّه بمثل هذا الكلام

بعدما حصل، أدرك الناس وجود مقصّر [بين المسؤولين]، وطالبوا بمجازاته[2]. ومن جهة أخرى؛ قام بعض السادة؛ كالسيد كرّوبي أو الإخوة الآخرين، بإلقاء خطابات بكل إصرار وتعمّد، وقال [كروبي] في الخامس عشر من خرداد [٤ حزيران] بأنّه يجب أن ينال المقصّرون عقابهم؛ وكبّر الناس. ومن الطبيعيّ أن يكبّروا، ولو كان القائل شخصاً آخر لكبّروا أيضاً، كما لو قلتُ ذلك خلال صلاة الجمعة، لكبّروا بصوتٍ عالٍ حتّى.

---

١. لقاء المسؤولين في وزارة الخارجية وسفراء ورجال أعمال الجمهورية الإسلامية ١٩٩٢/٨/١٠م

٢. بعد الفشل في جبهات الحرب في الأشهر الثلاثة الأولى عام ١٩٨٨م، والّذي تسبب بخسارة بعض المناطق؛ مثل الفاو، وجزيرة مجنون، وشلمجه، وتهديد أماكن أخرى؛ مثل خرمشهر والأهواز، انتشرت تمتمات حول لزوم محاكمة «المقصرين في الهزائم الأخيرة ومواجهتهم» من قِبل بعض السياسيين.

لكن في الليلة الّتي سبقت صلاة الجمعة تلك، استشرتُ الشيخ هاشمي وبعض الإخوة بالكلام حول هذه القضية، فقال الشيخ هاشمي إذا أتيتُم على ذكر التّقصير والمجازاة، فسيشعر الشباب المخلصون في الجبهة بانكسارٍ في قلوبهم، وستتراجع معنوياتهم، مما سيترك أثره على الحرب[1]. وأردف قائلاً: إنّ كلام السيد كرّوبي ترك أثراً سلبياً على المجاهدين. حسناً؛ بما أنّ تأثيره سلبيٌ يجدر بنا أن لا نتفوّه به إذاً[2].

من المؤسف ألّا تستشهدفي الأسبوع الماضي، جاء الشهيد كاظمي لمقابلتي، وقال: «أريد أن أطلب منك أمرين: أوّلهما؛ أن تدعو لي أن أكون أبيض الوجه [يوم القيامة]. والثاني؛ أن تدعو لي بالشهادة»، فقلت له: «من المؤسف أن يموت أمثالكم فعلاً؛ فأنتم الّذين عاصرتم هذه الحقبة المهمة، لا يجب أن تكون نهايتكم الموت الطبيعي؛ بل يجب أن تستشهدوا جميعكم، لكن لا زال الوقت مبكراً ولا زال النظام والبلد بحاجة إليكم». وقلت له: «عندما أخبروني بشهادة الشهيد صياد، قلتُ إنّ صياد كان يستحق الشهادة بالفعل، فمن المؤسف أن يموت صياد». عندما قلتُ هذه الجملة اغرورقت عينا الشهيد كاظمي بالدموع، وقال: «إن شاء الله يأتيك خبر شهادتي أيضاً!»

---

١. يقول آية الله السيد علي الخامنئي في صلاة الجمعة ٧/١/ ١٩٨٨م مشيرًا إلى هذا الموضوع: «إنّ البعض يبحث عن المقصّر في هذه الأحداث، وهذا خطأ. ففي العمل العسكري وعندما يحصل تراجع عسكريّ لا يمكن البحث عن شخصين أو ثلاثة أو خمسة وإلقاء التقصيرات عليهم ومجازاتهم فيما بعد. [صحيح أن] هذا عمل شائع ويُطبّق في كافة أنحاء العالم، ويمكننا تطبيقه هنا أيضاً، فهو أمر يسير، فليس من الصعب إيجاد بعض المقصرين، أو «صناعة المقصّر»، أو نسبة التقصير لهذه المؤسسة أو المنظمة أو المجموعة، لكن هذه ليست طريقتنا الإسلامية. صحيح أن هناك بعض النواقص والتقصيرات؛ لكن لا يوجد مقصّر، فلا أحد مقصّر بنفسه أو مذنب في هذا الأمر، وإنما هناك مجموعة من العوامل حصلت مع بعضها البعض، فأوجدت ضعفاً أو فتوراً أو قصوراً في مكان ما، وقد حصل مثل هذا الأمر ويجب معالجته، علينا أن نصلح ونحل المشاكل».

٢. اجتماع للأسئلة والأجوبة مع مجاهدي السرية ٢٧ محمد رسول الله ﷺ، ١/٨/ ١٩٨٨م.

إنّ المسافة بين الموت والحياة قصيرة جداً، هي لحظة واحـدة، لكننا مشغولون بالدنيا وغافلون عن حركة الجميع نحو الله. الجميع سيلاقي الله، وكل واحد بطريقة ما، فالبعض يلاقونه بوجهٍ أبيض، والشهيد كاظمي وهؤلاء الإخوة من ضمنهم؛ فقد بذل هؤلاء جهودهم[1].

التّهديد العسكري موجود دائماً

لطالما كان التّخريب الدّاخلي موجوداً؛ ففي عام ٢٠٠٣ وبعد هجوم الاحتلال [الأمريكي] على العراق، حدثت بعض أعمال الشّغب في طهران لعدّة أيام، وتلك المرأة ذات البشرة الداكنة والتي كانت مستشارة رئيس جمهورية أمريكا آنذاك ثم أصبحت وزيرة الخارجية، قالت بصراحة: «إننا نُقدّم الدّعم والحماية لأيّ نوع من أعمال الشغب أو الثورات في طهران». فقد أعلنت عن هذا بشكلٍ صريح؛ لأنهم شعروا بالأمل مما يحدث. وقد حصلت قبل ذلك وبعده أيضاً أحداث مشابهة؛ كالتي حدثت في عام ٢٠٠٩م، والجميع يذكرها. إن هذه التهديدات ليست أمراً جديداً.

إنني مطّلع أكثر من أيّ شخصٍ آخر، وأقول لكم إنه في دورة رئاسة كلينتون كان التهديد العسكري شديداً لدرجة أنّ رئيس الجمهورية المحترم آنذاك كان يقول باستمرار: «تعالوا لنجد حلاً ما، أو نُقدم على عملٍ ما أو شيء ما؛ فمن المؤسف أن يهاجمونا بعد ما قُمنا به والمباني التي بنيناها، ومن المؤسف أن يضربوها ويدمروها»؛ أي أنّ احتمال الهجوم لم يكن ضعيفاً؛ فكانوا يهددون باستمرار. وفي عهد رئيس الجمهورية هذا، وقبل العهد التاسع أيضاً، كان التهديد العسكري من قِبل الأعداء قوياً لدرجة أنّ المسؤولين في الداخل كانوا يشعرون بالرعب. وقد أُقيمت العديد من الاجتماعات، ولديّ الكثير من الذكريات عنها. لقد

---

١. من خطابه خلال مراسم تشييع قادة الحرس بتاريخ ٢٠٠٦/١/١١م.

كان التهديد العسكري موجوداً دائماً، ولم يكن هناك يوم يخلو من التهديد[١].

مشروع الاختراق الفوري

كان هناك مجلس[٢] في خضّم المفاوضات النّووية، وقد كان رئيس الجمهورية المحترم الحالي[٣] هو رئيس المفاوضات، وكان يتكلّم بحزمٍ وبشدّة، ويتباحث مع الطرف المقابل؛ بل في الحقيقة كان يُجاهد من أجل أن يرفع صوت إيران، لكنّهم أعدّوا مشروعاً فورياً في المجلس من أجل رفع صوت الطرف المقابل!

آنذاك؛ اشتكى رئيس هيئة المفاوضات وهو رئيسنا الحالي نفسه وقال نحن هنا نجاهد، لكن السادة الموجودين يُخططون لصالح الأعداء. حسناً إذا لم يكن هذا اختراقاً فما هو إذاً؟ [هل] للاختراق قرون وذيل حتى يغضب البعض عندما نقول اختراق ويعترضون على كلامنا؟ ينبغي الالتفات لهذه الأمور[٤].

ما هذا الكلام؟

في إحدى المراحل، استتبعت الانتخابات في طهران مشاكل وضوضاء، حيث أصرّوا على رفض نتيجة الانتخابات. أنا قلتُ آنذاك ينبغي التحقيق في الأمر، فقد شارك مليونان أو ثلاثة ملايين شخص من طهران في الانتخابات، فهل يمكننا أن نحرق آراءهم جميعاً؟ ما هذا الكلام؟! يجب التحقيق في الأمر. وبعد التحقيق بشكلٍ تفصيلي تبيّن أنّ الأمر لم يكن على النحو الذي يقولونه، وقد كتبتُ حينها بشكلٍ مفصل لمجلس صيانة الدستور، بأنه لا يحقّ لأحد المساس بهذه الانتخابات. فالانتخابات حق الناس، إنّها للناس ونحن لا يُمكننا الطّعن بها؛ بل

---

١. من خطابه خلال لقاء العاملين في النظام بتاريخ ٢٠١٠/٨/١٨م.

٢. المجلس السادس.

٣. الرئيس حسن روحاني.

٤. من خطابه خلال لقاء أئمة الجمعة في إيران بتاريخ ٢٠١٦/١/٤م.

هي انتخاباتٌ سليمة، ولقد كانت سليمة في كل الدورات[1].

شِعرٌ يُقصد منه الدّعاء

في العام الماضي* قرأتُ شعر «أخوان» هذا هنا، وقد ألقاه الشاعر لهدفٍ آخر طبعاً:

اي تكيه گاه وپناه زيباترين لحظه هاى پر عصمت وپر شكوه تنهايى وخلوت من اى شط شيرين پر شوكت من[2]

[يا سند وملجأ أجمل لحظات وحدتي وخلوتي المعصومة العظيمة يا شاطئي الجميل العظيم]

لاحظوا جمال هذا الشعر! ولقد قلتُ حينها إنني أقرأ هذا الشعر بهدف الدعاء.

طبعاً؛ لقد ألقى الشاعر هذا البيت بهدفٍ آخر، لكنّه يتميز بموسيقى شعرية رائعة تحتاج لتفصيل لوحدها، كما يتميز بالانسياب والجمال والشفافية. وإذا استطعتم أنتم [الشعراء] أن تنظموا أبيات شعر بقصد الدّعاء تُشبه هذه الأدبيات بحيث تتصف بألفاظ ومضامين عذبة، وموسيقى شعرية رائعة فذلك أمر جيد جداً.

هذه «الدعوة إلى الحرية» ومعصرة الفاكهة

في بداية عام ١٩٨١م، روى لي الشهيد مجيد حدّاد عادل رحمه الله[3] أنه عندما تحرّرت «سنندج» من يد المناهضين للثورة عام ١٩٨٠م بعد أن كانوا مسيطرين عليها، وكانت قواتنا محاصرة من قبلهم ومحدودة بالمقرات العسكرية فقط، فرح الناس ونزلوا إلى الشوارع. فقبل أن تتحرر سنندج كانت الشوارع محاصرة ومهددة

---

١. من خطابه خلال لقاء الشعراء بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٠م.

٢. للشاعر مهدي أخوان ثالث، آخر شاهنامه، القصيده رقم ٣.

٣. أخو الدكتور حداد عادل.

في محضر الحبيب

وأصوات الرصاص تتناهى إلى المسامع باستمرار، وبعد أن طردوا مناهضي الثورة منها، عادت الأمور إلى مسارها الطبيعي. وإنّ سنندج مدينة جميلة وجذابة أيضاً، ومن رآها يعرف هذا الأمر. كان يقول رأيتُ أحد بائعي العصير، قد وضع بسطة عصير بجانب الشارع، وكان الشباب يقفون في الطوابير كي يحصلوا على العصير، وكان يقرأ هذه الأبيات أثناء وضع الجزر في المعصرة والضغط عليها:

این بانگ آزادی است

کز خاوران خیزد

[هذه [صرخة] الدعوة إلى الحرية

التي ترتفع من الشرق]

كان حميد قد ألّف هذه الأبيات حديثاً، وقد مضى أقل من شهرين عليها، وكان هناك في سنندج شخص يعصر العصير ويقرأها[1].

---

١. شعر إيراني انتشر مع بداية الثورة وهذا مطلعه بالفارسية:
این بانگ آزادی است
کز خاوران خیزد.

الجزء الثاني: قائدٌ في خنادق الدفاع المقدس

الإيمان بمواجهة التحديات

عندما غمرتْ أمواج الثّورة المنطقة بكاملها، نبضت قلوب عناصر الجيش مثل قلوب باقي النّاس، فانقسموا إلى فئتين حالهم كحال الآخريـن. وكان البعض على درجة أعلى من الإيمان وأكثر اندفاعاً، والبعض في الخلف وأقل اندفاعاً. كان بعضهم في الصفوف الأمامية، وأعلنوا دعم النهضة والثورة، ونزلوا إلى الشوارع وبيّنوا مواقفهم علناً أو سرّاً. وأما العسكريون الّذين لم يؤمنوا بالثورة [ولم يلتحقوا بها]، فكانوا في الحقيقة من عظام رقبة نظام الطاغوت البهلوي؛ تابعون له ومتعلّقون به، ومن الطبيعي أن لا ينصاع مثل هؤلاء الأشخاص للإسلام والأهداف الإلهية والوطنية بتاتاً. ولقد بدأت الغربلة من هنا، فالعدو لم يتركنا وشأننا؛ حيث بدأت بقايا النّظام السابق الّذين تمّ طردهم إلى خارج البلاد، والقضاء عليهم، وكذلك داعميهم من المنظمات الأمريكية، والبريطانية، والإسرائيلية التجسسية، ببذل جهودٍ واسعة. ولتعلموا أن الجهد الّذي بذله العدو على الجيش، لو بذله على فئةٍ أخرى في المجتمع، من غير المعلوم أنّ بإمكانها الصمود بقدر ما صمد الجيش في سبيل الإسلام والثورة.

ومنذ بداية الثورة، أقدمت أنظمة التّجسس التابعة للأعداء على الكثير من الأعمال، وبذلت العديد من المساعي من خلال الدعم المالي الّذي قدّمته دُولهم، وإعلامهم، وإذاعاتهم في الرّاديو، واتصالاتهم السّرية، وعلاقاتهم السّابقة. ولو قاموا بهذه الأعمال نفسها ونشروا هذه الفتن بين فئة أخرى، لارتجفت قلوبهم وتزلزلت. ففضلًا عن إيمان شعبنا والجيش، وتدينهم واعتقادهم بالله والإسلام، هناك عامل آخر لعب دوراً رئيسياً في ثبات الجيش ألا وهو النظام والانضباط الّذي يتم تعليمه للعسكر، فيتشرّبونه ويسري في وجودهم، وينتج عنه نمو روح الوفاء والولاء فيهم. وقد منح هذا العامل قوّاتنا العسكرية القوة وردعهم عن الانصياع [للعدو] والتسليم لغير الطريق السّوي في ذروة وسوسة العدو خلال هذه الأعوام

الستة عشر [الأولى].

وسأذكر بعض هذه الوساوس والجهود الّتي بذلها العدو: أولاً: سعوا لتعيين أشخاص أوفياء لهم في مراكز الجيش المهمة، ليبقى الجيش بيد أعداء الثورة. وفي بداية الثورة، عندما ينظر الإنسان إلى الجيش، يتعجب من قادة القوات في الأيام الأولى، وأنا أذكر جيداً؛ في أحد الأيام بينما كنا واقفين في مدرسة الرفاه، رأيتُ جنرالاً يدخل متبختراً مزهواً. وعندما سألتُ عنه قالوا إنه قائد القوة الفلانية! فتعجّبت! ولاحقًا انكشف للمحكمة خيانته، وتم التصرف معه بما ينبغي.

فقد كان أمراً عجيباً بالفعل! لقد انتصرت ثورة على نظام ما، لكن بيادق النظام السابق سعوا للحصول على أكثر المراكز حساسية في النظام الجديد! كانت تُرى هذه الوقاحة في أعلى درجاتها فعلاً في مثل هذه الأماكن. ولقد واجهت الثورة خطوتهم الأولى هذه، بحيث أن أفراد الجيش المؤمنين أخبروا عن الأفراد التابعين للأعداء ممن يحتلون المراكز الحساسة. ففي الحقيقة نحن لم نكن نعرف بهؤلاء الأشخاص، ولم نكن نعرف فلاناً ما هو عمله، وما هي سوابقه، وكيف هو ملفه؛ لذلك كان المؤمنون والوجوه الثورية يخبروننا عنهم أوّلاً بأوّل، وكانت هذه الأخبار تُنقل إلى الإمام بسرعة، وتُحلّ المشكلة.

أما الأمر الثاني الذي قاموا به في هذا الصدد، والذي يُعد في مستوى الأهمية والعظمة نفسها؛ فهو أنهم حاولوا في بداية الثورة إبقاء المستشارية الأمريكية العسكرية في إيران! وقد يكون هذا الكلام جديداً وعجيباً بالنسبة لكم - وهو عجيبٌ بالفعل -، لكنه من العجائب الّتي حصلت! فبعد عدّة أشهر من انتصار الثورة - أو مضيّ عام واحد عليها -، كان لتنظيم مستشارية أمريكا العسكرية عملاء في إحدى قوى الجيش الثلاث. وقد كان مركزهم الأصلي الواقع في مقرّ العمليات المشتركة قد دُمّر وهربوا منه، لكنهم احتفظوا باستخباراتهم هناك من أجل حفظ موقعهم. لو ذكر أحد اسم الأشخاص الّذين كانوا في المجلس الأعلى للدفاع - والّذي كان شكلياً فقط - آنذاك لتعجّبتم كيف يكون مثل

هؤلاء الأشخاص في هذا المركز الحساس، لكنني رأيتهم في المجلس الأعلى؛ حيث شاركتُ في تلك الجلسة ولكن لم يكن حضوري رسمياً، ولم يكن هؤلاء الأشخاص يرغبون برؤيتي. وقد شاركتُ في ذلك الاجتماع بطريقة ثورية وبأساليب خاصّة بذلك الوقت. آنذاك، رأيتُهم قد أحضروا لائحة يريدون التصويت عليها في مجلس الشورى الأعلى للدفاع لتغيير اسم مستشارية أمريكا السابق في إيران. وقد اقترحوا عدّة أسماء لكي يوافق مجلس الدفاع الأعلى على أحدها، مما يعني الموافقة على وجود المستشارية في الحقيقة. عندها علمتُ أنّ المستشارين لا يزالون في إيران. قلت: «ماذا يفعل هؤلاء السادة هنا؟ في البداية أثبِتوا [صحة] أصل وجودهم كي نتّفق على الأسماء فيما بعد». كان المرحوم شمران العزيز حاضراً في ذلك الاجتماع أيضاً، وقد ساعد أيضاً للتصويت على خروجهم من إيران بأسرع ما يمكن.

لقد وصلت بهم الوقاحة والجرأة إلى أن يحتفظوا بوجود مستشاريي أمريكا داخل جيش الجمهورية الإسلامية، وكانت هذه أيضاً إحدى الابتلاءات الّتي تخلّص منها الجيش بفضل الله. وإنّما هذا يدلّ على مقدار أملهم بالجيش ومدى طمعهم فيه.

بعد مرور مدّة على هذه القضايا، خطّطوا لانقلاب مقرّ الشهيد نوجه، وكانت هذه الخطّة صادرة من منظّمات التجسس التابعة للأعداء لأجل اختراق الجيش. والهدف منها في الدرجة الأولى القضاء على الثورة من خلال إنجاح هذا الانقلاب على يد عملائهم في الجيش، وفي الدرجة الثانية أنه في حال فشلهم في الانقلاب، أرادوا إيجاد فجوة بين الناس والجيش. لقد كانت مؤامرة خطيرة، لكنها أُجهضت هي الأخرى على يد الجيش. وربّما يجهل الشعب الإيراني أنّ الّذين استطاعوا إجهاض مؤامرة مقر الشهيد نوجه الخطيرة هم نفسهم شباب الجيش الّذين أخبرونا بالقضية؛ فقد جاء كابتن طائرة شاب عند منتصف الليل إلى باب منزلي، وأصرّ كثيراً وأجبرني على الاستماع إلى كلامه، وأخبرني بأنّ

الانقلاب العسكري سيحصل في غضون الساعات الأربعة والعشرين المقبلة. ثم إنّ الّذين تابعوا هذه القضية وكان لهم الدور الأكبر في إجهاضها هم العسكريون وأفراد الجيش المتدينين في ذلك المقرّ، وهم الذين دافعوا عن الجيش، ولم يسمحوا للعدو بغرز مخالبه فيه والتآمر عليه. ولقد أُصيب ذلك الشاب كابتن الطائرة، وآمل أن يشمله الفضل الإلهي أينما كان. وكان هذا امتحاناً آخر للجيش اجتازه بنجاح وأجهض مؤامرة العدو.

ثم بدأت الحرب، وآنذاك حاول بعض الأشخاص عملاء الأعداء أن يُعيقوا تقديم الدّعم اللوجستي والعملياتي والحيلولة دون مشاركة الجيش في ساحة الحرب. أظنّ أنّ أيّ جيش كان سيتلاشى مقابل مثل ذلك الهجوم في مثل تلك الموقعية؛ لكن جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الجيش المسلم والمؤمن بالشعارات الإلهية، حافظ على نفسه بصعوبة بالغة[1].

الصمود في وجه العاصفة

عندما بدأت الحرب المفروضة ضدّنا، تصوّروا كيف كانت حالنا: شعبٌ غارق بالدمار الذي خلّفه ظلم الشاه، وهو بحاجة ماسّة للعمل وإعادة الإعمار، تعرّض فجأة لهجوم الأعداء وفقد ما كان قد تبقّى لديه! فتعطّلت السكك الحديدية، والمصانع، ومنعوا تصدير النفط والحديد، وإنّ كائناً من كان في مثل هذه الظروف، سيركع مقابل هذه الإجراءات؛ ففي جبهة العدو لم يكن النظام العراقي لوحده؛ بل معه النظام الاشتراكي، وفرنسا، والناتو، والخبراء الأمريكان والجميع بما للكلمة من معنى. ولو كان الإمام ضعيفاً ربّما لقال هنا: «لقد رُفع التكليف عنّا، هؤلاء لا يُريدون منّا الثبات على القوانين الإسلامية، لذا لن نثبت! هؤلاء لا يريدون منا أن نُقاتل إسرائيل؛ فلن نقاتلها، فالضغط كبير علينا. ماذا بوسعنا أن

١. من خطابه خلال لقاء مجموعة من القادة وعناصر الجيش بتاريخ ١٩٩٥/٤/١٩م.

نفعل؟!»، لكن الإمام لم يقل شيئاً كهذا وصمد[1].

الأيدي الخفية وراء الحرب

إن دفاعنا المقدّس؛ أي حرب السنوات الثماني المليئة بالأحداث في هذا البلد، هي قصّة صمود الشعب الإيراني وشبابنا مقابل عداوة الكفار والاستكبار العالمي وخبثهم. صحيحٌ أنّنا في الظّاهر كنا نُواجه الحزب البعثي أي صدام فقط، ولقد كان شخصاً خبيثاً معادياً للإنسانية والبشرية بما فيه الكفاية، لكن [مع هذا] لم يكن لوحده. وإنّ ما جعل الحرب تستمر لثماني سنوات، هو عوامل الاستكبار العالمي الموجودة خلف الستار التي كانت تُشجعه على الاستمرار، وتُعِده، وتمدّه بالإمكانيات. وعندما أُجبر أعداؤنا على التّراجع من مناطق خوزستان التّي شاهدتم بعضها الآن، أعطتهم إحدى الدّول البريطانية صاروخاً يُساعدهم على الاستمرار في الخبث والشيطنة من البحر. لم يدعوا العمليات الّتي تتم في المنطقة، ترسم مستقبل الحرب وتُنهيها، فالاستكبار العالمي، وهذه الدول الأوروبية ودولة أمريكا، كانت تقف خلف النّظام البعثي المعاند وتُشجّعه للاستمرار في الحرب، وكانوا يرفضون فكرة خروج الجمهورية الإسلامية مرفوعة الرأس من هذا الحدث الكبير، ويُعبّرون عن هذا بشكلٍ صريح[2].

ثقة القادة بحكمة الإمام

لقد كانـوا يعرفون شخصيّة صـدّام جيداً، فكانـوا يعرفونه كما يعرفون الشّخصيات السياسية الأخرى، لقد كان لديه نزعة للأنانية والتكبّر والظّلم والعدائية. أثناء الثورة [الإسلامية في إيران] كان رئيس جمهورية العراق شخصاً آخر غير صدّام يُدعى «أحمد حسن البكر»، لكنهم خطّطوا من أجل عزله وإجلاس صدّام مكانه لكي يُجبروه أو يُشجعوه على القيام بحملة عسكرية ضد

١. من خطابه في الذكرى السبعين لارتحال الإمام الخميني ﷺ بتاريخ ١٩٩٦/٦/٣م.

٢. من خطابه خلال لقاء عوائل شهداء شرق كارون بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٦م.

إيران.

في البداية كانت ذريعتهم في الهجوم على إيران والشّعارات التي أطلقوها هي فصل المناطق النّفطية في إيران وإلحاقها بالعراق، لكنّ هذا كان مجرّد كلام، ولم تكن القضّة مجرّد المناطق النفطية؛ بل كان هدفهم أصل الحكومة وأصل الثورة والقضاء عليها. لقد اتّحدت أمريكا وأوروبا القوية؛ أي بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، البلدان الّتي كان لها مكانة وقدرة في أوروبا، مع صدّام وحمته وقدّمت ما أمكنها من مساعدات له[1].

كانت جيوش نظام صدّام في بداية الحرب جيوشاً محدودة، وإمكاناتها لا تتجاوز الإمكانات المتعارفة؛ لكن مع مرور الوقت مثلاً بعد مرور ستّة أشهر وسنة وسنتين، ازدادت هذه الإمكانات يوماً بعد يوم. فمن المفترض أنّ الحرب تدمّر الإمكانات؛ فنحن كان لدينا بعض الدّبابات في بداية الحرب، لكن دُمّر بعضها. وكذلك الأمر بالنسبة للمدفعيات والمعدّات؛ حيث دُمّر الكثير منها بعد أن تم استعمالها في الحرب بطبيعة الحرب. فالحرب تستهلك الإمكانات؛ [لكن] كلّما استمرّت هذه الحرب، كانت إمكانات هذا النظام [البعثي] تتضاعف، فكانت كلٌّ من فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، وأمريكا؛ بل وحتى الاشتراكيون الذين كانوا ضدّ أمريكا لكنهم في هذه القضية دخلوا إلى الميدان مع أمريكا لمصالهم الخاصة يُقدّمون الإمكانيات للنظام البعثي. لقد كان لدى الاشتراكيين عددٌ كبيرٌ نسبياً من الجمهوريات الإسلامية، وقد جعلت الحركة الإسلامية والثورة الإسلامية في إيران تلك الجمهوريات تفكّر بهويتها الإسلامية؛ ولم تكن الدولة الاشتراكية مستعدّة لمثل هذا الأمر، لذلك تحالفت هي الأخرى مع عدوتها التاريخية أمريكا ضدّنا في هذه القضية، فاجتمعت أمريكا، والاشتراكيون، وحلف الناتو الّذي تشكّله أمريكا وأوروبا وأمثال هذه البلدان، وجميع القوى العالميّة المسيطرة في العالم مع

---

١. من خطابه خلال لقاء الشباب والفتية المشاركين في رحلة «راهيان نور» لزيارة مناطق الجبهات بتاريخ ١٠/٣/ ١٩٩٦م.

صدّام وساندته ضدّ الجمهورية الإسلامية من أجل القضاء عليها. ولقد كان هذا هدفهم الحقيقي، ولم يكن الهدف فتح خرمشهر أو «قصر شيرين» أو أمثالهما، لقد كان الهدف هو قدومهم. وقد قال صدّام في بداية الأمر بأنّني أُجري مقابلة هنا اليوم، وبعد أسبوع سنُجري مقابلة في طهران، وكان هذا ما خطّط له. فالحرب المفروضة هي مؤامرة دولية كبيرة من قِبل أقوى القوى العالمية ضدّ الجمهورية الإسلامية حديثة الولادة، وهذا الأمر يُشبه هجوم جميع الحيوانات الضارية على إنسان أعزل لا يملك سلاحاً أو وسيلة يُدافع بها عن نفسه. هكذا كان الأمر في الحقيقة[1].

المؤامرات الدولية ضد إيران

في بداية الحرب العراقية المفروضة كان بعض المهتمين بالشأن المحلي يقولون لنا: «لقد هاجمت العراق أراضينا، واعتدوا على حدودنا»، وكنّا نقول لبني صدر: «يا رئيس الجمهورية! ما هي الأخبار؟ يقولون بأنّ العراق قد هاجمتنا»، فيُجيب: «إنهم يكذبون! هؤلاء الحرس يتفوّهون بمثل هذا الكلام حتى يحصلوا على بعض الإمكانات»، فكان يتّهمهم. وقبل أن يحتلّ العراقيون دهلران، ذهب إليها وأجرى مقابلةً تلفزيونيّة هناك، قال خلالها: «أنا الآن في دهلران! يقولون بأنّ العراقيين قد جاؤوا إلى هنا! أين العراقيين؟!»، وبعد ساعتين من خروجه من دهلران، سيطر العراقيون عليها[2].

بني صدر وتأجيج الخلافات الداخلية قبل الحرب

لقد بدأ هجوم العراقيين على أراضينا في الواحد والعشرين من أيلول عام ١٩٨٠م، وقبل ذلك بثلاثة عشر يوماً؛ أي في ٨ أيلول من العام نفسه، ألقى بني صدر خطاباً أجّج فيه نار الخلافات الدّاخلية بالتّطرق إلى مسائل لا يجدر

---

١. المصدر السابق نفسه.

٢. من خطابه خلال لقاء الأساتذة وطلاب جامعات محافظة سمنان بتاريخ ١١/٩/ ٢٠٠٦م.

بشخصٍ مسؤول [سياسيّ] أن ينطق بمثلها حتى خلال أكثر الأوقات استقراراً، مما تسبّب في تكدير الأجواء وإيجاد خلافاتٍ داخلية بين الناس. هل كان بني صدر في ذلك الحين مطّلعاً على قرب وقوع الحرب؟ على أيّ حال؛ فإنّ التّهتك والفشل ينطبقان عليه. وحسب ظنّي فإنّه كان يتوقّع حصول مثل هذا الهجوم؛ فقد صرّح بنفسه في إحدى المرّات بعلمه به، لكنّه كان يولي أهمية للمناقشات والنزاعات السياسية؛ حتى في حالة الحرب، ولم يتمكّن من إخفاء هذه النّفسية طيلة مرحلة الحرب أبداً[1].

نحن لم نكن نمتلك شيئاً في بداية الحرب، ولقد كانت يدنا خالية تماماً؛ فكان لدينا القليل من العتاد الناقص، الذي لم يكن جزء منه في متناول اليد، وكانت بعض الأنواع مخبأة في المخازن، ولم يتم استخدامها إلّا بعد مضيّ مدة على اندلاع الحرب.

لقد كنتُ أعمل في مكتب الاستشارة في المقرّ العام للأركان، وأُتابع الأمور بصفتي ممثّل الإمام، وكان العسكريون يترددون باستمرار لتقديم التقارير [وبعض الأعمال الأخرى]، وكانوا شباباً متعهّدين ومؤمنين. في أحد الأيام، قالوا يا سيد؛ لدينا بعض القذائف التي تُسمى قذائف ٢٠٣، وهي أثقل أنواع القذائف لكنهم لم يضعوها في متناول أيدينا ولم يتمّ اقتراحها للاستعمال. ففي مثل هذه الحرب الّتي يمتلك فيها أعداؤنا كل هذه المعدّات، كان لدينا هذا النوع من القذائف الّتي يمكننا استخدامها لكننا لم نفعل ذلك.

لقد قمتُ بطرح هذا الموضوع في اجتماعنا [مجلس الدفاع الأعلى]؛ أي مع السّادة بني صدر والآخرين. لم يكن بني صدر على علمٍ بها أساساً، والبعض الآخر لم يرغب في طرح الموضوع، إلى أن قال أحد القادة الشهداء رحمهم الله الّذين كانوا موجودين في الاجتماع: «نعم! نحن لدينا هذا [السلاح]، وهو مهم جداً». قلت:

١. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي خلال جلسة دراسة كفاءة بني صدر السياسية بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

«إذاً؛ لماذا لا تستعملونه؟!»؛ أي كان هناك بعض الأشياء الموجودة والّتي لا يتم استعمالها.

وفي الأهواز جاء شابٌ عسكري وأخبرنا بوجود ناقلة جند في مقر الفرقة ٩٢، وهي من الطراز الجديد من نوع بي ام بي٢، فكانت موجودة في تلك الثّكنة ونحن كنا نقول دائماً بأننا بحاجة إليها [أو مثيلتها].

في أحد الأيام، ذهبتُ إلى تلك الثكنة برفقة ذلك الجنديّ، ودخلنا من مدخلٍ غير المدخل الرئيسي، وذهبنا إلى وسط الثكنة، ورأيتُ بنفسي تسع أو عشر ناقلات جند هناك جديدة، لم تُنزع الألواح عنها بعد وقد تعرّضت للأمطار والرياح لأنها مكشوفة.

لقد كانت هذه حالتنا في بداية الحرب، فلم يكن لدينا عتاد حربي، ولا قوّات منظّمة ومستعدة وجاهزة، أو كان عددها محدوداً جداً؛ إضافة لبعض العتاد الذي لم نكن نعلم في البداية بوجوده ولم يتم الاستفادة منه؛ لأنّ بعض الذين كانوا يترأسون المناصب لم يكونوا مهتمين، لكننا نجحنا وتقدّمنا على الرغم من هذه الظروف[١].

كنّا بحاجةٍ لأسلاكٍ شائكة، فاشتريناها من بلدٍ أجنبي وأردنا إدخالها إلى إيران، وكان ينبغي أن تمرّ هذه الحمولة من الاتحاد السوفييتي السّابق، لكنهم لم يسمحوا بعبورها؛ لأنهم كانوا يدعمون العراق. الأسلاك الشائكة ليست قنبلة نووية، ولا قذيفة، ولا دبابة؛ مع ذلك لم يسمحوا لنا بالعبور! إلى هذا الحد كانوا يُسيئون معاملتنا. وقد كنّا بحاجة للقذائف، لكنهم لم يوافقوا على بيعنا؛ كما رفضوا بيعنا الدبابات، والأسلاك الشّائكة، وكان المهرّبون يبيعوننا إيّاها بضعف ثمنها أو ثلاثة أضعافه، لكن حاجتنا إليها اضطرتنا لأن نشتريها ولو بسعرٍ أغلى[٢].

---

١. من خطابه في تاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤م.

٢. من خطابه خلال لقاء مجموعةٍ من المهندسين والباحثين المهنيين والصناعيين في إيران

بداية الحرب والدور القيادي في مواجهة العدوان

لم نكن قادرين على تأمين الأسلاك الشائكة؛ لأن البائع كان يرفض بيعها من جهة، والبلد الّذي يجب أن تمرّ الحمولة منه لم يسمح بمرورها من جهة أخرى. وكانت الجهة المقابلة لديها أحدث المعدّات الحربيّة الموجودة آنذاك وبكمياتٍ كبيرة؛ [فعلى سبيل المثال] كانت فرقة الأهواز ٩٢ تمتلك أقلّ من عشرين دبّابة؛ وهو يُعادل سُبع أو ثُمن المقدار المطلوب من الدبابات؛ [حيث] قد تحتاج الفرقة إلى أربعين دبابة ونيّفاً، لكنّ الفرقة التي رأيناها مستقرة في الأهواز كان لديها أقل من عشرين دبابة. وأما في الجهة المقابلة، فعندما تقع دبابته في الجادة، كان يُحضر رافعة ويُلقي بالدبابة إلى جانب الطريق لفتح الجادة، ولم يكن يهمهم أمرها أصلاً؛ إذ بإمكانهم الحصول على ما يريدون من الإمكانات البرية، والجوّية، والبحرية، وأنواع الذخائر وأقسامها. كما سُمح لهم باستعمال الأسلحة الكيماوية أيضاً؛ في حين يمكنكم الآن أن تلاحظوا ما هي الضوضاء الّتي يُثيرها البريطانيون والأمريكيون من أجل تهمة استعمال الأسلحة الكيماوية، وما هي اللعبة التي يلعبونها! بينما آنذاك كان بإمكان صدّام استعمال السلاح الكيماوي؛ وليس في الجبهة فقط بل في المدينة أيضاً. ولا تزال «سردشت» وضواحيها تُعاني حتى الآن من مضاعفات الكيماوي. لقد كان وضع العالم آنذاك على هذه الحال، وهكذا كانت الأمور تجري، والتقسيمات [العالمية تتم] ومعادلة القوة في العالم[1].

إنّ كلّاً من فرنسا، وألمانيا وبقية الدول؛ بل وحتّى الاتّحاد السوفييتي هي التي كانت تُقدّم المساعدات [للعراق]. وفضلًا عن ذلك؛ كنّا في حصار اقتصادي، وسياسي، إعلاميّ صعب؛ حتى صوتنا لم يكن يصل إلى أيّ مكان فعلاً، فوسائل الإعلام العالمية بيد أعدائنا الصهاينة وهي في قبضتهم، وقد كانوا أعداءنا لأنهم

بتاريخ ٢٠١١/٢/٢٤.

١. من خطابه في ليلة ذكرى الدفاع المقدس بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢٦م.

أعداء النظام الإسلامي، وكانوا ينشرون كلّ ما بوسعهم ضدّنا. هكذا كانت حالنا[١].

العزيمة في مواجهة التحديات العالمية

إنّ هذه الذكريات جميعها مليئة بالعِبَر. آنذاك؛ هذا النظام العالمي نفسه الّذي يدّعي الدفاع عن حقوق البشر، دافع عن صدّام حسين وعن جرائمه تلك. إنّ جيل شبابنا اليوم يعلم، وينبغي أن يعلم أنّ بلدنا العزيز وحدود البلد الغربية ومن ضمنها منطقة كردستان، كانت مختبر الكذب والخداع، ومختبر الأخطاء الكبيرة التي لا تُجبر الّتي ترتكبها الأنظمة الّتي تدّعي [حماية] حقوق البشر[٢].

في اليوم الثالث أو الرابع من الحرب، اجتمعتُ بمسؤولي البلاد، ورئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، وعدّة أشخاص من نواب المجلس والعسكريين وغيرهم، وكان آنذاك بني صدر رئيساً للجمهورية، والمرحوم «رجائي» رئيساً للوزراء؛ كنا نتناقش معاً ونستشير بعضنا الآخر. في هذه الأثناء اقترب أحد العسكريين مني وقال: «إنّ الرفاق في الغرفة الثانية يريدونك في عمل خاص»، فنهضتُ وذهبتُ إليهم، وكان المرحوم فكوري[٣]، والمرحوم فلاحي[٤] وبعض الإخوة الآخرين هناك. سألتُهم: «ما الأمر؟!» فأحضروا ورقة، وما زلتُ أحتفظُ بها كما أحتفظُ بالمدونات الأخرى، وقالوا لي هذه هي طائراتنا؛ مثلاً إف ٥، إف٤، سي١٣٠، وأنواع أخرى، وهي طائرات عسكرية مقاتلة أو خاصة بالشحن، وكانوا قد كتبوا سبعة أو ثمانية أو عشرة أنواع، ثم كتبوا أمام كل نوع العدد المتوفّر منها

---

١. المصدر السابق نفسه.

٢. من خطابه خلال لقاء أهالي مريوان بتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٦م.

٣. جواد فكوري (١٩٣٨ - ١٩٨١) ولد في تبريز. واستشهد في السابع من مهر ١٣٦٠ أطراف كهريزك عندما كان في منصب «وزير الدفاع» جراء سقوط طيارة تقله هو ومجموعة من القادة.

٤. ولي الله فلاحي (١٩٣١ - ١٩٨١) كان رئيس الأركان المشتركة لجيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية، واستشهد في السابع من مهر ١٣٦٠ أطراف كهريزك عندما كان في منصب «وزير الدفاع» جراء سقوط طيارة تقله هو ومجموعة من القادة.

وصلاحيتها، وقالوا يوجد في هذه الطائرات بعض القطع التي تحتاج إلى تغيير باستمرار في كل مرة تطير فيها أو كل مرتين، ونحن لا نمتلكها؛ لهذا تنتهي خلال خمسة أيام أو عشرة أيام صلاحية هذا النوع من الطائرات، وتصبح في حكم العدم، وبعد إثني عشر يوماً ينتهي النوع الآخر من الطائرات، وبعد أربعة عشر أو خمسة عشر يوماً ينتهي النوع الثالث. وقد كان أطولها عمراً الطائرات من فئة سي ١٣٠؛ حيث لن تكون قادرة على الطيران بعد ثلاثين أو واحد وثلاثين يوماً؛ أي أن٣الجمهورية الإسلامية لن يكون لديها أيّ وسيلة جويّة بعد واحد وثلاثين يوماً - سواء المقاتلة منها أو الخاصة بالشّحن. وقالوا: «يا سيد! هذا هو حال حربنا؛ فتفضّل وأخبر الإمام بالأمر». ولا أُخفي عليكم أنني شعرتُ بالخوف وقلتُ عجباً! وماذا سنفعل من دون طائرات؟! بينما العدو يستعمل الطائرات الروسية باستمرار. وإن لم يكن طياروهم بمستوى طيارينا، لكن حجم العمل كان كبيراً، وكانوا يأتون تباعاً؛ ولديهم أنواع من محاربات الميغ. أخذت الورقة إلى الإمام وكان في جماران آنذاك؛ وقلت: «يا سيد! هؤلاء السادة قادتنا وكل أمورنا العسكرية بيدهم، وهذا ما يقولونه؛ يقولون إنّ طائراتنا الحربية لن تخدم أكثر من خمسة عشر أو ستة عشر يوماً، وآخر طائرة لدينا وهي طائرة للشحن من نوع سي ١٣٠ لن تخدم أكثر من ثلاثين يوماً أو واحد وثلاثين يوماً. بعدها لن يكون لدينا أيّ طائرة على الإطلاق». نظر الإمام وقال كلاماً مفاده: «ما هذا الكلام؟! قل لهم بأن يذهبوا للحرب، والله بنفسه يُصلح الأمور، ولن يحصل أيّ شيء».

من الناحية المنطقية، لم يكن كلام الإمام مقنعاً بالنسبة لي؛ لأنّ الإمام لم يكن متخصصاً بالطائرات؛ لكنني كنتُ أعتقد بأحقيّته ونورانية قلبه وتسديد الله له. كنت أعرف أنّ الله تعالى اختاره من أجل عملٍ عظيم ولن يتركه لوحده، لذلك رُبط على قلبي. فعدتُ وأخبرتُهم في اليوم نفسه أو اليوم التالي، بأنّ الإمام يقول لكم اذهبوا وأصلحوا ما يمكنكم إصلاحه وأقدموا.

نفس تلك الطائرات من نوع إف ٥ وإف٤ وإف ١٤ وهذه الّتي كان من المقرّر

أن تتوقف عن العمل بشكلٍ كامل بعد خمسة أو ستة أيام، لا زلنا نستعملها إلى الآن في قوّاتنا الجوية. لقد مرّ تسع وعشرون عاماً على عام ٨٠م ولا تزال هذه الطائرات تعمل. طبعاً؛ تعرّضت بعضها لإصابات في الحرب وسقطت، وأُصيبت أخرى بطلقات، ولم يعد بعضها الآخر قابلاً للاستعمال، لكن كان لدينا تطور مقابل ما فقدناه؛ حيث نجح المهندسون في صناعة القطع اللازمة وسدّ الفراغ الموجود واستيراد بعض القطع الممنوعة من خلال بعض الطرق رغم أنف الدول التي فرضت علينا العقوبات، وتمكنوا من حفظ تلك الطائرات [وصيانتها]. وفضلًا عن ذلك؛ تعلّموا منها وصنعوا نوعين من الطائرات الحربية بأنفسهم.

وكما تعلمون استطاعت قوّاتنا الجوّية أن تصنع نوعين من الطائرات الحربية الآن - طبعاً؛ هي ليست مثل طائراتنا السابقة، لكنهم استطاعوا الاستفادة منها في النهاية، فهؤلاء المهندسون نجحوا في التعلم والاستفادة من التجارب، والتّخطيط بأنفسهم. كما أننا لا زلنا نملك تلك الطائرات الّتي كانت لدينا[1].

التحدي العسكري والمعجزة الإيرانية

في بداية الحرب، اعترض بعض الإخوة الّذين اعتادوا على الأنظمة والاجراءات العسكرية الروتينية وقالوا: «ما هذا الذي تقولونه؟! كيف يمكننا مقابلة العدو بهذا العدد من الدبابات! فعندما يضع العراق خمسين دبابة في الميدان، يجب مقابلته بالعدد نفسه، ونحن لا نمتلكه!». وكان ما يقولونه صحيحاً؛ فنحن لم نمتلك هذا العدد فعلاً. في إحدى الليالي ذهبتُ بنفسي وعددتُ الدبابات الّتي نملكها، ومن المفترض أن يبلغ عددها حدود مائة وعشرين من الناحية التنظيمية، فوجدتُ أنّها سبع عشرة دبابة فقط. فكان هناك لواء عسكري عند «دب حردان» يتصدى للقوات العراقية؛ لكنه مجهز بسبع عشرة دبابة بدلاً من مائة وعشرين. نعم؛ كانوا يقولون لا يمكن ذلك، لكن الشباب الإيراني أثبت

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء مكتب القائد وحرس ولي الأمر بتاريخ ٤/٢٥/ ٢٠٠٨م.

خلاف ذلك، فالشابّ التعبوي، والجندي، والضابط العسكري أو ضابط الحرس، صنع معجزة وأثبت أنّ هذا ممكناً.[1]

استراتيجية صيد الدبابات في الحرب

في الساعات الأولى من بداية الحرب، كنتُ في إحدى المصانع القريبة من المطار، ولديّ محاضرة أريد أن أُلقيها هناك، فكنت جالساً في غرفةٍ أنتظر حتى يحين وقت الخطاب، وكانت الغرفة مشرفة على المطار؛ فجأة علا صوت ضجيج ورأيتُ الطائرات تهبط. لم أعرف ما الأمر في البداية؟! ثم قالوا أننا تعرّضنا لهجوم وقد قصفوا مطار «مهرآباد». ذهبتُ إلى الاجتماع الّذي كانوا قد عقدوه وكان العمّال بانتظاري، فخطبتُ فيهم لعدّة دقائق ثم أخبرتُهم بطروء عملٍ يضطرني للذهاب.

ذهبتُ بعدها إلى مقرّ القيادة المشتركة؛ حيث الجميع مجتمعون هناك؛ أي المرحوم الشهيد رجائي، والشهيد بهشتي، والسيد بني صدر، وغيرهم. وبدأنا نتناقش حول الأوضاع وما علينا فعله، واقترح أحد الحاضرين أنه علينا أن نتكلّم إلى الناس أوّلاً؛ لأنّهم لا يعرفون بما يجري، وحتى نحن لم نكن نعرف حدود القضية، فكنّا نعلم فقط أنّهم قصفوا عدّة مدن غير طهران، لكن لم نعرف [حتى تلك الساعة] أيّ المدن. وعند الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر وقبل انتشار بيان الإمام رضوان الله تعالى عليه، طلبوا مني أن أكتب نصّ بيان، فكتبتُ نصّاً، وجاء وفد من قبل الراديو وأذاعوا [ذلك البيان] بصوتي، ومن المفترض أنه لا يزال موجوداً في أرشيف الإذاعة والتلفاز. بقيتُ في المقرّ لما يقارب ستة أيام بلياليها وأيامها، وفي أغلب الأوقات لم أكن أذهب إلى البيت، وقد يقتصر ذهابي على ساعة أو ساعتين ثم أعود.

وفي تلك المدة، كنا نتلقى اتصالات مستمرة من دزفول والأهـواز، وكانوا

---

١. من خطابه خلال لقاء الشباب والمثقفين في مصلى رشت بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢م.

يُخبروننا بوجود نقص في القوات، أو المعدات، أو الإمكانـات. آنذاك، خطر على بالي القيام بخطوة فعالة وهي الذهاب إلى دزفول، والبقاء هناك، وإصدار البيانات ونشرها، والطلب من الشباب القدوم للمساعدة [والتطوع في الحرب]، لكن كان عليّ أن أستأذن الإمام أوّلاً، فلا يمكنني الذهاب دون إذنٍ منه. لذا؛ ذهبتُ إلى جماران، وكنت أحتمل عدم موافقته؛ [لأنّه] في بعض الأحيان كان يتردّد في الموافقة على أمور السفر وما شابه. فقلتُ للمرحوم الحاج أحمد: «أنا أريد أن أذهب وأُخبر الإمام بهذا الأمر وأطلب منه إذناً بالذّهاب إلى الجبهة وإلى دزفول، وأُريدك أن تُساعدني لتحصيل موافقة الإمام».

وافق الحاج أحمد، ودخلنا الغرفة معاً. كان هناك عدّة أشخاص في الغرفة، من ضمنهم المرحوم شمران، فقلت للإمام: «أظنّ بأن ذهابي إلى الجبهات أكبر تأثيراً [وفائدة] من بقائي هنا؛ فاسمحوا لي بالذّهاب»، فوافق الإمام على الفور؛ أي على خلاف ما ظننت من أنه سيرفض طلبي. وعندما سمعتُ ذلك شعرتُ بالفرح العارم، وعندها قال المرحوم شمران: «سيدي! إذاً اسمحوا لي أنا أيضاً بالذهاب»، فوافق أيضاً. فالتفت أنا إلى المرحوم شمران، وقلتُ له: «انهض إذاً، ماذا تنتظر؟ قم لنذهب معاً». خرجنا من هناك وكان الوقت قبل الظهر، وكنتُ أنوي الذهاب مباشرةً، لكن قال لي شمران: «لننتظر حتى العصر». صحيح أنني كنتُ لوحدي، ولم يكن معي أحد يرافقني، لكن كان لدى شمران عدّة وعُدّة، فعندما رافقته وجدتُ معه ستين أو سبعين شخصاً مستعدّين قد تلّقوا التدريبات معه، وكان يريد أن يصطحبهم ويجمعهم من هنا وهناك؛ لهذا قال لي: «انتظر حتى العصر ولنذهب إلى الأهواز بدلاً من دزفول، الأهواز أفضل»، فوافقت؛ لأنّه كان يفوقني خبرةً وتجربة.

عندها ذهبتُ إلى المنزل وودّعت العائلة، وكان لديّ ستّة أو سبعة مرافقين شخصيين أيضاً؛ فسرّحتهم من الخدمة، وقلت لهم: «إنني ذاهبٌ إلى ميدان الحرب، وأنتم ترافقونني عادةً كي لا أقتل، ولا معنى للحراسة الشخصية في ساحة

الحرب!». أخذ هؤلاء المساكين يبكون ورفضوا تركي، فقلت لهم لن آخذكم معي. فطلبوا أمراً آخر وهو أن يذهبوا ويشاركوا هم أيضاً في الجبهة لا بصفتهم مرافقين لي، فوافقتُ. وذهبوا معي إلى تلك المنطقة الّتي ذهبت إليها وبقوا هناك حتى النهاية.

انطلقنا إلى الأهواز عصراً مع المرحوم شمران على متن طائرةٍ من طراز سي ١٣٠. كانت الأهواز مظلمة بشكلٍ كامل.

وقد وجدتُ أنّ بعض الروايات والكتابات عن مناطق الحرب تُخالف الحقيقة بشكلٍ كامل، فقد رأيتُ تلك المناطق الحربية - أي الأهواز - في الأيام الأولى عن قرب، وبقيت هناك لمدة من الزمن. فبعض الرواة المحترمين غير الثوريين الّذين أرادوا كتابة تقارير حول الحرب، خالفوا في كتاباتهم الواقع عن الأهواز، والأمر ينطبق على الكتابة عن مناطق أخرى أيضاً، فهناك شخص آخر كتب عن طهران، وكان ما كتبه خلاف الواقع ومغيراً للحقيقة. يجب على كتّابنا ورواتنا أن يحضروا في الميدان، ويكتبوا هذه الأشياء، فإذا لم نكتبها نحن فسيكتبها الآخرون بشكلٍ آخر.

خلاصة الأمر؛ أننا وصلنا ليلاً وكان الظلام يُخيم على الأهواز. ذهبنا إلى مقر الوحدة ٩٢ في الظلام وأمضينا وقتاً فيه، ثم ذهبنا إلى مبنى المحافظة وبقينا هناك. في تلك اللّيلة الأولى الّتي وصلنا فيها، قال المرحوم شمران لجماعته: «سنذهب في عملية»، فسألتُ عن نوع العمليات. فقال: «سنذهب لصيد الدبابات». وكنتُ أمتلك رشاشاً خاصاً بي، فسألتُ: «هل آتي أنا أيضاً؟»، فقال: «نعم؛ ما المشكلة! تعال أنت أيضاً». وأنا بدوري نزعتُ زي عالم الدين، وأعطوني ملابس عسكرية واسعة وغير مناسبة، فارتديتها وذهبتُ بها ليلاً؛ في حال أنّني لم أكن قد تدرّبتُ عسكرياً، ولم يكن لديّ سلاح مناسب، فلم يكن أحد يذهب لصيد الدبابات بالرشاش. طبعاً؛ لم يكن معهم آر بي جي وأمثال ذلك أيضاً؛ بل

كان معهم مثل هذا السلاح وأمثاله[1].

بداية العمليات العسكرية وتوزيع المعدات

لقد كان مع المرحوم شمران الكثير من المرافقين؛ ربّما حوالي خمسين أو ستين شخصاً. فأحضروا بعض البدلات العسكرية إلى مقرّ كتيبة ٩٢ [المدرّعة]، حتى نبدأ العمل منذ الليلة الأولى؛ حيث كان الرّفاق في المحافظة والفرقة قد أخبرونا: «الآن الساحة ساحة صيد الدبابات وحرب العصابات»، فقال شمران: «سنبدأ الآن». الخلاصة أنهم أحضروا البدلات لهم. قلتُ للمرحوم شمران: «ما رأيك بأن أرتدي واحدة منها؟»، فوافق على ذلك، وأخذتُ بدلة منها. لكنّها كانت فضفاضة واسعة، فقد كنتُ آنذاك أنحف من الآن، ولم تكن مناسبة لي. بعد عدة أيام أحضروا لي بدلة عسكريةً خاصّة بأصحاب الرتب وعليها رتبة فرقة مدرعة، فاعترض الآخرون ممن كانوا برفقتي، وكنّا قد اعتدنا على بعضنا الآخر بعد مرور عدّة أشهر، أنه لماذا رتبتك ليست مدفعية؟ أو لماذا ليست مشاة؟ وما هي خصوصية المدرعات؟ لذلك نزعتُ هذه الشارة كي لا أبدو بمظهرٍ مختلفٍ عنهم[2].

الروحانية والمشاركة في الحرب

كانت تلك المرة الأولى الّتي أرتدي فيها زياً عسكرياً، ولم يكن أي رجل دين قد ارتدى ملابس عسكرية حتى ذلك الحين. لكن بعد مرور شهرين أو ثلاثة كان رجال الدين الّذين يترددون باستمرار إلى خرمشهر وآبادان، وكانوا يشاركون في الحرب بزيّهم وعماماتهم في بداية الأمر، صاروا يرتدون زياً عسكرياً تدريجياً، وبعضهم يرتدي زياً عسكرياً مع العمامة، والبعض يرتديه بدونها. في تلك الليلة أعطوني ملابس واسعة غير مناسبة، ووضعت قبعة على رأسي، وارتديتُ جزمة

---

١. من خطابه في ليلة ذكرى الدفاع المقدس بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢٦م.

٢. من خطابه أثناء لقاء مخرجي برنامج «روايت فتح» التلفزيوني بتاريخ ٩/٢ /١٩٩٣م.

وحملت رشاشاً أيضاً[١].

على أيّ حال؛ ارتديتُ البدلة وحملتُ السّلاح، ولا أذكر إذا كان سلاحي أنا أم سلاح شخص آخر. فهذا السّلاح الّذي رأيتموه في الفيلم على كتفي، هو الرّشاش الخاص بي، وما زال بحوزتي، كان أحدهم قد أهداني إيّاه. وهو مختلف عن غيره من الكلاشينكوفات؛ حيث فيه مخزن لخمسين طلقة. ذهبتُ إلى العمليات في تلك الليلة الأولى، وربّما استمرّت لمدة ساعتين أو ثلاثة، هذا في حال أنّني لم أكن أجيد القتال، وكنت أجيد إطلاق الرصاص فقط، ولم أكن أعرف شيئاً عن العمليّات الحربيّة أصلاً.

خلاصة الأمر أنّ أحد الأعمال التي كنتُ أقوم بها في الأهواز كان تجهيز الفرق الّتي تذهب إلى صيد الدبابات، حسبما كان يُقال في تلك الأيام. كانت دبابات العدو قد وصلت إلى «دب حردان»، وكانت تبعد عن الأهواز أقل من عشرين كيلومتراً، وكانت قذائفها تصل إلى الأهواز، فهي تُطلق قذيفة عيار ١٢٠ أو أقل[٢].

في أواسط شهر تشرين الأول، ذهبتُ إلى منطقة العمليات (شهر تشرين الثاني عام ٨٠ وحتى أواخر شهر أيار أو أوائل شهر حزيران عام ٨١)، وكان ذلك بعد حوالي خمسة عشر يوماً من بدء العمليات، وخلال هذه الأشهر الثمانية أو التسعة، كنتُ مستقرّاً في «الأهواز» لا في «آبادان». وبعدها أُصبتُ ولم أتمكّن من الذّهاب ثانية. كانت نيّتي في البداية الذّهاب إلى دزفول، لكن تبيّن لي لاحقاً أنّ الحاجة في الأهواز أمسّ من بعض النواحي الأخرى[٣].

تعلم استخدام الأسلحة وتنظيم الصفوف

بقيتُ في خوزستان إلى نهاية ذلك العام، وفي العام التالي، ذهبتُ أول

١. من مقابلة أجرتها مجلة «أميد انقلاب» (أمل الثورة) مع سماحته بتاريخ ١٩٨٧/١/٦م.

٢. من خطابه أثناء لقاء مخرجي برنامج «روايت فتح» التلفزيوني بتاريخ ٩/٢/ ١٩٩٣م.

٣. المصدر السابق نفسه.

شهرين تقريباً إلى الغرب، وأجريتُ دراسةً شاملة عن كامل المنطقة، بهدف جمع المعلومات والأمور اللّازمة، حتّى نعود ثانية لاحقاً ونستأنف العمل، لكن صادف ذلك بداية أحداث طهران مما حال دون عودتي [إلى المنطقة].

في تلك المدّة، كنتُ متواجداً في الأهواز أغلب الوقت، وإن كنتُ قد قصدتُ في الأيام الأولى الذّهاب إلى «خرمشهر» وآبادان، لكن لم يتسنّ لي ذلك، لكثرة الأعمال في الأهواز والتي تُحتّم علينا البقاء هناك ولا تُتيح لنا فرصة التّحرك من ذلك المكان؛ فضلاً عن أنّ الفِرق التي كانت تُحارب من خرمشهر كانت بحاجة للدّعم من الأهواز، فلم يكن لديها مصدر دعم آخر.

بشكلٍ عام، كان هناك نوعان من الأعمال التي نقوم بها؛ والأوّل؛ هو ما يتعلّق بالأهواز نفسها كـ [تنفيذ] العمليات، وتنظيم فرق حرب العصابات والمجموعات الصغيرة للقتال في ساحة الحرب. في مقرّنا، كان المرحوم شمران هو قائد التّنظيمات، وأنا استلمتُ بدوري بعض المسؤوليات، فكنتُ أعمل قدر استطاعتي[1].

دعم القوات والمعدات في الأهواز

النّوع الآخر من الأعمال؛ هو خارج الأهواز، كدعم خرمشهر وآبادان، وبعدها عمليات كسر حصار آبادان والتي بدأت من منطقة «محمدية» القريبة من «دارخوين». ولقد كان السيد «رحيم صفوي»؛ أي اللواء صفوي - ليحفظه الله للثورة - من أوائل من بدأوا بعمليات كسر الحصار قبل أشهر، والتي استتبعتها حصول عمليات «ثامن الأئمة»[2] فيما بعد.

فكان النّوع الثّاني؛ هو مساعدة هؤلاء وإيصال القذائف لهم، والتي علينا أن نأخذها من الجيش عنوة، طبعاً؛ المشكلة لم تكن من الجنود، فقد فكانوا

---

١. المصدر السابق نفسه.

٢. عمليات «ثامن الأئمة» بدأت في ١٩٨١/٩/٥م وأدّت إلى فكّ الحصار عن آبادان.

يسلّموننا إياها طوعاً ورغبة، لكن كان قائد الجيش آنذاك يمانع من إخراج هذه الأمور [من سلاح وما شابه] بشدّة؛ لذا كنّا نحصل على بعض الأسلحة لإخوتنا في الحرس بصعوبة. ولم يجرؤوا على الامتناع عن تسليمها لأركاننا؛ لأنني أنا بنفسي كنت هناك والسيد شمران، وأنا كنتُ ممثّل الإمام.

بعد أسبوعين أو ثلاثة من ذهابنا إلى المنطقة، تُليت رسالة الإمام [الخميني] على المذياع، وكانت تنصّ على أنّ فلاناً والدكتور شمران يُمثلانني في جميع أمور الحرب و.. لذلك؛ كان بإمكاننا الحصول على كلّ ما نحتاجه؛ بخلاف شباب الحرس الذين كانوا في مضيقة، خاصّة أولئك الذين يودّون الذّهاب إلى منطقة العمليات، فكانت إحدى مهامّنا هي تقديم الدعم لهم[1].

على أيّ حال؛ فالمرحوم شمران هو من بدأ بهذه التربية وتدريبات الحرب، وحدّد بعض الأماكن من أجل التدريب. وللإنصاف كان بنفسه ماهراً في حرب العصابات؛ حيث تدرّب عليها في فلسطين ومصر قُبيل انتصار الثورة؛ بخلافي أنا الّذي لم يكن لديّ أي خبرة في هذا المجال. كما كان يتمتّع بقوة جسدية وليونة أكثر مني. وعندما دار الحديث عن تعيين قائد للعمليات، صوّتنا كلّنا له من دون تردد. وصرتُ أنا من المسؤولين عن مجموعة التنظيمات تلك[2].

الإيمان بقدرة الله على إصلاح الأمور

كنت أراه بنفسي كيف يُعلّم القوات استعمال الـ (آر بي جي)، والّذي لم تكن قواتنا تجيد استعماله؛ فهو لم يكن ضمن أسلحتنا التنظيمية، ولم نكن نمتلكه أساساً أو نجيد استعماله، لكن شمران كان قد تعلّم كيفية استخدامه في لبنان، وكان يقول آر بي جي باللّجهة العربية، واستطاع تأمين بعض القطع منه من طرق خاصّة. لقد كان رجلاً عملياً في الساحات وأثناء العمليات. انظروا إلى

١. المصدر السابق نفسه.

٢. المصدر السابق نفسه.

خلطته العجيبة [وعجينة شخصيته]: عالم حاز على أعلى المراتب في الفيزياء والبلازما، إضافة إلى شخصية الرقيب المدرّب في العمليات العسكرية، مع مزيجٍ من المشاعر المرهفة، والإيمان القوي والصلابة![1]

الدخول في العمليات الحربية والمشاركة الفعلية

كان [المرحوم شمران] عالماً، يتمتّع بشخصيّة بارزة ولديه الكثير من المؤهلّات، وقد أخبرني بنفسه أنّه عندما كان يتلّقى دراساته العليا في الجامعة في الولايات المتحدّة الأمريكية، كان أحدَ أفضل اثنين في تلك الجامعة والقسم والاختصاص. كما كان يُخبرني عن مواقف الأساتذة معه وعن تطوّره في المجالات العلمية، لقد كان عالماً بما للكلمة من معنى، لكن آنذاك بلغ إيمان هذا العالم العاشق مبلغاً جعله يترك الشّهرة، والمال، والمقام، والمنصب، والمستقبل الدنيويّ الّذي يبدو عقلائياً في ظاهره، وينخرط في العمل الجهادي مع «الإمام موسى الصدر»، وذلك عندما كان لبنان يمرّ بأكثر أوقاته مرارة وخطورة.

فنحن في عام ٧٨م كنا نسمع أخبار لبنان، وكانت شوارع بيروت قد تحوّلت إلى دشم، والصّهاينة يقومون ببعض التّحركات إضافة إلى تلقّيهم الدعم من الداخل [اللبناني]. لقد سادت حالة عجيبة ومؤلمة، وكانت الساحات مزدحمة وصاخبة. آنذاك، وفي ظلّ تلك الأوضاع وصلَنا ونحن في مشهد شريط مسجل من المرحوم شمران، وكانت هذه بداية تعرّفي عليه. كان قد سجّل في هذا الشّريط محاضرةً استغرقت ساعتين من الزمن، ليوضّح المشهد في لبنان وما الّذي يجري هناك. لقد كان الخطاب جذّاباً جداً، ويتميّز برؤية واضحة، ونظرة سياسية ثاقبة وفهمٍ عميق للوضع؛ حيث شرح ما الّذي يجري في ذلك المشهد الصاخب، وما هي الجبهات والجهات الموجودة، ومن الّذي يرغب باستمرار هذه الحرب الأهلية في بيروت، كلّ هذا خلال ساعتين في تسجيل صوتي. نعم؛ لقد ذهب [شمران]

---

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء التعبئة في هيئات الجامعات العلمية بتاريخ ٢٠١٠/٦/٢٣م.

إلى هناك وأمسك بندقيته بيده، ثمّ تبيّن أنه يمتلك نظرةً سياسيةً وفهماً دقيقاً وهو مسلّح بمصباح يخترق ضباب عصر الفتنة؛ فالفتنة مثل ضباب كثيف تُعكّر الأجواء، وينبغي أن يتسلّح الإنسان بمصباح يخترقها ألا وهو البصيرة.

لقد حارب [شمران] هناك، وعندما انتصرت الثورة عاد إلى إيران، وسجّل حضوراً في الأماكن الحساسة منذ بداية الثورة؛ حيث ذهب إلى كردستان ونشط بفعاليّة في المعارك الّتي حصلت هناك، ثم جاء إلى طهران واستلم مسؤولية وزارة الدفاع. وبعد أن بدأت الحرب، ترك الوزارة وباقي المناصب الحكومية وغيرها وجاء إلى الأهواز، حارب وصمد إلى أن استشهد في ١٩٨١/٦/٢١م. لم يكن للمنصب ولا للدنيا ولا مظاهرها أيّ قيمة عنده. على الرغم من أنه لم يكن شخصاً بارداً لا يفهم بملذّات الدنيا؛ بل بالعكس كان مرهفاً، يتمتّع بذوق جيد، وكان مصوّراً محترفاً، فقد قال لي مرة «لقد التقطتُ آلاف الصور لكنني لست فيها لأنني كنت المصوّر دائماً». لقد كان فناناً، قلبه صافٍ؛ مع أنه لم يدرس عرفاناً نظرياً، وقد لا يكون تلقّى أي درس توحيدي أو سلوك عمليّ عند أي أستاذ، لكن فطرته كانت سليمة تبحث عن الله وتطلبها، وقلبه نقيّ، كان من أهل المناجاة ومن أهل المعنى.

إضافةً لذلك؛ كان شمران إنساناً منصفاً، ولا بدّ أنكم تعرفون قصة «باوه»؛ حيث حوصر مع عدّة أشخاص على مرتفعات «باوه» بعد عدة أيام من بداية الحرب من قبل مناهضي الثورة، وكادوا يصلون إليهم، لكن عندما علم الإمام بالأمر انتشرت رسالةً صوتية له على الراديو يأمر الجميع فيها بالتّوجه إلى باوه، وكانت الساعة الثانية بعد الظهر، وعند الساعة الرابعة بعد الظهر كنت أرى الناس في شوارع طهران يركبون الشاحنات الكبيرة والصغيرة، وما لديهم من وسائل نقل؛ سواء العسكريين أو المدنيين ليذهبوا إلى باوه، وقد كان هذا حال بقية المدن أيضاً.

عندما فكّ الحصار وعاد المرحوم شمران إلى طهران، اجتمعنا في جلسة،

في محضر الحبيب

وكان يُقدّم تقريراً لرئيس الوزراء آنذاك[1]، وكانت تربطهما علاقة ودّية وقديمة أيضاً. قال المرحوم شمران في ذلك الاجتماع: «عندما انتشرت رسالة الإمام عند الساعة الثانية، وبمجرد انتشارها وقبل أن يصلنا أيّ خبر عن انطلاق الناس نحو باوه، شعرنا بانفكاك الحصار عنا»، وأردف قائلاً: «لقد كان حضور الإمام وقراره ورسالته مؤثراً وسريعاً، وبمجرّد وصوله إلينا شعرنا كأنّ جميع الضغوطات انتهت؛ فَقَدَ مناهضو الثورة معنوياتهم، وفي المقابل شعرنا بالنّشاط يدبّ فينا، فهاجمنا وكسرنا حلقة الحصار واستطعنا الخروج». عندها غضب رئيس الوزراء ونهر المرحوم شمران قائلاً: «نحن من فعل كل هذا، وبذلنا كل هذا الجهد، لِمَ تنسب جميع الأمور للإمام؟!»؛ أي لم يكن [المرحوم شمران] يجامل أحداً؛ بل كان منصفاً، فمع أنه كان يعرف أنّ هذا الكلام سيتسبّب بالاعتراض لكنه قاله.

كما تعلمون؛ تعرّضت «سوسنجرد» للاحتلال مرتين، فقد سقطت مرة ثانية بعد تحريرها أول مرة، وبذلنا الكثير من الجهد لكي تأتي قوات الجيش وتنظّم الهجوم وتقبل الانطلاق إليها واستعادتها، وكانت قوات الجيش تحت قيادة شخص آخر. [وبعد تنظيم الهجوم والقيام بما ينبغي] وفي اللّيلة الّتي كان من المقرّر أن يتم الهجوم من الأهواز إلى سوسنجرد، وعند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وصلَنا خبر بانسحاب إحدى الوحدات التي كان من المقرر أن تشارك في هذا الهجوم، مما يعني إحباط الهجوم قبل تنفيذه أو إفشاله بالكامل. قمتُ حينها بكتابة رسالة لقائد الجيش الّذي كان في الأهواز[2]، وكتب المرحوم

---

١. المقصود هو مهدي بازركان.

٢. نصّ رسالة سماحته إلى قائد الفرقة ٩٢ للمدرعات:
ليلة الإثنين ١٩٨٠/١١/١٧م، الساعة ١:١٠
الرئيس الضابط قاسمي قائد الفرقة ٩٢ المدرعات الأهواز
السلام عليكم، سمعت أنّ الجنرال ظهيرنجاد اتصل بك كي لا تشارك الوحدة ٢ في العمل المقرّر غداً إلّا عند صدور الأمر. ويقصد أمر رئيس الجمهورية. أنا لا أعتبر هذا العدول عن قرار العصر أمراً مقبولاً، وهو يعني إيقاف أو إفشال عمليات الغد. إنّ جهوزية العدو تصل لدرجة أنّ

شمران رسالة أيضاً - حيث زارني ذلك القائد المحترم مؤخّراً وأعطاني نفس تلك الرسالة، وكان قد علقها في إطار، وتعود ذكراها إلى ما قبل ثلاثين عاماً؛ والآن تلك الورقة موجودة معي[1]- وبقينا نحاول إلى ما بعد الساعة الواحدة ليلاً كي يتم الهجوم في صباح اليوم التالي. ثم ذهبتُ لأنام وانفصلنا عن بعضنا الآخر.

قمتُ في الصّباح الباكر، وكانت القوات العسكرية التابعة للجيش قد انطلقت، فانطلقتُ بدوري مع مجموعة الأشخاص الذين يرافقونني خلف قوات الجيش. وعندما وصلنا إلى المنطقة، سألت: «أين شمران؟»، قالوا: «لقد جاء شمران عند الصباح الباكر وهو في الأمام»؛ أي كان شمران قد تحرّك، وانطلق وتقدّم مع مجموعته عدة كيلومترات إلى الأمام قبل أن تنطلق القوات المنظمة. ثم نجح هذا العمل الكبير وأُصيب شمران آنذاك.

ليرحم الله هذا الشهيد العزيز. هكذا كان شمران، لم تكن تهمّه الدنيا والمنزلة، ولا المال، ولا الشهرة، ولا باسم من سينتهي العمل. لقد كان منصفاً

سريّتَي المشاة تينك لا يمكنهما القيام بفعل شيء ما أمامه، وإذا لم يتدخّل اللواء معهم في الحقيقة لا يمكن للهجوم أن يتم، وإذا أردنا انتظار مجيء الجنرال ظهيرنجاد حتى الصباح فسيفوتنا الوقت. إنّ شبابنا سيقاومون في سوسنجرد حتى الصباح على أكثر تقدير، وإذا لم نُخفف من حجم هجمات العدو بمقدارٍ ما، فسيُقضَى على الجميع، وستسقط المدينة كاملاً. الخلاصة هي أنه حسب معطياتنا وتشخيصنا يجب أن يتم العمل كما اتفقنا عصراً، ويجب ان يكون اللواء جاهزاً للمساعدة صباحاً. في غير هذه الحالة تقع مسؤولية سقوط سوسنجرد على أيّ شخصٍ خالف هذا القرار وعدل عنه.

السيد علي الخامنئي

١. جاء قائد الوحدة قاسمي في عام١٩٩٩م إلى منزل القائد مع آخرين. في هذا اللقاء طلب منه سماحة السيد علي الخامنئي أن يعرّف نفسه بعد أن كان واقفاً في صفوف الصلاة، وقد تغيّر شكله كثيراً. بمجرّد أن يقول: «ضابط المدرعة المقر قاسمي» وقف قائد جميع القوّات وقال: «قائد الفرقة ٩٢ المدرعات الأهواز! أهلاً وسهلاً بك في مجلسنا». في هذا المجلس يقدّم القائد قاسمي أصل رسالة العمليات الأولى في سوسنجرد في إطار إلى سماحة القائد. يعتبر المرحوم قاسمي لقاء قائد جميع القوات بعد ثلاثين سنة أكبر حدث في حياته.

من دون مجاملة، وشجاعاً، ومجدّاً. لقد كان مرهفًا ورقيقاً يتمتع بذوق شاعري وعرفاني، وجندياً مقداماً في الحرب في آنٍ واحد[1].

العالم والأستاذ التّعبوي: توازن بين العلم والإيمان

هكذا يكون العالم والأستاذ التّعبوي، وإنّ ما رأيناه عن قرب هو نموذجه الكامـل؛ حيث يخلو وجود مثل هذا الإنسان من تناقض الأصالة والتجدد والإيمان والعلم، ويُعدّ الكلام عن مثل هذه الأمور عبثًا. إنّ هذه التناقضات الخادعة والكاذبـة، والتي تُطرح بعنوان نظريات ويتّبعها البعض لاهتمامه بامتدادها العملي، كلها لا معنى لها في وجود مثل هذا الإنسان، فهو يمتلك علماً وإيماناً، وأصالةً وتجددا، ورأياً وعملاً، وعشقاً وعقلاً. وما قيل:

با عقل آب عشق به يك جو نمى رود

بيچاره من كه ساخته از آب وآتشم

[لا يجري العقل وماء العشق في نهر واحد

فأنا المسكين المخلوق من الماء والنار]

غير دقيق؛ بل كان لديه نار وماء معاً، وذلك العقل الإيمانيّ والمعنوي لا يُنافي العشق أبداً؛ بل هو من يُعزز هذا الإيمان المقدّس الطاهر[2].

عملية استطلاع في دب حردان

[في إحدى المرّات]، تقرر أن نذهب في عملية استطلاع حددها شمران بنفسه، فرافقته أنا وبعض الشباب، وكانت العملية في إحدى المناطق المعروفة بـ «دب حردان» والتي تقع في غرب الأهواز، وكنّا نريد الذّهاب من الشمال باتجاه تلك المنطقة؛ أي من معبرٍ يقع وسط جادة سوسنجرد. ذهبنا إلى المكان المقرر

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء التعبئة في هيئات الجامعات العلمية بتاريخ ٢٠١٠/٦/٢٣م.

٢. المصدر السابق نفسه.

وثبّت الشباب مواقع القذائف هناك، ثم اتجهنا نحو دب حردان للاستطلاع، لنحدّد مواقع العدو وخصائصها.

عندما وصلنا إلى إحدى النقاط، انقسم الشّباب إلى عدّة مجموعات للاستطلاع في مختلف الجهات. وكنتُ أنا ومجموعة نستطلع إحدى النقاط، في الأثناء عادت المجموعة الّتي كانت ذاهبة لاستطلاع الأمام، وقالوا باضطراب شديد بأنّ ناقلة جند عراقية قد مرّت، وهي إمّا أنها جاءت لأجل الاستطلاع، أو أنها رأتنا، فجاؤوا ليقبضوا علينا، فكان هناك احتمال الوقوع في الأسر وهذه الأمور.

وعندما رأى الدكتور أنّ أفراد هذه المجموعة لا يحملون الآر بي جي، أرسل معهم عدّة أشخاص يحملون آر بي جي، لكنّ ذلك لم يكفه أو يُطمئن باله، فقرر الذهاب هو الآخر، وقد أردتُ الذهاب أيضاً، لكنه لم يوافق وطلب مني البقاء حتى عودته. وأذكر أنّ صوت ناقلات الجند كان مسموعاً؛ أي أن الآلية كانت على مسافة قريبة منا، ولربما يفصلنا عنها عدة مئات من الأمتار فقط. وكان معنا آر بي جي وأسلحه فردية من نوع جي ٣ ورشاش، جلسنا في مكاننا ننتظر عودتهم، أو اللحاق بهم في حال احتاجوا للإسناد والدعم.

في هذه الأثناء بدأوا بضربنا بإلقاء القذائف نحونا، وكنّا نحتمي بظلّ شجرة من الحرّ. فبدأوا بقصفها بشدة والتي كانت بمنزلة علامة.

انبطحنا قليلاً واتّخذنا وضعية الدفاع، لكن عندما رأينا أنّ النيران اشتدّت، قررنا التراجع إلى الخلف قليلاً من حيث أتينا، فعدنا مائة متر إلى الخلف، وانتظرنا لنرى ماذا سيحصل، هل سيستمرّون بالقصف أو أنهم سيتوقّفون. انتابنا الضحك بينما كنا ننسحب إلى الخلف بسرعة. في الأثناء، ألقوا عدة قذائف، فانبطحنا ثانية، لقد غمَرنا لطف الله فعلاً إذ لم تصبنا، فكانت الشّظايا تتناثر حولنا على الأرض مصدرة أصواتاً مسموعة، كما كان هناك مجرى ماء قريب منا [كانت هذه الشظايا] تقع فيه وتُصدر صوتاً خاصاً لأنها كانت حامية.

عندما تراجعنا قليلاً، رأينا أنّ تلك النقطة الّتي كنّا جالسين فيها؛ أي في ظلّ الشجرة قد أصيبت، ولو كنا هناك، لكانت هذه القذائف ستسقط وسط المجموعة بيننا نحن الستة أو السبعة، ولا بد أنّ بعضنا كان سيستشهد. الغرض هو أنّ سعادة الشهادة لم تكن من نصيبنا، وكان من نصيبنا سعادة البقاء على قيد الحياة[1].

نورانية التعبوييين وذكرى مع الرائد رستمي

لقد شاع في مرحلة الدّفاع المقدس أن يُقال بأن فلاناً يسطع نوراً؛ أي أنه سيستشهد قريباً. ولقد رأيتُ نورانية حضور التّعبوييين بنفسي عدّة مرات، وهناك ذكرى مرتبطة بمحافظتكم، من الجيّد أن أذكرها لكم. كان هناك رائد يُدعى الرائد رستمي، عرفنا لاحقاً أنّه من أهالي «آشخانه»، انضمّ إلى التعبوييين برغبته الشّخصية، وكان عنصراً في فريق الشهيد شمران، وكنت أراه يتردد باستمرار إلى الكتيبة.

في إحدى الليالي، كنت جالساً مع المرحوم شمران، وكنّا نتكلّم حول بعض الأمور المرتبطة بالجبهة وأعمال اليوم التالي؛ فدخل الشهيد رستمي هذا، وكان قد مضت عدّة أيام دون أن أراه فيها؛ حيث كان في منطقة العمليات، وأنجز العديد من الأمور، وجاء [إلى الشهيد شمران] حتّى يقدّم تقريراً. كان ملطّخاً بالوحل من رأسه إلى أخمص قدميه؛ حذاؤه متّسخ، وثيابه كذلك، ووجهه متعب، ولحيته كثّة؛ لكن عندما نظرتُ إلى وجهه، كان نورانياً يسطع مثل القمر. ولم يسبق لي أن رأيتُه بمثل هذه الحالة، ثم استشهد بعدها. لقد كان عسكرياً، لكنه دخل الميدان مع التعبوييين، وكان يمارس أنشطته، ويجاهد، ويُقدّم العديد من التّضحيات مع التعبوييين في مجموعة الشهيد شمران، ثم نال الشهادة.

الكثيرون رأوا هذه النّورانية، وقد رأيتُها أنا أيضاً، ورآها آخرون أكثر منّا. وهذا

---

١. من مقابلة مع الفريق التلفزيوني التابع للحرس بتاريخ ١٦/١/ ١٩٨٢م.

ناجم من الحضور القويّ[1].

لحظات الخطر: الشظايا ونعم البقاء على قيد الحياة

كان شباب مجموعة الشهيد شمران يجتمعون في مقرّ أركان حرب العصابات، ويذهبون كل ليلة لتنفيذ العمليات ويصطحبونني معهم أحياناً. وكان المقرّ قريباً مكان من كتيبة ٩٢ [المدرعة]. في إحدى الليالي، طلب ضابطٌ رؤيتي، وأظنُّ أنه كان عميداً أو رائداً، وقال: «أُريدك في أمرٍ خاص». ظننتُ أنه يُريد طلب إجازة مثلاً، وشعرتُ بالغيظ قليلاً؛ ففي خضمّ هذه الأحداث ليس الوقت وقت الحصول على إجازة؛ لكنني رأيتُه قد أتى حزيناً والعبرة تخنقه وقال: «هل يمكن أن يأخذني الشّباب معهم إلى العمليات عندما يذهبون ليلاً؟». فقد جاء هذا العميد ليرجو منّا الذهاب مع الشباب برفقة الشهيد شمران لقنص الدبابات. هذه هي المشاهد والتّجليات التي كان الإنسان يراها هناك[2].

لقاء مع الإمام بعد العودة من الجبهة

في إحدى المرات في عام ١٩٨٠م، كنتُ قادماً من الأهواز إلى طهران، ولأنني كنت مرتدياً الملابس العسكرية ارتديت قباء فوقها، وكانت إحدى عاداتي هي لقاء الإمام مباشرة بعد الوصول من السّفر. في عصر أحد أيام الخميس حيث جئتُ إلى طهران من أجل صلاة الجمعة، ذهبتُ إلى لقائه مباشرة وتحدّثتُ معه في أمورٍ تتعلق بالجبهة وعُدتُ ثانية. ربما كانت تلك المرة الأولى التي ألتقي به فيها بعد ذهابي إلى الجبهة. يومها، وبينما كنتُ أخلع جزمتي عند الباب كان ينظر إلى هيئتي من خلف الزّجاج وقد ارتديتُ الملابس العسكرية، وعندما وصلتُ إليه وقبّلتُ يده، قال لي: «سابقاً كان ارتداء هذه الملابس يُخالف المروءة

---

١. من خطابه خلال لقاء التعبويين في محافظة خراسان الشمالية بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٥م.

٢. من خطابه خلال لقاء قدامى الجهاد والشهادة وأصحاب الذكريات في مكتب أدبيات المقاومة بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٢٢م.

والآن وصلت الأمور إلى هنا بحمد الله». شعرت أنه كان مسروراً. في البداية كنتُ أشعر ببعض الترديد [لارتداء الزي العسكري]، وفي المرة الأولى التي ارتديت فيها الملابس العسكرية، كنت أفكر هل هذا العمل صحيح أو لا؟ لكن بعد أن رأيتُه يبتسم، وبعد ما قاله لي أدركتُ أنه سرّ لذلك[1].

رسالة إلى بني صدر قبل سقوط خرمشهر

ز من هذا الحادث الأليم[2]: لقد كتبت هذه الرسالة للسيد بني صدر قبل عدة أيام من سقوط خرمشهر. آنذاك، أرسلتُ هذه الرّسالة إلى مكتب الإمام وإلى الوثائق السّرية لمجلس الشورى الإسلامي، ووثّقتها فى أرشيف مجلس الثورة، وأرسلتُها إلى مجلس الدفاع الأعلى من أجل تسجيلها في التاريخ. وكان سبب إرسالي هذه الرسالة هو أنني ذهبتُ للقاء الإمام، فأرسل عبري رسالة قصيرةً إلى جميع القادة العسكريين ذكر فيها عدّة نقاط؛ منها: «إنني أشعرُ أنّ المسؤولين يعملون بتراخٍ قليلاً في آبادان وخونين شهر. فإذا كان ذلك يفوق طاقتكم وقدراتكم، أخبروني حتى أتّخذ القرار [المناسب] بنفسي في هذا الصدد، فأنا مسؤولٌ أمام الإسلام وهذا الشعب». ولقد سجّلتُ كلام الإمام هذا بحذافيره وأرسلتُه مباشرة في تلغرافٍ إلى السيد بني صدر في نفس تلك الليلة . وفي المقابل ردّ السيد بني صدر على تلغرافي بآخر حادٍ جداً وصلني في الصباح الباكر من اليوم التالي، ولا يزال نصّه موجوداً حتى اليوم، أبدى فيه استياءه الشّديد وانزعاجه من أسئلتي وكلماتي والتلغراف الذي وجّهته إليه. وأنا بدوري أجبتُ على تلغرافه بهذه الرّسالة المسهبة جداً والتي أقرأ قسماً منها الآن.

«فيما يتعلّق بخرمشهر وآبادان، كنتُ أقول ولا أزال أقول بضرورة حماية هاتين المدينتين من خلال كتيبتَي مشاة مؤللتين، أو كتيبة مشاة مؤللة وكتيبة

١. من خطابه خلال لقاء رجال الدين في وحدة الإمام الصادق عليه السلام ٨٣ المستقلة بتاريخ ١٩٩١/١٢/٢م.

٢. يُشير إلى حادثة سقوط القسم الغربيّ من خرمشهر.

مدرّعة تتموضعان في طرفي هذه المدينة، فتتصدّى إحداهما للحماية في محور خرمشهر - شلمجة، والأخرى في تقاطع خطوط ماهشهر -آبادان والأهواز- آبادان. وينبغي أن تُحمى الدبابات بالدّشم، وتُحفظ من مضادات دبابات العدو، وتمنعه من التقدّم من جهة، وتؤمّن الإسناد لعناصرنا لمهاجمة العدو وإلحاق الأذى به من جهة أخرى. لقد سألتني في التلغراف بأنّني لماذا لم أُخبرك عن القوات الأخرى في حين أنني أعلم بوجودها. وإنّ هذا الأمر مثيرٌ للتعجبّ! القوة التي لديّ اطلاع عنها هي قوة الجيش، وفي الحقيقة أنت قائدها؛ هي قوات المشاة والقوات المدرّعة المستقرّة في دزفول والّتي تتفقدها أنت مرّتين يومياً على حدّ تعبيرك! وأقول بأنّه يمكن تخصيص جزء من هذه القوى المتراكمة، والتي لم يتم الاستفادة منها حتى الآن من أجل هذا الهدف».

هذا قسمٌ من الرسالة التي كتبتها للسيد بني صدر. وقد أشار في تقريرٍ كتبه آنذاك ولم يُنشر في جريدة «انقلاب اسلامي»[1] لعدّة أسباب[2]، إلى موضوع خرمشهر وإصراري على هذه المسألة بهذا الشّكل: وصلنا اتّصال من آبادان يُفيد بسقوط خرمشهر. الكولونيل رضوي فر قيل إنّ المسؤول عن الدفاع عن خرمشهر مصاب بالتيفوئيد، وهو يقول باستمرار: «لقد وعدتموني بإرسال الدّعم حتى اليوم وإرسال القوات، لماذا لم ترسلوها؟ أنتم مسؤولون أمام الله وهذه الأمة»، ثم أمسك الدكتور شيباني بالهاتف وكان يصرخ ويتوّعد، فوبّخته عدة مرات، وقلتُ

---

١. هذه الجريدة لصاحبها ومديرها «السيد حسن بني صدر»، وقد بدأت بالصدور من تاريخ ١٩٧٩/٦/٢٠م في طهران وإلى تاريخ ١٩٨١/٦/٧م، وكان قد انتشر منها ٥٥٧ عدداً. أوقفت جريدة انقلاب إسلامي بأمر من محكمة الثورة الإسلامية، وذلك بسبب نشر مقالات مثيرة للتعصبات ومخلّة بمبادىء الإسلام والحقوق الاجتماعية الحديثة والثورية للشعب الإيراني المسلم خصوصاً في زمن الحرب.

٢. «تقرير للناس» أو «شهادة رئيس الجمهورية»؛ هي كتابات بني صدر اليومية للناس والتي كان ينشرها في جريدة انقلاب إسلامي. كانت هذه التقارير تُضيء على الخلافات الموجودة بين قادة البلاد، وتُخلّ بالوحدة العامة نوعاً ما.

له هل القوات بيدي كي أقذفها نحوك؟! عندما توجّب عليكم أن تتعقّلوا لم تفعلوا ذلك، وأخفيتم عنّي الحقيقة، وفتحتم السّاحة أمام الانتهازيين، فضربوا بدورهم الجذور[1]. من بقي [من القوات] حتى أرسله لكم؟ لم تتعاونوا معي في أيّ مجالٍ من المجالات، ودائماً عندما كانت حياتي ووجودي في معرض الخطر تركتموني وحيداً..

وكتب في الصفحة الّتي تليها: طبعاً وإذا تمكّنا من إنهاء الحرب، فنكون لازلنا في البداية، وأمامنا مشاكل أكبر تُعيق طريقنا، ولقد حذّرتكم في السابق قبل أن يفوت الأوان. وفي ٨ أيلول أخبرتُكم بالأمر وحذّرتُ ثانية، وللأسف في اليوم التالي أبدى «ثلاثة فرسان» اعتراضهم بالطريقة التي ظهرت للجميع. وبعدها تكلّم رئيس المجلس بنحوٍ يبدو فيه أنّ الإمام طلب منه أن يفعل هذا، ثمّ تبيّن أنّ الإمام قال بأنّ لا شأن له بهذا الأمر، أنتم أعلم بما تُريدون فعله[2]. السيد رجائي أيضاً صعد المنبر في هذا المجلس، وقال بجرأة إنه إذا وُجّهت إهانة لأحد من وزرائه، فإمّا هو أو أنا، وقال إنه لن يجلس مع رئيس الجمهورية على طاولةٍ واحدة أبداً. صحيح!! لقد صار مدعياً أنّه المرشَّح من قِبل الشعب. ثم ضغطوا عليّ ثانية من كل جانب حتى أترك الموضوع ولا أُتابعه أكثر. حسناً؛ أين هؤلاء الّذين يركضون خلف السلطة بهذا الشكل؟ أين هؤلاء الّذين أرادوا ويريدون أن

---

١. توضيح آية الله خامنئي: مقصود (بني صدر) هو مسألة فضح الانقلاب العسكري وإلقاء القبض على عناصره؛ حيث يعتبر أنّ سقوط خرمشهر أو دخول الأعداء مسافة ٨- كيلومتر في أراضينا هو من تداعيات تلك المسألة.

٢. توضيح آية الله خامنئي: أعتقد بوجوب إدلاء شهادتي هنا: أنا وصلت إلى الإمام بعد ١٧ يونيو، وبعد أن تكلم كثيراً. قال لي بأنّ السيد بهشتي والشيخ هاشمي لم يقولا شيئاً. وأجاب على جزء من خلافات السيد بني صدر. لقد نقلت تعبير الإمام حينها إلى باقي الإخوة وقلت بأنه تعبير الإمام، هو من يقول هذا. والآن انظروا من يكتب هذا الكلام! يقول إنّ الدكتور شيباني يصيح ويصرخ بأن أرسلوا القوات، وكذلك رضوي، لكن السيد يجلس في المجلس ويقول للشعب الذي ينبغي أن تتمركز كل قواه وتفكيره على خرمشهر التي هي على وشك السقوط ويكتب ما كتبه.

تكون أدوات القوة بأيديهم؟ لِم لا يلبّون نداء آبادان وخرمشهر؟ (لقد ترك السيد رجائي خرمشهر إلى حين وصوله إلى رئاسة الوزراء عندها يتابع الأمر). قالوا بأنهم سيوصلون الدّعم إلى هناك، وقالوا في البداية سيُرسلون خمسة آلاف شخص، وعشرة آلاف شخص، ثم تناقص عددهم حتى صاروا ٥٠٠ شخص، وحتى هؤلاء لم يصلوا بعد. نعم؛ عندما يكون هناك خطر يُخلون الساحة أيضاً.

أنا بيّنت كذب الادعاءات في هذه الرسالة، وقلتُ بأننا أرسلنا خمسة آلاف من القوات ودخلوا إلى هناك. أرسلناهم ولستُ أنا من أرسلتهم، أنا من هنا اتصلتُ باللجنة والحرس، واتّصلتُ بمشهد، وبجميع الأماكن الّتي أمكنني التّواصل معها. ونتيجةً لذلك دخل خمسة آلاف مقاتل إلى الأهواز، وأنا بنفسي استلمتُهم، وذهبوا إلى ماهشهر وخرمشهر وكانوا هناك[1].

رحلة إلى الأهواز واستقبال القوات

كنتُ أرغب في الذّهاب إلى آبادان [فور دخولي الأهواز]، لكن لم يتسنّ لي ذلك، حتى أنني قلتُ يوماً: «يجب أن أذهب بأيّ شكل كان». وكان هذا أثناء حصار آبادان، فالعدو كان قد عبر نهر كارون وذهب باتّجاه الغرب وتوسع في عملياته، فقُطع طريق الأهواز وآبادان، وبقيت جادة خرمشهر والأهواز مقطوعةً طيلة مدّة سيطرتهم على خرمشهر، لكنّ جادّة آبادان كانت لا تزال مفتوحة ويمكن التّردد منها. وعندما جاء العدو إلى هذه الجهة وسيطر على «سرپل» وأخذ يتوسع شيئاً فشيئاً، أُغلقت تلك الجادة أيضاً، وبقيت جادة ماهشهر وآبادان؛ لأنّ ماهشهر كانت تتصل بجزيرة آبادان، لا بآبادان نفسها، والأخيرة كانت تحت القصف أيضاً؛ الجادة الثالثة كانت في معرض القصف، وفي الحقيقة لم يبقَ سوى طريقين أو ثلاثة وهي غير آمنة أيضاً؛ أحدها هو الطريق البحري والّذي كان خطراً؛ والآخر هو الجوي، ومشكلته تكمن في أنّ المسؤولين في

١. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي خلال جلسة دراسة كفاءة بني صدر السياسية بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

ماهشهر لا يعطون المروحيّات بسهولة. كما كان هناك طريق ترابيّ خلف جادة ماهشهر، غير الجادة الأصلية، يمرّ من خلف السواتر الترابية، وكان الشباب قد أعدّوه بألف آه ويا ويلاه، لكن يصعب اجتيازه بسبب وجود بعض المواضع فيه في مرمى نيران العدو المباشرة، وقد فقدنا العديد من الأشخاص هناك. طبعاً؛ سرعان ما تمّ إغلاق هذا الطريق أيضًا، وبقي الطريق البحرّي والجوّي فقط.

وقد ذهبتُ بدوري عبر طريق الجو من ماهشهر إلى جزيرة آبادان. آنذاك، تولّى قيادة هذه العمليات كلّ من الشهيد «جهان آرا»[1]من الحرس، والشهيد «أقارب برست»[2] من الجيش وهو أحد شهداء أصفهان، وهو من ضبّاط المدرعات المميزين الّذين بقوا هناك، والرائد «هاشمي».

لقد كانت معي صورةٌ تذكراية جميلة عن هذه الرحلة، لكن إذا تمّ نشر هذه [المقابلة]، فحبّذا مَن أحضرها لي في المرة الأولى لو يطبعها ويُحضرها لي ثانية. طبعاً؛ إذا كان يملك أرشيفها؛ لأنها صورة تذكارية ممتازة كانت قد التُقطت لي بداية دخولي إلى آبادان في مركزٍ تابع لتعبئة «فارس»، أثناء إلقائي خطاباً بين [الشباب من] أهالي شيراز وطهران. قبلها لم يكن أحدٌ يعلم بقدومي إلى آبادان، وكان برفقتي أربعة أو خمسة أشخاص قلنا: «لنذهب ونتحدث إلى الشباب.»

وعندما دخلنا المدينة من جهة الجزيرة، ذهبنا إلى خرمشهر، وكان الشباب في الجانب غير المحتلّ منها. وأثناء خطابي التقطوا لي تلك الصورة، وكانت فريدة لم أر مثلها. أحد قادة الطاجيك الّذين جاؤوا إلى هنا قبل مدة رآها وأعجبته فأخذها. وكان الرّائد هاشمي قد أرسلها لي هدية، لا أعرف إذا ما كان قد استشهد أو لا يزال على قيد الحياة. على كل حال؛ أتذكر أنها صورة مجموعة شباب من

---

١. الشهيد «السيد محمد علي جهان آرا» (١٩٥٤- ١٩٨١) كان قائد حرس خرمشهر والّذي استشهد إثر وقوع الطائرة في أطراف منطقة «كهريزك» بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٩م.

٢. الشهيد «حسن أقارب برست» (١٩٤٦- ١٩٨٤) معاون عمليات الجيش ٩٢ في مدرعة جيش الجمهورية الإسلامية والّذي استشهد في جزيرة مجنون بتاريخ ١٠/١٧/ ١٩٨٤م.

الحرس ومجموعة من الجيش ومجموعة من التعبويين.

في جزيرة آبادان، زرتُ وحدة الدرك، ثم زرتُ مقرّ الحرس والّذي تُطلقون عليه اليوم اسم (الفندق)، ولا أعلم إذا كان فندقاً بالفعل أو لا، فكنت أظن أنه مخزن مثلاً.

خلاصة الأمر أنني لم أبقَ سوى يوم أو يومين في آبادان، وبعدها عدتُ إلى الأهواز. وقد وجدت الأوضاع ملفتة هناك؛ ففضلًا عن غربة مجاهدينا، كانوا يفتقرون إلى الإمكانات، وكان الإنسان يشعر بغربة الجمهورية الإسلامية؛ فعدد القوات قليل، وضغط العدوّ شديد وتهديداته كبيرة. كان لدينا هناك ستّ دبابات فقط، وكان السيد «أقارب برست» هو من جمعها من هنا وهناك، وأصلحها وأسّس كتيبة دبّابات، وهي كتيبة ناقصة في الحقيقة. كان شباب الحرس يُحاربون بالرشاشات والقنابل والقذائف وحسب. في ظلّ هذه الظروف، كانت المعنويات في أعلى مستوياتها، لقد كان أمراً مذهلاً بالفعل! وكانت رؤية هذه المشاهد أمراً مثيراً جداً بالنسبة لي.

كانت زيارتي هذه بهدف الحصول على تقريرٍ دقيقٍ عن المكان لمتابعة الأعمال، فكنتُ أودّ معاينة المنطقة عن قرب لمعرفة ما عليّ فعله من جهة، وحتى أشجّع المجاهدين الّذين كانوا هناك من جهة أخرى. [وهكذا فعلت] ذهبتُ وشكرتهم فردًا فردًا، وسألتُ الله أن يمنّ عليهم بالعافية، كما خطبتُ في كلّ مكان [ذهبت إليهُ] وألقيت بعض الكلمات، والتقطتُ صوراً تذكارية مع شباب التعبئة هناك وعدت. هذا ملخّص حضوري في آبادان، الذي لم يتجاوز اليومين أو الثلاثة طيلة مدّة الحرب. و[كما ذكرت سابقًا] كان مكان استقرارنا الأساسي هو الأهواز.

لقد رأيتم في أحد المقاطع في الفيلم أننا كنّا نعبر من البيوت المهجورة؛ لأنّ المنطقة كانت في مرمى نيران العدو بشكلٍ كامل، فوصل المجاهدون البيوت

الخالية - التي فرّ أهاليها أو هاجروا من آبادان وخرمشهر - ببعضها الآخر، بعد إزالة الجدران فيما بينها؛ حتى يتمكّنوا من الوصول إلى أقرب خطّ من العدو حيث كانت المسافة تبلغ مائة متر أو أقل أو أكثر، كانوا. الآن لا أذكر هل حصل هذا الأمر في آبادان أو خرمشهر؟ الاحتمال الأقوى أنه حصل في خرمشهر في منطقة «كوت شيخ».

عندما يدخل الإنسان إلى هذه البيوت، يواجه مناظر مُحزنة، وكنّا نعبرُ عشرات البيوت لنصل إلى نقطة التّماس المباشر مع العدو. وقد رأيتُ كيف كان شبابنا يطلقون النار بمفردهم بعد أن وصلوا إلى خلف الدشم المشرفة على مكان تردّد الأعداء بالضبط. طبعاً؛ كان العدو يرمي النار بشراسة بمجرّد تعرّضه لإطلاق رصاص، لكن شبابنا لم يكونوا يُبالون بذلك.

كان هذا جزءاً من البيوت الّتي ذهبتُ إليها ورأيتها، كانت بيوتاً خالية قد تُرك الأثاث فيها ولم يوضّب بشكلٍ جيد، ممّا يدل على تشرّد الناس وفقرهم بحيث تركوا وسائلهم هكذا خلفهم، ولقد كان مشهداً مؤثّراً جداً![1]

أنا في نفس عصر الغربة ذاك، وعندما كانت خرمشهر تحت احتلال العدو، ذهبتُ إلى مكان قريب من جسر خرمشهر ورأيتُ كيف كان الوضع هناك بأمّ عيني. جوٌّ ممزوج بالحزن، والقلوب يملأها الأسى، والعدو مستقر في خرمشهر بمساعدة قوّات العدو الأجنبية التي تُقدّم له الدّعم، أمريكا هذه والغرب ومدّعي حقوق البشر الكاذبين والمنافقين؛ من دبابات وإمكانات متطورة وطائرات حديثة، وقوات مسلحة بشكلٍ كامل. [من هذه الجهة] لم يكن شبابنا يملكون حتى سلاح آر بي جي، كانوا يحاربون بالبندقية؛ لكن بإيمان وعزمٍ راسخ. هؤلاء الشباب أنفسهم ذهبوا إلى وسط الميدان بأيدٍ خالية، لكن بقلوب مفعمة بالأمل والإيمان بالله تعالى، مع افتقارهم للمعدّات المتطورة أو الخضوع لدورات

---

١. من مقابلة مع منتجي برنامج «روايت فتح» التلفزيوني بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢م.

تدريبية حربية، وقد استطاعوا التغلّب على جميع هذه الأمور[1].

زيارة لأحد المواقع المحررة والتعامل مع شهداء الجبهة

كان الشباب الّذين يتقدّمون إلى الأمام بكامل قوّتهم، يقولون لي مراراً وتكراراً: «المكان هنا خطير». كنت أقول: «لا؛ يجب أن أصل إلى أيّ مكانٍ فيه أحد وأقابل الأشخاص الموجودين هناك».

المكان الأخير الّذي ذهبنا إليه كان تحت الجسر، فالجسر كان مهدّماً، وطريق جسر آبادان خرمشهر كان مقطوعاً لا يمكن التردد عليه. لهذا؛ فتح شبابنا طريقاً تحت الجسر يصل إلى المكان المحطّم، وقد وصلتُ إلى نهايته. وحسبما أظنّ أننا أقمنا الصلاة جماعة هناك. لقد رأيتُ الحماس والمقاومة في كلّ مكان، وهذه خلاصة تواجدي في آبادان وتلك المنطقة الّتي لم تكن محتلة من خرمشهر أو كوت شيخ[2].

لقاء مع أهالي مريوان وتجارب على الحدود العراقية

في أحد الأيام وبينما كنتُ ذاهبًا لاستطلاع نقطة استطاعت قواتنا استردادها والسيطرة عليها في الجبهة بعد أن كان العدو قد سيطر عليها سابقاً؛ حيث كنت أتفقّد تلك الخطوط، والوحدات، والدّشم وشبابنا الأعزّاء المجاهدين، فجأة رأيتُ اثنين من الإخوة المرافقين لنا قادمين مسرعين، والعرق يتصبّب منهما، وكانا منزعجين وقلقين بحيث فصلاني عن المجموعة التي كانت تُقدّم تقريراً لي ليخبراني بأمرٍ هام.

وعندما سألتُهما عن سبب انزعاجهما، قالا: «بينما كنا نتجوّل في هذه المنطقة وقع نظرنا على جسد شهيد قد بقي هنا تحت الشمس». انقلبت حالتي،

---

١. من خطابه خلال اللقاء مع عوائل الشهداء بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٠م.

٢. من المقابلة مع منتجي برنامج «روايت فتح» التلفزيوني بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢م.

وطلبتُ من الإخوة المسؤولين في ذلك الخط وفي تلك المنطقة أن يُتابعوا هذه المسألة سريعاً، ويحضروا جسد هذا الشهيد وكذلك أجساد باقي الشهداء التي من الممكن أن تكون قد بقيت. لكن في تلك الحال قلتُ في قرارة نفسي روحي فداء لجسدك الممزق يا أبا عبدالله! في مثل هذه الحالات يُدرك الإنسان صعوبة ما عاشتُه السيدة زينب الكبرى، عندما ألقت نفسها على جسد أخيها العاري ونادت بذلك الصوت الحزين وذلك اللحن الأجش، وانتشرت كلماتها في الفضاء وعبر التاريخ «بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى»[1].

الذكرى الثمينة من مريوان إلى مرتفعات تته

إنني أذكرُ عام ٨٠م جيداً، حيث قابلتُ أهالي مدينة «مريوان» الودودين خلال سفري إلى هذه المدينة، وذهبتُ مع وحدة تربوية، كانت مدرسة ابتدائية على الأغلب، وتكلّمتُ مع الفتية هناك. لا بدّ أنّ أولئك الفتية أصبحوا في متوسط العمر الآن.

كما ذهبتُ برفقة بعض أهالي مريوان إلى منطقتي «دزلي» و«دركي» حسبما أذكر، وكانت منطقةً حساسةً ومهمة جداً، وطبيعتها خلّابة، وأهلها ودودين كثيراً؛ لكن للأسف وبسبب ظلم أعداء الشعب الإيراني وأعداء الثورة الإسلامية أصبح هؤلاء الناس الجيدون، وأصبحت هذه المنطقة الجيدة، وهذه الجبال الشاهقة الخضراء، وهذه السهول الواسعة، ساحات محتدمة للمواجهات، وكان العدوّ قد نجح في استغلال مرتزقته واستعمالهم وسيلةً لقمع الناس ولتوجيه ضربة إلى النظام الإسلامي وتحقير الشعب الإيراني بشكلٍ غير مباشر.

إنني أذكرُ جيداً كيف استقبلني الناس بوجوهٍ بشوشة في دزلي، وبعدها خرجتُ مع الإخوة هناك لزيارة مرتفعات «تته» المطلّة على الأراضي العراقية؛ حيث كان المرتزقة الخبثاء السّفلة قد اخترقوا الناس فيها، وأخبروا الأعداء بحضورنا،

---

١. من خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٨٨/٨/٢٦م.

فأرسلوا طائراتهم. وفي الأثناء، وبينما كنا ننطلق باتّجاه المرتفعات، رأينا طائرات العدو تمرّ من فوقنا، فعلمنا أنهم قد خططوا لحركةٍ ما في دزلي. فعُدنا ووجدنا أنهم وللأسف قد قصفوا المدنيين والناس الموجودين في الأزقة والأسواق، مما أدى لإصابة البعض بجروح واستشهاد البعض، فحملنا أجساد الشهداء وبعض الجرحى، وعدنا إلى مريوان[1].

الهجوم على الهويزة: شجاعة وتضحية في الصفوف الأمامية

كنتُ في منطقة «الهويزة» في الخامس من كانون الثاني عندما هاجمت قواتُنا القوات العراقية. وإنني أرى أنّه من الواجب عليّ أن أشكر وأنوّه باسم قائد تلك الفرقة وهو العقيد «لطفي»، والّذي كان يتحرّك في ذلك اليوم في الصّفوف الأولى بشجاعة، وإيمان ودون خوف، وكان يذهب إلى هنا وهناك في ساحة الحرب. لقد وجدته عقيداً شجاعاً وجديراً. لقد كانت السّاحة ساحة حرب، وقوّاتنا تُهاجم، وقد تفرّق جيش الأعداء، والخطر يُهدد الفرقة بأكملها لكنّها مع هذا كانت تتنطلق [لتحقيق أهدافها].

طبعاً؛ كان شباب الحرس هناك أيضاً، وكانت السّاعة الثانية والنصف بعد الظهر تقريباً، وكنت أرى أولئك الشباب الّذين استشهدوا، في الخطوط الأمامية بين هويزة وتلك المنطقة، يتحرّكون باتّجاه الخطّ الأمامي، ويذهبون باتجاه حدود كرخه كور، فكانوا قادمين من الغرب إلى الشرق؛ بينما قوّات العدو تتحرّك بعكس ذلك الاتجاه فارّين من أجل الالتحاق بقوّاتهم في «دب حردان» والتي تقع في غربيّ الأهواز وشرقها. آنذاك، قلتُ لبعض الإخوة بأنّ قوّاتنا تتقدّم أيضاً، فلا تستعجلوا [للالتحاق]، لكنهم أرادوا الذّهاب. وأنا بالفعل لا أجد أحداً مقصّراً في تلك الحادثة.

وفي اليوم التالي؛ أي في السادس من كانون الثاني، كنتُ هناك حتى الساعة

---

١. من خطابه خلال لقاء الناس في مريوان بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١٧م.

الثالثة والنصف بعد الظهر، وكان السيد بني صدر هناك أيضاً، وبدأت قوّاتنا تتعرض لضربات [وهجوم مضاد] تدريجياً، فقد التحقتْ قوة دعمٍ عراقية كبيرة بالعدوّ، واستهدفت قوّاتنا من الخاصرة مما لم يكن بالحسبان لقوّاتنا وأنظمتنا الاستخباراتية، وعندها بدأت قوّاتنا بالتراجع.

عند الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، جئتُ إلى المدينة بعجلٍ كي ألتحق بالفرقة الأخرى الموجودة في مقرّ المدينة، وأؤكّدَ على القادة والضباط وأنبّه عليهم للدّخول من جهة أخرى. كما جاء بعض الإخوة العسكريين الآخرين من أجل الحصول على بعض التّجهيزات، ويشهد الله كان الجميع في تلك الساعة يبذلون ما بوسهم؛ أي أنّني لم أجد أحداً يتقاعس عن العمل من المسؤولين الّذين لديهم مناصب عالية؛ سواء كانوا عسكريين أو غير عسكريين. طبعاً؛ عندما وصلتُ، لم يكن السيد بني صدر موجوداً؛ ربّما كان يتناول الطعام أو يُصلي أو ينام، لكن بعد ساعة أو ساعتين أتى وبقي لعدّة ساعات وكان شاهداً على أحداث الهزيمة، وأخبرنا بما جرى لاحقاً.

على أيّ حال؛ عندما كان شبابنا يستشهدون في الهويزة، لم أرَ تذرّعاً أو خللاً عمدياً أو خيانة لا سمح الله، كما لا أنفي وجودها بشكلٍ قاطع، فقد قيل بأنّ هذا الأمر حصل بسبب السيد بني صدر. كلا الأمر لم يكن كذلك. صحيح أننا لدينا اعتراض وانتقاد منطقي وموثّق على بني صدر ولا نحتاج لإدانته في هذا الأمر [لإثبات تقصيره] عندما لا يوجد أيّ دليل عليه، فأنا لا أعتبر أنّ ما حصل هو بسبب بني صدر أو أنّ الذنب ذنبه. طبعاً؛ ذلك حسب تشخيصي في الحدّ الّذي كنت مطّلعاً على الأمور فيه، وإذا كان ثمّة خطأ ارتكبه، فهو في أماكن أخرى[1].

طبعاً؛ كان هناك عدة شهور بين صدور أمر الإمام [بكسر حصار آبادان] و[تنفيذ] عمليات «ثامن الأئمة»، ولم يتم هذا الأمر فوراً، لكن الإمام شخّص

١. من خطابه في مجلس الشورى الإسلامي خلال جلسة دراسة كفاءة بني صدر السياسية بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١م.

المسألة بشكلٍ صحيح. وعندما تُحلل تُدرك أنه كان هناك هدفان هامّان للعدو: الأول؛ قطع اتصال إيران بالعراق عند الجنوب؛ أي آبادان، وخرمشهر وجزيرة آبادان بشكلٍ عام. والآخر هو دزفول.

وتكمن أهمية الأخيرة في أنهم لو عبروا جسر «كرخه» وهـددوا دزفول وقطعوا طريقها، لتمكّنوا من إطباق الحصار على خوزستان ولقُطعت الطريق علينا. لذا؛ كان لدزفول أهمية استراتيجية عند العدو، وقد وضع خمسة أو ستة فرق أمامها، بحيث ملأ كامل منطقة «دشت عباس»، وقد رأيت ذلك المكان عن قرب. ولا بدّ من الإشارة إلى انّ العدو لم يرغب في الاحتفاظ بدزفول، ولم يكن هذا بالهدف الممكن تحقيقه بالنّسبة له، فالمهم بالنسبة إليه هو جزيرة آبادان، يريدها بهدف السيطرة على طرفي نهر «أروند».

فهدفه النهائي الأخير هو جزيرة آبادان وبتبعها آبادان وخرمشهر. لذلك؛ كانت هاتان المنطقتان حساستين. استطاعوا السيطرة على خرمشهر في تلك الأيام الأولى بالرغم من وجود تلك المقاومة وذلك الحماس العجيب؛ أي أنّ الأمر كان من الصعوبة بمكان لا يُمكن الدفاع فيه، فحصلوا عليها. لكنّهم فشلوا في الحصول على آبادان. وبما أنّهم لم يتمكّنوا من الدّخول من تلك الجهة، أرادوا الالتفاف والدخول من الجزيرة. كانت خطة دقيقة يقوم بها العدو، ويتقدّم خطوة خطوة وكان موفقاً فيها. وكما قلت فإنّ جزيرة آبادان كانت قد حوصرت في الحقيقة.

لكن الإمام أشار إلى أمرٍ حساس، وأكّد عليه وقال: «يجب كسر هذا الحصار.»؛ وبذلك تم إفشال إحدى خطّتَي هجوم العدوّ الأساسيتين وأحد الهدفين، وهو السيطرة على بعض المناطق في إيران. وطبعاً؛ عندما يُصدر الإمام أمراً، يمتثل الشّباب له ويُنفذّونه.

لذا؛ فإنّ هذا الأمر كان أمراً حكيماً ومحسوباً بدقّة. بعد صدور أمر الإمام

حسبما أذكر، انطلق بعض شباب الحرس واختاروا منطقةً قريبةً من نقطة عبور العدو من نهر «كارون» على حدود «مارد» تقريباً، وأظنّ أنّ اسمها كان «محمدية». وحفروا الأرض هناك ودخلوا في دشم قريبةٍ من العدو؛ على الرّغم من افتقارهم إلى أقل المعدّات. كان قائد ذلك الفريق هو السيد «رحيم صفوي»، الذي كان يأتي إلى الأهواز باستمرار ويطلب منّا المعدّات. وكنتُ بدوري أطلب منه تقديم تقرير عن عمله، وأُلاحظ مسار تقدّمهم خطوةً بخطوة، منذ أن كان الفاصل بينهم وبين العدو مسافة عدّة كيلومترات وحتى صاروا على مقربة منه.

في إحدى المرّات قال [السيد صفوي]: «في الليل نضرب العدو من داخل دشمنا»؛ أي أنّ الأعداء لم يكونوا على علمٍ بوجودهم هناك بعد، وكان ذلك مقدمة لعمليات ثامن الأئمة.

[وكما ذكرت]؛ فصل عدة أشهر قد تصل إلى تسعة بين [صدور] أمر الإمام وكسر الحصار، فالعمليات الأخيرة تمت بعد أحداث ٧ «تير»[1] وما حصل عام ٨١م، وكان الإمام قد قال هذا قبل ذلك في أوائل الحصار[2].

لقد كان يوم فتح خرمشهر حدثاً عظيماً. وربما قبل مرور ساعة على إعلان الخبر، وبينما كنتُ ذاهباً من [مبنى] رئاسة الجمهورية باتجاه بيت الإمام رضوان الله تعالى عليه للقائه، رأيتُ مظاهر الفرح والبهجة في الشارع وأثناء الطريق؛ فكان السرور قد عم الأرجاء، وخرج الناس مثل مسيرة أو مظاهرة، وعندما رأوا سيارتي، كانوا يقتربون مني ويهنئونني.

يومها أُقيم احتفال عام تلقائي بين الناس في مختلف أنحاء البلد؛ فقد كانت مسألة فتح خرمشهر مهمّة إلى هذه الدّرجة. طبعاً؛ أغلب الناس آنذاك لم يعرفوا ما الّذي حصل، وأحداث هذا الفتح، ولم يكونوا مطلعين على التّضحيات،

---

١. حادثة انفجار ٢٧ تموز - المترجم.

٢. من مقابلة مع برنامج «روايت فتح» التلفزيوني بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢م.

وتفاصيل الانتصار، وتلك الجهود المذهلة العجيبة، ولا زال الكثيرون حتى اليوم يجهلون بها[1].

فتح خرمشهر: الانتصار والفرحة العارمة

في يوم الثالث من خـرداد، في السّاعات الأولى الّتي استطاع مجاهدونا السيطرة على خرمشهر، اتّصل بي الشهيد صياد شيرازي ليُقدّم لي تقريراً عن أوضاع الجبهة؛ حيث كنت رئيساً للجمهورية آنذاك. قال لي بأنّ هناك آلاف الضّباط والجنود العراقيين الأسرى قد اصطفوا في طوابير ينتظرون دورهم حتى نُقيّد أيديهم. هذه هي قوّة الأمّة المعنوية![2]

[بعد فتح خرمشهر]، الأشخاص الّذين لم يكونوا على استعدادٍ ليخطوا خطوة واحدة في سبيل الثورة ومصالح هذا البلد، وكانوا يُجيدون الاعتراض والتّذمر فقط، استمرّوا بالضّغط كي ننهي الحرب. ولو لم تكن إرادة الإمام القوية والحازمة، لانتهت الحرب بانتصار العدو حتماً. هذه الأنفاس الخبيثة نفسها التي نفحت بتلك الوساوس في البلد آنذاك، رفع بعض أصحابها اليوم رؤوسهم ثانية وهم يكررون تلك الكلمات ويقولون لمَ لمْ توافقوا على وقف إطلاق النار بعد فتح خرمشهر؟!

بعد فتح خرمشهر، كان قسم كبير من أراضينا وحدودنا ومدننا وعدد كبير من الناس تحت سيطرة العدو الغاشم. كان التهديد يُخيّم على حدودنا، ويتم إمداد العدو بالدّعم من جميع الأطراف. كان يتوجّب علينا اجتثاث شرّ العدو عن الحدود، ولقد كانت هذه رؤية منطقية وعاقلة، وكان جميع المسؤولين في البلاد؛ من العسكريين وغيرهم، يثبتون هذا المنطق للجميع. كان الإمام شخصاً منطقياً وقد قرّر، وعمل بقراره، واستطاع بفضل الله أن يرفع رأس الشعب

---

١. من خطابه في جامعة «أفسري وتربية باسداري إمام حسين عليه السلام» بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٣م.

٢. من خطابه خلال لقاء عوائل الشهداء بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٢م.

الإيراني[1].

[عندما] كان العدو يُسيطر على آلاف الكيلومترات من تراب بلادنا، كيف تعامل معنا العالم السّياسي؛ كمجلس الأمم وأمثاله؟! ضغطوا علينا من كافة الأطراف حتى نجلس ونتفاوض مع العراق لإيقاف الحرب والمقاومة. كانت دولتنا حديثة التأسيس آنذاك، وقد بدأت بالعمل منذ سنتين وواجهت هذا الهجوم الكبير، وكان العدو قد استقرّ على مساحة آلاف الكيلومترات من أراضينا، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال على حدود العراق المجاورة؛ لكن مع هذا كانوا يقولون لنا تعالوا لنتفاوض! التّفاوض من موضع الذّل والضعف والمماشاة مع العدو، يعني ملء يد العدو في المفاوضات.

لو تمت تلك المفاوضات آنذاك، والتي كان بعض السياسيين يضغطون على الإمام لأجل عقدها، لكان من المؤكّد بقاء العراقيين في أكثر أراضينا، ولكانت خوزستان وخرمشهر والكثير من المناطق الأخرى لا تزال تحت سيطرة القوات المعتدية؛ لكنّ الإمام صمد. كان منطق الإمام هو أنّه ما دام العدو المغتصب في بلادنا ويهدّدنا بالفم الملآن، فنحن لا نفاوض إلا بعد خروج الأعداء من كامل أراضينا بشكلٍ كامل. اليوم يتغاضى البعض عن هذه الحقيقة بقلة شهامة.

آنذاك، كان بعض السياسيين الفارين من البلاد اللائذين بأمريكا وأوروبا وبقية المدن، يضغطون على الإمام عبر عقد مؤتمرات سياسية، وعبر الصحف وبرامج الراديو والتلفاز، من أجل التفاوض. وكانت المنظمات الأممية أيضاً تزور إيران باستمرار وتطلب من الإمام التفاوض، لكن الإمام صمد بإلهامه ورؤيته الواضحة، وإيمانه الراسخ، وتوكّله على الله، وقوة إرادته، وقال لن يكون التفاوض إلا إذا استرجعنا أراضينا، وهذا ما حصل فعلاً[2].

---

١. من خطابه خلال لقاء مجموعة من الجرحى وعوائل الشهداء بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٢م.

٢. المصدر السابق نفسه.

الدعم الأمريكي للعراق: الحقائق التي اكتشفت لاحقًا

آنذاك؛ توقعنا دون أن نستند إلى أيّ معلومة، أنّ أمريكا تُساعد العراق وتمدّه بمعلومات الأقمار الصناعية. وقد قلتُ ذلك يومها في صلاة الجمعة، والعديدون كانوا يقولون ذلك، لكنّ الكثيرين لم يصدّقونا؛ لكن في العامين الأخيرين، سمعتم وقرأتم بأنّ الأمريكان كانوا يُرسلون معلومات أقمارهم إلى العراق خلال مدة الحرب؛ أي تبيّن صحة الموضوع الّذي توصّلنا إليه بالحدس واستنتجنا حصوله بالقرائن[1].

بطولة التعبويين وعمى الأقمار الصناعية الأمريكية

خلال دولة ريغن، كان [الأمريكان] يمدّون العراق بصور الأقمار الصناعية التي يلتقطونها لمكان تجمّع الإيرانيين وأماكن تنقلهم، لكن عندما قام شبابنا في التعبئة الشجعان بقطع نهر أروند العريض، وقضوا على قوات صدّام، كانت عيون الأقمار الاصطناعية قد عُميت، فلم يروا ولم يتمكنوا من الرؤية، ولم يستطيعوا المساعدة. وفي الكثير من الأحيان تم العمل على هذا النحو، فقد خطط لذلك ضباط الحرس الحاليون، السيد صفوي والإخوة وغيرهم. كم هي المعجزات الّتي صنعها الشباب المؤمن والشجاع؛ هل كان من الممكن نقل عدّة آلاف من العناصر من الأماكن البعيدة عبر أروند إلى تلك الجهة من الماء من دون أن يشعر العدو بذلك؟![2]

لقد نفّذنا [عمليات] «والفجر٨»[3]، وهي حركة مستحيلة ولا يمكن تصديقها؛ بينما كانت الأقمار الصناعية تعمل لصالح العراق، وترسل المعلومات

---

١. من خطابه خلال لقاء المشاركين في مؤتمر نقد الثورة بتاريخ ٣/٦/ ١٩٩٩م.

٢. من خطابه خلال لقاء التعبويين وطاقم إدارة الاستخبارات في محافظة همدان بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٦م.

٣. بدأت عمليات «والفجر٨» في ١٩٨٦/٢/٩م. استمرت هذه العمليات ٧٥ يوماً ونجم عنها فتح مدينة «الفاو» الساحلية على يد مجاهدي الحرس الإسلامي.

لها؛ أي أنّ مقرّات البعثيين الحربية كانت على تواصل مع أنظمة الأمريكيين التجسسية وأقمارهـم الصناعية، وكانت تلك الأقمار تُسجّل تحركات قوّاتنا وأماكن تجمع العديد والعتاد وترسلها لهم مباشرة.

تلعب المعلومات في الحرب دوراً هاماً ومحورياً؛ لكن نجحت الآلاف من القوّات في عبور أروند ولم يعرف بها العدو تحت أنظار هذه الأقمار نفسها، مستعينةً - هذه القوات - بطرق غريبة وعجيبة قد لا تعلمون شيئاً عنها، وقد كانت واضحة بالنسبة لنا آنذاك، فإحدى مشاكل عملنا للأسف هي أنّ معلومات الحرب لا تنتقل بين الناس جيداً؛ لهذا لم تعرفوا أنّ هؤلاء استطاعوا من خلال الاستعانة بالشاحنات وعربات النقل وبأشكال مختلفة كأنهم يحملون البطيخ، نقل آلاف الناس المتنكرين بملابس عجيبة وغريبة، وفي الليالي المظلمة التي لا يوجد فيها حتى ضوء قمر، إلى ضفة أروند، وعبروا بتلك القوّات العظيمة إلى تلك الجهة من النهر؛ حيث يصل عرضه في بعض الأماكن إلى كيلومترين أو ثلاثة؛ وذلك غوصاً [أو سباحة] على الرغم من صعوبة الأوضاع في نهر أروند والتي قد تجهلونها.

يوجد في أروند تياران؛ أحدهما من جهة الشمال إلى الجنوب، وهو تيار أروند الرئيسي؛ حيث يتّصل كل من نهر دجلة والفرات بأروند من خلاله، وينطلقان معاً باتجاه الخليج الفارسي. وأما التيار الآخر فهو التيار المعاكس له والذي يحصل أثناء مدّ البحر، فعندها، تصب مياه البحر بعرض مترين أو ثلاثة أو أربعة من جهة الجنوب إلى الشمال؛ أي يصبّ البحر في النهر. وبهذا يُصبح هناك تياران متعاكسان بشكلٍ كامل[1].

١. عمليات «والفجر٨» بدأت في تاريخ ١٩٨٦/٢/٩م. وتم فتح منطقة الفاو في هذه العمليات التي استمرت مدّة ٥٧ يوماً على يد حرس الثورة الإسلامية.

ألف وثلاثمائة متر من العز

بعض الشباب الّذين استشهدوا في فرقة ٤١ ثار الله، في ليلة عمليات والفجر ٨، كان عليهم قطع نهر أروند المتلاطم عرضاً، غاصوا مسافة ألف وثلاثمائة متر، وقطعوا المسافة من هذه الضفّة من الماء إلى تلك الضفّة، من أجل الوصول إلى الأعداء. إنّ الماء في نهر أروند يأتي نزولاً من نبعه، وماء البحر يصبّ فيه من الأعلى، فأروند معبر عجيب. لقد ارتدى شبابكم ملابس الغوص من دون أن يشعر العدو بذلك، وقطعوا مسافة تسعة وعشرة أمتار؛ بل عشرين ومائة متر؛ بل قطعوا مسافة ألف وثلاثمائة متر، وهو المكان الأكثر عرضاً في أروند، ووصلوا إلى الضفة الأخرى، واستطاعوا استرداد السواحل المقابلة من الأعداء وصناعة فتح الفتوح، ممّا صنع تحوّلاً في الدنيا.

في هذه العمليات نُقلت قوارب الحرس باتجاه ساحل أروند وقطعت مسافةً كبيرةً لأجل ذلك، ولم يكتشف العدو ذلك. وعلى الرّغم من امتلاكه كل هذه المعدّات، ومن إمداده بدعم الأقمار الصناعية الأمريكية والبريطانية والسوفييتية، لم يستطع اكتشاف خطوة الحرس العظيمة ومشاركة الفرق المختلفة.

لقد استلمَت فرقة ثار الله مهمّة إيصال القوارب إلى أطراف السواحل. [ولأجل تنفيذ هذه المهمة] أحد شهداء هذه الفرقة المعروفين، لم ينل قسطاً من الرّاحة لمدّة عشرين يوماً أثناء عمليات نقل هذه القوارب بشكلٍ سري[1]. وبحسب ما قاله قائده الموقّر[2] - والّذي ولله الحمد حفظه الله لنا وهو أحد أعزّائنا الآن - بأنّ هذا الشّاب لم ينم لثلاثة أيام متوالية، وبعد ثلاثة أيام عندما

---

١. يقصد سماحته الشهيد «محمد نصر الهي» نائب أركان الفرقة ٤١ ثار الله، والذي استشهد خلال عمليات والفجر٨ بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٠م.

٢. الجنرال «الحاج قاسم سليماني» قائد الفرقة ٤١ ثار الله في مرحلة الدفاع المقدس وقائد فيلق القدس في حرس الثورة الإسلامي، والّذي استشهد على يد الأمريكيين المجرمين في مطار بغداد في تاريخ ٢٠٢٠/١/٢.

ذهب إلى الدّشمة لينام، طرأت مأمورية، فناديته واصطحبتُه معي لتنفيذها. هكذا كان هؤلاء يجاهدون[١].

إنجاز المجاهدين رغم الأوضاع المعقدة

على أيّ حال؛ كنّا نطّلع على تفاصيل العمل آنذاك، وكنا نعيش القلق وغيره [من المشاعر]، ولكن على الرّغم من هذه الأوضاع المعقّدة، استطاع مجاهدو الإسلام أن يذهبوا ويفتحوا المنطقة ويقوموا بعملٍ مدهش[٢].

لم يتّخذ مجلس الأمن قراراً عادلاً بالكامل في أيّ زمن؛ لأن القوى الكبيرة والّتي كانت تدعم النظام العراقي هي التي كانت تُسيطر عليه إلى أن صدر القرار ٥٩٨ من مجلس الأمن مؤخراً وذلك بعد بذل الكثير من الجهود والمساعي من جميع الأطراف[٣].

موافقة الإمام على القرار ٥٩٨ وتحديات الحرب الاقتصادية

عندما وافق الإمام على القرار لم تكن موافقته بسبب هذه الضّغوطات؛ بل بسبب مجموعة من المشاكل ذكرها المسؤولون آنذاك حول المسائل الاقتصادية، وبيّنوا عجز البلد عن التّحمل والاستمرار في الحرب بهذا الحجم من التّكلفة؛ لذلك اضطرّ الإمام على الموافقة على القرار. لم تكن موافقته بسبب الخوف، أو خشية هجوم الأعداء أو تهديد أمريكا، أو لوجود احتمال التّدخل الأمريكي في الحرب؛ فالأخيرة كانت تتدخل قبل ذلك أيضاً؛ بل أنّ الإمام رضوان الله عليه لم يكن شخصاً يتنازل عن الحرب حتى لو تدخّل كل العالم! لقد كانت تلك المسألة داخلية مختلفة.

خلال العشر سنوات من حياة الإمام رضوان الله عليه بعد انتصار الثورة، لم يتردد في

١. من خطابه خلال لقاء عوائل الشهداء في محافظة كرمان بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢م.
٢. من خطابه خلال لقائه بمكتب التحقيق ونشر ثقافة الحرب بتاريخ ١٩٩١/١٢/٧م.
٣. خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٧م.

أيّ بُعد من الأبعاد بسبب ثقل تهديد الأعداء، وهذا هو معنى امتلاك روحيّة حُسينيّة[١].

شهداؤنا تجسيد للفضائل الإنسانية

لقد كان شهداؤنا مظهراً للفضائل الإنسانية. لقد قضيتُ أياماً ولياليَ كثيرة مع الشباب خلال الحرب، ورأيت عن قرب شخصية المجاهدين وهويتهم وعظمتهم المعنوية ممن خُلدت وجوههم لاحقاً باستشهادهم. لقد لمستُ ذلك، إن هؤلاء مظاهر الفضيلة فعلاً[٢].

مهدي باكري رمز للشجاعة في ساحات الحرب

كان السيد «مهدي [باكري]»[٣] - رحمة الله عليه - من ضمن الأشخاص البارزين في التاريخ. طبعاً أنا لم أكن قد قابلت السيد «حميد [باكري]»[٤]، ولم أتعرّف عليه عن قرب، لكنني أعرف السيد مهدي جيداً. قبل الثورة، كان السيد «مقدم» زميله وصديقه المقرّب في جامعة تبريز، وكانا زملاء في السكن الجامعي، [وقد تعرّفتُ عليه عبره]، أظنّ أنّه أحضر السيد باكري إلى مشهد لمقابلتي عام ٧٧م، كنت في شانديز آنذاك، ورأيت ذلك الشاب المميز من جميع النواحي. في بداية الحرب كان شاباً جامعياً قد أنهى دراسته حديثاً؛ وكان قد انضمّ إلى خدمة العلم الإحبارية لمدة شهر أو أكثر بقليل، ثم خرج من المقرّ

---

١. من خطابه خلال الاحتفال بالذكرى السبعين لرحيل الإمام الخميني (قدس سره) بتاريخ ١٩٩٦/٦/٣م.

٢. من خطابه خلال لقائه بعوائل الشهداء والجرحى والمحررين في محافظة همدان بتاريخ ٤/٦/ ٢٠٠٤م.

٣. مهدي باكري (١٩٥٤- ١٩٨٥) قائد فرقة عاشوراء ٣١، والذي استشهد شرق نهر دجلة خلال عمليات بدر في ١٩٨٥/٣/١٦م.

٤. «حميد باكري» (١٩٥٣-١٩٨٤) نائب فرقة عاشوراء ٣١، والّذي استشهد في عمليات خيبر في تاريخ ١٩٨٤/٢/٢٦م.

امتثالاً لأوامر الإمام، ولربما كان ذلك في شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٠م[١].

من الجندي البسيط إلى المخطط الاستراتيجي

إنّ الدّفاع المقدس فضلاً عن أنه كان امتحاناً كبيراً للشّعب الإيراني، كان أيضاً ساحةً لظهور القدرات والاستعدادات. أنتم تلاحظون أنّ شاباً يدخل إلى ميدان الحرب لا يُجيد الأمور المرتبطة بالعمل العسكري جيداً، لكن بعد مضيّ سنة أو سنتين تقريباً، يُصبح استراتيجياً عسكرياً؛ وهذا أمر مهم جداً. كما هو حال الشهداء والقادة الكبار وأمثالهم؛ فالشهيد «حسن باقري»[٢] مثلًا كان مخطط حرب بلا شك، وكل من ينكر هذا الأمر فهو غير مطّلع، وإلاّ فمن يعرف سيرى أنّ هذا الشّاب الّذي لم يتجاوز عمره العشرين عاماً ونيّفاً كان مخطّط حرب في عام ١٩٨٢م، وقد انضمّ إلى ساحات الحرب في عام ١٩٨٠م. هذا هو مسير حركة جندي انطلق من الصّفر إلى عسكري، حركة قد تستغرق عشرين أو خمسة وعشرين عاماً [في العادة]؛ لكن هذا الشّاب قطع هذا المسير في سنتين[٣].

الشهيد محمود كاوه قائد في الحرب والتقوى

من الجيد أن أتحدّث عن أخي العزيز الشهيد «محمود كاوه». تعود معرفتي بالشهيد محمود منذ صغره، فقد كان والده من أصحاب مسجد الإمام الحسن الملازمين له بشكلٍ دائم، وكنتُ أُلقي الخطب وأصلّي هناك، وكنت أراه يُمسك بيد ابنه الوحيد هذا ويُحضره معه. وقد يعرف الإخوة المشهديون والده أيضاً؛ فقد كان رجلاً حماسياً وشجاعاً منذ ذلك الحين، وفي بعض الأحيان كان ينطق بكلماتٍ حادّة لا يجرؤ أحد على التّفوّه بها في جوّ الاختناق ذاك.

١. من خطابه خلال لقاء أعضاء الاحتفال بالقادة وعشرة آلاف شهيد من محافظة مازندران بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٦م.

٢. «حسن باقري» (١٩٥٥ - ١٩٨٢) م نائب قائد القوات البرية لحرس الثورة الإسلامية، استشهد في فكة ١٩٨٣/١/٢٩م.

٣. من خطابه خلال لقاء أعضاء حرس خراسان بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٨م.

لقد تربّى ذلك الفتى في مثل هذه البيئة الحماسية والفكرية، وكانت المواضيع المطروحة في مسجد الإمام الحسن عليه السلام غذاءه الفكريّ منذ حداثة سنّة، فعندما كان يأتي إلى هناك، لربما كان في الثانية عشرة أو أكثر، لا أذكر ذلك بشكلٍ دقيق، وكان من الأشخاص المميزين، ومن أهل بناء النفس من الناحية المعنوية والأخلاقية والتقوى بالفعل، وأيضاً من النّاحية الحربية.

في إحدى العمليات الأخيرة، جُرحت يده، فجاء إلى مشهد وبقي في المستشفى لمدّة قليلة على ما يبدو [لتلقي العلاج]، ثم عاد ثانية إلى الجبهة. جاء لزيارتي في طهران آنذاك، فرأيتُ أنّ يده قد تورّمت - وأنا لديّ حساسية خاصة تجاه من تُصاب يده، فأُبادر على الفور إلى سؤاله عنها - لهذا؛ سألته: هل تؤلمك يدك؟ فقال: لا، لكنني عرفتُ فيما بعد من الإخوة المشهديين الموجودين بأنّها كانت تؤلمه كثيراً، لكنّه كان يكتم الألم ولا يأتي على ذكره، عملاً باستحباب كتمان الألم عن الآخرين، وقد كان لديه مثل هذه الحالة في تربية نفسه.

لقد كان قائداً ممتازاً من النّاحية الإدارية أيضاً؛ حيث كانت وحدته هي لواء الشّهداء الخاصّة - وقد أصبحت اليوم فرقة -، كانت وحدة جيّدة ومعروفة على أنها من الوحدات الفاعلة. شارك [الشهيد محمود كاوه] في العديد من العمليات المختلفة، وأصبح خبيراً في ميدان الحرب، ولقد تميّز في التنظيم الإداري والإدارة القوية، وتكوين علاقات صداقة قوية مع عناصر الكتيبة، وكذلك من الناحية المعنوية، والأخلاقية، والأدب، والتربية، والالتفات، والذكر. لقد كان شاباً لكنه شابٌ مميز[1].

ضابط الحرس وعظمة عوائل الشهداء

قرأتُ في المعلومات الّتي أعطوني إيّاها، أنّ هناك ضابطاً رفيع المستوى من

١. من خطابه خلال لقائه بعوائل الشهداء والجرحى والأحرار في محافظة همدان بتاريخ ٤/٦/ ٢٠٠٤م.

الحرس بين شهداء همدان، عندما سألته أمّه ماذا تعمل في الحرس؟ أجابها: «إنني عامل نظافة هناك». [فصدّقته] وظنّت والدتُه أنّ هذا الشّاب هو فعلاً عامل بسيط، وعندما ذهبوا من أجل طلب يد فتاة لابنها، سألتها عائلة الفتاة عن عمل الشّاب، فقالت الأمّ بأنّه عامل نظافة في الحرس. إلى أن دُعيت إلى اجتماع عُقد لمناسبة ما، وكان هناك شخصٌ يخطب في المراسم يُشبه ابنها كثيراً، فسألت عنه فقيل لها إنه فلان وهو أحد الضّباط في الحرس. عندها عرفت الأم عمل ابنها.

المواضيع التي كنّا نقرأها في التّاريخ ونعتبرها أساطير، صارت تتحقق في حياتنا الواقعية. أنا أُريد أن أخبر الشباب بهذه الأمور، [أُريد أن أقول] لأبناء الشهداء وعوائلهم: تلك العظمة الّتي أظهرتها عوائل الشّهداء والآباء والأمهات لا تقلّ عن عظمة الشّهداء. لقد واجهنا آباء وأمهات تلقّوا الخبر المفجع لفقدان وشهادة ابنهم كأنه بشارة؛ لأنهم كانوا يعلمون في أيّ نهج انطلق أبناؤهم[1].

الثقافة الجهادية

إن ثقافتنا كانت جبهتنا الخلفيّة في مواجهة الشّعب الإيراني لتعنّت الاستكبار العالمي، ولقد كان منطق جبهتنا الخلفية هذه، هو الأخلاق الإسلامية، والتّوكل على الله، والإيمان وحبّ الإسلام؛ أي حبّ تلك الأم الّتي استشهد أربعة من أبنائها وهي تقول إنها راضيةٌ، فقد قدّمتهم في سبيل الإسلام.

لقد رأيتُ عوائل [الشهداء] عن قرب، وزرتُهم في منازلهم، وتكلّمتُ مع آبائهم وأمّهاتهم، وهذه ليست مجرّد رواية، [فلقد رأيت] العوائل الّتي لديها ابنان استشهد كلاهما، أو العوائل التي لديها ثلاثة أبناء وقد استشهدوا جميعاً. هل هذا الأمر مزاحاً؟! وهل يمكن تحمّل مثل هذه المصيبة؟! يجب أن يشعر الأب والأم بالجنون من شدّة الحزن، لكن تقول الأم - والّتي لديها عاطفة جيّاشة - بكامل

١. من خطابه خلال لقاء بمجموعة من العاملين في مجال الثقافة بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٢م.

الصلابة: «لقد قدّمنا هؤلاء في سبيل الإسلام ولا اعتراض لدينا». يا للعجب![1]

قالت لي أمّ شهيدين: «لقد دفنتُ ولديّ ووضعتهما تحت التراب دون أن ترتجف يدي». وقال والد عدّة شهداء: «لو كان عدد أبنائي يبلغ ضعف هؤلاء، لكنتُ مستعداً لتقديمهم في سبيل الله». ما هو هذا المعدن؟! ما هو هذا الجوهر؟! ما هو هذا الوميض اللّامع الّذي وضعه الله في الشهادة، فيُنير الدّنيا المظلمة هكذا؟! لقد حمل الشّعب الإيراني رجالًا ونساءً هذا الوميض لثماني سنوات في قلوبهم، وقد ساعدهم الله ومدّهم بعونه.

الشهادة البلسم الذي يخفف المصاب

لقد قابلتُ العديد من عوائل الشّهداء ولا زلتُ أُقابلهم، وأعرفُ ظروفهم النّفسية. في بعض الأحيان يكون فقدان أحد الأعزّاء مصيبةً لايمكن تحمّله لو لم يكن موته شهادةً؛ لكنّ الله جعل في الشّهادة سرّاً، فتكون هي الجرح وهي المرهم، وهي عزاء ونور للمتبقّين.

لقد قابلتُ عائلة شهيد كان ابنهم وحيداً، وقد اصطفاه الله إليه. طبعاً؛ لقد رأيتُ العديد من هذه الحالات، وهذه نموذج منها. عندما يرى الإنسان صورة ذلك الإنسان وهو يودّع أباه ذاهباً إلى الجبهة، يظن أنّ أمه وأباه سيبكيان دماً أبد الدهر بعد استشهاده، هذا ما يوحي المشهد به، فتعلّق الأب والأم به واضح. ما زلتُ أملك تلك الصورة، أحضروها لي فيما بعد، وقد احتفظت بها في إطار، فهي تروي مشهداً خاصاً، لكن الله تعالى أنزل على ذلك الأب وتلك الأم سكينةً وعزاء خاصاً؛ حيث قال لي ذلك الأب بنفسه: «لقد كنتُ أظنّ أنني سأموت لو قُتل ابني هذا»؛ أي أنه أيّد ما قلتُه حول الشعور الّذي تنقله تلك الصورة، ثم قال: «لكن

---

١. من خطابه خلال لقاء الجرحى والمضحين وعوائل الشهداء في محافظة فارس بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٢م.

الله تعالى أنزل السّكينة على قلبي»[1].

شاب يتفوق على جده العارف

خلال الحرب، رأيتُ وصية أحد الشّباب بعد استشهاده، ولقد كانت عرفانيّة جداً وتركت أثراً كبيراً عليّ. لقد كان جدّ هذا الشاب أحد المراجع المعروفين وهو عارف وسالك. لكنني قلت للشباب بأنّني أعتقد أنّ هذا الشّاب سلك الطريق [العرفاني] في السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره ووصل إلى مكان لم يستطع جدّه الوصول إليه خلال خمسين سنة من السلوك العرفاني[2].

الشوق الإلهي والطريق العرفاني في ساحة الجهاد

قرأتُ في إحدى الوصايا: إنني مضطرب لا يقرّ لي قرار وكأن ناراً مضطرمة في قلبي سلبت السكون مني. لا أشعر بالسكينة بأيّ شيء سوى بلقائك يا إلهي الحبيب العزيز! هذه كلمات أحد الشباب.

هذا الأمر الّذي قد يصل إليه سالك وعارف بعد سنين من الجهاد والرياضة، فإنّ شاباً حدَثاً، يشمله الفضل الإلهي في ميدان الحرب والجهاد، فيطوي طريق المائة عام في ليلةٍ واحدة، ويلقى الجواب المناسب لهذا الشّوق من بارئه. نفس هذا الشوق هو لطف إلهيّ وجاذبية لحضرة الحقّ تعالى. هذا أمر مذهل[3].

لقد استمرّت الحرب ثماني سنوات، وهي ليست بالمدّة القصيرة؛ فالحروب الكبيرة والمعروفة في العالم، في العصور القريبة منّا، استمرّت مدة أربع أو خمس أو ستّ سنوات أو ما يقارب هذا، لكنها ثماني سنوات من الحرب شهدتها رقعة واسعةٌ من الشّمال إلى الجنوب، من الشّمال الغربي إلى أقصى الجنوب.

---

١. من خطابه خلال لقاء عائلة الشهيد آويني بتاريخ ٤/٢٢/ ١٩٩٣م.

٢. من خطابه خلال لقاء أهالي أصفهان بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٣٠م.

٣. من خطابه خلال لقاء الجرحى والمجاهدين وعوائل الشهداء في محافظة فارس بتاريخ ٥/٢/ ٢٠٠٨م.

كانوا ينوون إشعار النّظام الإسلامي بالعجز عن مواجهة الأعداء، وإظهاره في موضع عجز وضعف، لكن أظهر الله يد قدرته، وحطّم أفواه أعداء الجمهورية الإسلامية وأعداء راية الإسلام المرفرفة بقبضته الحديدية، ومرّغ أنوفهم بالتراب، وأظهر قوة النظام الإسلامي؛ لأنّه قائم على إيمان الناس وعواطفهم، وأظهر قدرته على الدّفاع عن نفسه أمام جميع القوى العالمية المادية، وقدرته على إجبار الجهة المقابلة على الاعتراف بالعجز. لقد تقبّلوا عجزهم عن الصّمود أمام قبضة أبناء الإسلام والمؤمنين بالوعد الإلهي، وفشلت جميع دعاياتهم. كانوا يسعون لأن يُصدّق الشعب الإيراني المؤمن بالآيات الكريمة بأنه يعجز عن الوقوف في وجه قوى العالم المادّية، واعلموا أيها الإخوة الأعزّاء وجميع الشعب الإيراني، أنّ الشعب يُهزم عندما يعتقد بعجزه وضعفه عن القيام بشيء ما؛ فهذا [الشعور] هو بداية الهزيمة. وقد أرادوا خلق هذا الإحساس في قلوب الإيرانيين خلال الحرب المفروضة، لكن القضية انقلبت عليهم. لقد أظهرت الحرب والدفاع المقدّس للشعب الإيراني، أنّ الشعب يستطيع اجتياز جميع الصعوبات، ويمكنه الصّمود أمام الأعداء، وإرغامهم على التّراجع وإلحاق الهزيمة بهم في ظلّ الإيمان بالله، وحسن الظّن به، والاعتقاد بصدق الوعد الإلهي. لقد أثبتت الحرب هذا الأمر للجميع[1].

١. من خطابه خلال لقاء عوائل شهداء شرق كارون بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٦م.

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي
٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة المحرر من السجون الخليفية محمد طوق
٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة
٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية
٧. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٨. بين غياهب الموج، الشهيد ميثم علي
٩. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج
١٠. ذلك يوم الخلود، الشهيد أحمد الملالي، كمال السيد

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي
٢. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي
٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني
٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني
٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي
٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي
٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي
٩. الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي
١٠. الثوري الأمثل، الإمام الخامنئي
١١. صلح الإمام الحسن عليه السلام، الإمام الخامنئي
١٢. النهضة البرمجية، الإمام الخامنئي
١٣. يحبهم ويحبونه - كلمات السيد حسن نصرالله حول الشهيد قاسم سليماني
١٤. في محضر الحبيب، خواطر الإمام الخامنئي.. بلسانه وبيانه، الإمام الخامنئي (هذا الكتاب)

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي
٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان
٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني
١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي
١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس
١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام، الشيخ زهير عاشور
١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور
١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان
١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، الأستاذ عبدالوهاب حسين
١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور
١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور
٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢١. فارس التحرير، أحمد العرب، حول الشهيد علي العرب
٢٢. مشكاة - فضيلة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، حسن مرهون
٢٣. أبو قسّام، الشهيد الفدائي محمد سهوان، علي معراج
٢٤. إضاءات على السيرة السياسية للمعصومين عليهم السلام، الشيخ زهير عاشور
٢٥. تراتيل السكينة - دراسات في سيرة أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، الأستاذ محمد سرحان
٢٦. حكومة العالِم العادل، الشيخ جاسم المحروس

في محضر الحبيب

سلسلة الاستكبار العالمي:

١. تاريخ أمريكا المستطاب، الدكتور محمد صادق كوشكي
٢. دواعش بربطات عنق، سيد هاشم ميرلوحي
٣. أمريكا مهد الديمقراطية والحرية، سيد هاشم ميرلوحي

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. الاستعاذة
٢. إضاءات فكرية
٣. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٤. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٥. الإسلام دين الفطرة
٦. رسول الرحمة
٧. الإسلام والعلمانية
٨. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٩. القدس صرخة حق
١٠. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
١١. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١٢. الدولة والحكومة
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٤. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٥. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٦. الشهادة رحلة العشق الإلهي

سلسلة الثقافة التنظيمية:

١. العمل التنظيمي، ماهيته وفلسفته وكيفيته، الدكتور حسين عرب أسدي والدكتور

حميد رضا محمدي ومحمد مهدي زارع مهرجردي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغییر در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانی خطبه های امام حسین (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، الأستاذ عبدالوهاب حسين
٣. بر آستان اهل بیت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و امید (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه میهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاریخ سیاه آل خلیفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شکن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

كنا قلقين عندما تعرّض الإمام فيها لنوبةٍ قلبية، وعندما وصلتُ كان قد هيّأ نفسه لأجل أيّ حادثة محتملة. لذا؛ كان عليه أن يقول لي في تلك اللحظة الحساسة أهمّ كلام في ذهنه. قال: «كونوا أقوياء، لا تهنوا، توكّلوا على الله، كونوا ﴿أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾، وإذا اتّحدتُم لا يمكن لأحدٍ أن يؤذيكم». برأيي هذه العبارات هي خلاصة وصيّة الإمام المكوّنة من ثلاثين صفحة.

دار الوفاء للثقافة والإعلام
الموقع الرسمي
9 786144 642740